المسيح والتثليث

تأليف العلامة الدكتور

محمد وصفي

تقديم

الكاتب الإسلامي الكبير

محمد عبد الله السمان

مراجعة

علي الجوهري

دار الفضيلة

دار الفضيلة

للنشر والتوزيع والتصدير

الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي - كلية البنات
مصر الجديدة ت وفاكس ٤١٨٩٦٦٥ رقم بريدي ١١٣٤١ هليوبوليس
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبي - ديرة . ص ب ١٥٧٦٥ ت ٢٦٩٤٩٦٨ فاكس ٢٦٢١٢٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا (١٧١) لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴾

(سورة النساء : ١٧١ - ١٧٢)

تقديم الكتاب

• عرفت المؤلِّف الدكتور محمد وصفى فى الخمسينيات ، مشتغلاً بالفكر الإسلامى ، غَيورًا على دينه ، كلما هبت ريح عاصفٌ عليه تستهدف النيل منه بإثارة الشبهات حوله ، عرَّفنى به صديق العمر الدكتور أحمد الشرباصى ، وكان يجمعنا أسبوعيًا اللقاء بالرابطة الإسلامية بباب اللوق ، والتى أسسها الأستاذ محمد شاهين حمزة ، وكان عضوًا عاملاً بالحزب السعدى ، وكانت الجمعية ملتقى العديد من العلماء والمفكرين .

ونحن خلف الأسوار بمزرعة طرة (١٩٦٥ - ١٩٧١م) فوجئت بالدكتور محمد وصفى أحد الذين اختارتهم وزارة الداخلية لإلقاء محاضرات للتوعية ، ومنهم - كذلك - الدكتور عبدالعزيز كامل ، والدكتور محمد سعاد جلال الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة الأزهر ، وكان الدكتور وصفى يحاضر بأسلوب السهل الممتنع فى أدب كأستاذ محاور ، مراعيًا أن التعليمات التى صدرت تفرض علينا - نحن الأسرى - أن نصغى لما يقوله المحاضر وليس لنا الحقُّ فى محاورته ، ومن هنا كان - رحمه اللّه - حريصًا كل الحرص على أن لا يجرح أحاسيسنا أو يمس مشاعرنا .

• المسيح والتثليث . . موضوع الدراسة الموضوعية التى حفلت بالتأنى . . إنها قضية ليست ككل القضايا ، حسم أمرها كتاب اللّه - عز وجل - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . قضية محسومة بالنسبة لنا نحن المسلمين ، ولكنها غير محسومة بالنسبة لغير المسلمين ، ومن هنا كان الحوار والجدال فيها أمرًا مقضيًا ، وهذا مقتضى قوله تعالى فى سورة العنكبوت : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، والهدف هو تأكيد الحقِّ الذى سجله كتاب اللّه .

وكنا نود أن تتسع صدور أطراف القضية ويدركوا أن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، ولا سيما أن الإسلام حريص على أن يظل الودُّ قائمًا

بين المسلمين والمسيحيين ؛ لأنهم أقرب إلينا مودة ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ [المائدة : ٨٢] .

وقد ورد فى الصحيح أن رسول اللّه - صلوات اللّه وسلامه عليه - قد وصَّى أصحابه بأقباط مصر خيرًا عند فتح مصر : « . . . فإن لهم نسبًا وصهرًا » - النسب لأن هاجر أم إسماعيل عليه السلام مصرية ، والمصاهرة زواجه صلى اللّه عليه وسلم من مارية القبطية وهى مصـرية أيضًا ، وهذا ما لم يعه النصارى بالأمس ، ولا يعيه النصارى اليوم .

لقد طعن اليهود فى شرف مريم البتول ودبَّروا مؤامرة لإنهاء حياة المسيح عليه السلام ، بينما كتاب اللّه تعالى يقول : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٢] .

وبرغم ذلك نرى أن الغرب المسيحى احتضن بنى إسرائيل ، وأقام لهم دولة من سفاح على أرض مغتصبة ، وسويسرا المسيحية استضافت أول مؤتمر صهيونى عالمى بريادة تيودور هرتزل فى (٢٩ / ٨ / ١٨٩٧م) حيث اتُخذ فيه قرار بإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين ، وفى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧م صدر وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا المسيحية ، فكان بمنزلة شهادة ميلاد مزورة لدويلة ولدت من سفاح ، ونسى الشعب البريطانى أن ملكهم إدوارد الأول أصدر قرارًا فى (٣١ / ٨ / ١٢٩٠م) بطرد اليهود من المملكة بعد أن استشرى فسادهم ، وفى عام ١٩٤٨م أصدر بابا الفاتيكان نداء ناشد العالم فيه أن ينقذ اليهود فى فلسطين من العرب الوحوش !!

• هذه كلمات كان لابد منها ، قبل أن نعرض لهذه الدراسة التى بين أيدينا ، كما لابد أن نمهد لها بأن نقول :

أولاً : إن موضوع الدراسة ، ليس بجديد ، والمكتبة العربية حافلة بالعديد من المؤلفات التى ألَّفها السلف والخلف من العلماء والمفكرين ، وهذا ما جعل مهمة المؤلف مضنية وشاقة للغاية ، وبخاصة إذا تحاشى التكرار ، والتزم الموضوعية المتأنية فيما يقدم .

ثانيًا : فى مثل هذه المسألة الجدلية لا يصلح للكاتب أن يستدلَّ بما يؤمن به هو فقط - بل يجب أن يعتبر المعول عليه ، ما يعتقده خصمه ، وهذا ما فعله المؤلِّفُ - رحمه اللَّه - لقد اعتمد على ما فى الأناجيل الأربعة من تناقضات تؤكد استحالة أن تكون هى التى أنزلت على عيسى عليه السلام ، ولذا كانت السطور الأخيرة من المقدمة تقول : « وقد كان غرضنا من تأليف هذا الكتاب : تنزيه اللَّه تعالى - واجد الوجود - عن كل نقص ، وإثبات حقيقة المسيح عليه السلام التى أتى بها القرآن ، وذلك من عين كتبهم ، ومن نفس شهادات المسيح ابن مريم عليهما السلام فيها » .

وقد ذكر المؤلِّفُ - قبل ذلك - أن المسيحيين غالوا فى تقدير المسيح عليه السلام ، والغلو كثيرًا ما يدعو إلى الحيد عن الصواب . . جعلوه إلهًا ، ولكى يعللوا ذلك جاءوا بالتثليث الذى لا تقره كتبهم ، والذى تنفيه الأقوال المنسوبة إلى ابن مريم فيها ، وكان من جراء ذلك : أن نسبوا إلى المسيح عليه السلام ما ليس فيه ، وألحقوا باللَّه ما لا يليق به من الصفات .

• وهذه الدراسة تقع فى أكثر من مائتى صفحة من القطع الكبير ، متضمنة مباحث خمسة ، عرض فى المبحث الأول للمسيح فى العهد الجديد : الإنجيل ، كما يطلق على التوراة ، العهد القديم ، قدم له بإضافة ثقافية ، معرفية يجهلها الكثيرون منَّا ، أشار إلى أن كتب العهد الجديد سبعة وعشرون سفرًا ، مقسمة إلى أجزاء ثلاثة :

(أ) أربعة كتب أو مؤلفات ، يطلق على كل منها لفظ (إنجيل) وهذه الأناجيل الأربعة هى أناجيل : متى ، مرقص ، لوقا ، يوحنا .

(ب) رسائل ومكتوبات عامة ، تسمى الأولى منها : أعمال الرسل ، والثانية رسالة بولس إلى أهل رومية ، وبلغ عدد الرسائل ٢٢ رسالة ، وهذه الرسائل مقدسة عند الأرثوذكس والكاثوليك ، ولكن البروتستانت ينكرون بعضها ، ولهم فى ذلك حجج وبراهين .

(ج) رؤيا منامية رآها يوحنا ، وتسمَّى فى العهد الجديد : « رؤيا يوحنا اللاهوتى » ، وهذه الرؤيا ينكرها البروتستانت - كذلك - مما جعلهم أمام المؤمنين بها محرومين من دخول الجنة ، خارجين عن المسيحية .

وعرض المؤلِّفُ لإنجيل برنابا الذى ينكره البوليسيون - نسبة إلى بولس الرسول - بينما أثبته العلماء قبل الإسلام بنحو ثلثمائة عام ، وقد قال العلاَّمة (تولاند) الإنجليزى عند قراءته : « إن عهد النصرانية قد انقضى ؛ لأن هذا الإنجيل قد كشف زيف غيره من الأناجيل » .

هذا وقد عرض المؤلِّفُ فى المباحث الأربعة الباقية : لدعوى ألوهية المسيح عليه السلام ، وللتثليث ، ولعقيدتى الفداء والصلب ، ثم للمسيح عليه السلام فى القرآن الكريم ، ولندع القارئ يستمتع بمحتويات هذه المباحث ، وحسبنا أن يكون لنا بعض الوقفات السريعة ، كى نلفت الأنظار إليها .

أولاً : يشير المؤلِّفُ إلى أن اسم (إنجيل) لا يصح مطلقًا أن يسمى به غير إنجيل المسيح نفسه - أى الإنجيل الذى أنزل عليه من ربِّه وأشير إليه فى القرآن الكريم - وإلاَّ فهل أنزل على كل من المبشرين إنجيل كذلك ؟!

إن إنجيل المسيح عليه السلام ربما كان هو الذى أشار إليه مرقص (١ : ١٤ ، ١٥) فى قوله : « وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرر بشارة ملكوت اللَّه ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت اللَّه .. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » ، ويتساءل المؤلِّفُ : فأين هذا الإنجيل المشار إليه ؟ فلئن قلنا : إن المواعظ الأربع لمتى ومرقص ولوقا ويوحنا تمثل كلها الإنجيل متماسكة غير منفصلة ، فما بال هذا التناقض الغريب فيما بينها ؟ فإن شخصًا واحدًا لا يمكن أن يروى قولاً واحدًا ، أو يبين حالة واحدة ، أو يحكى قصة واحدة بمثل ذلك التناقض ، بل إن الشخص الواحد لا يصحُّ أن تختلف عنه الروايات ، مهما تعددت حكاياتها ، واختلفت أساليب بيانها ، ومن هنا حق لنا أن نقول : هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] صدق اللَّه العظيم .

ثانيًا : عرض المؤلِّفُ لفرية ألوهية المسيح عليه السلام ، فأشار إلى أن الدلائل العقلية والنقلية ، تنطق بعدم إمكان الألوهية البشرية ، وبالنسبة للدليل العقلى ، فنحن إذا قرأنا الأناجيل ما وجدناه إلاَّ بشرًا عاديًا يأكل ويشرب وينام ويستيقظ ويمشى فى الأسواق ، وإذا ادعى أحد أن ذلك من جهة ناسوته ، قلنا له : إن الإحساسات المتباينة ، والانفعالات النفسية المختلفة ، لا يشعر بها الجسد المجرد

من الروح ، بل إن الروح البشرية التى كان يضمها جسد المسيح عليه السلام هى التى كانت تشعر بالرغبة فى متطلبات الحياة من مأكل ومشرب وغيرهما ، أمَّا بالنسبة للأدلة النقلية ، فقد عول على الأناجيل ، وما احتوته من تناقضات ، وقد أكسب الدراسة لونًا من الأهمية والتقدير معًا .

ثالثًا : عرض المؤلِّفُ لعقيدة التثليث : الأب والابن والروح القدس ، مؤكدًا أن هذه العقيدة تثبت منافاتها للعقل ، وتظهر لماذا لم يذكر الأنبياء السابقون والرسل الأولون عنها شيئًا ، كما أشار المؤلف إلى أنه ليس للمسيحيين من دليل على التثليث ، يستطيعون أن يظهروه مطلقًا ، فقد فرض عليهم بواسطة مجمع نيقية العام سنة ٣٢٥ ميلادية ، ومعنى هذا أن المسيحيين لبثوا أكثر من ثلاثة قرون ، وليس لديهم كتاب يسيرون عليه أو نظام دينى يتبعونه .

رابعًا : عرض المؤلِّفُ لعقيدتى الفداء والصلب ، وأشار إلى أن عقيدة الفداء هى من وضع رجال الدين المسيحى ، كتبهم تثبت أن الأبناء لا يؤاخذون بجرائم الآباء ، حسبنا ما جاء فى (حزقيال ١٨ : ٢) : « الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » ، وبالنسبة لعقيدة الصلب ، فإن التناقض الكبير بين روايات الأناجيل الموجودة اليوم بين أيديهم تدحضها وتأتى عليها .

- ثم ماذا ؟

إن الأستاذ فكرى أباظة - رحمه اللَّه - كتب فى مجلة المصور منذ أكثر من أربعين عامًا ، كتب يقول : إن بابا الفاتيكان ، جمع لفيفًا من كبار رجال الكنيسة وبعض علماء اللاهوت ، وطلب منهم الاجتماع معًا فى دراسة متأنية للوصول إلى حقيقة القرآن : أهو من عند اللَّه أم من وضع محمد ؟ ، وكانت نتيجة الدراسة تؤكد أن القرآن لا يمكن أن يكون إلا من عند اللَّه .

وأضاف الكاتب : لقد علم هذا الحدث من مصدر موثوق به أثناء وجوده فى إيطاليا ، ولو قدر له أن ينشر لكان خبر هذا العام .

وكتبت مقالاً بمجلة « الأزهر » حول ما كتبه فكرى أباظة ، وقلت : إن فكرة التقارب بين الإسلام والمسيحية لن تكون منتجة أبدًا ما لم يحدث تبادل

الاعتراف بين الطرفين ، فالإسلام يعترف بالمسيحية ويرفع من شأن رسولها وأمه ، وبقى على أهل المسيح الاعتراف بالإسلام : رسولاً ورسالة معًا . . وفوجئت بعد أيام بكاهن لبنانى يطرق باب مسكنى ، ولما لم يجدنى ترك لى مجلة « المسرة » وفيها نقد صارخ لمقالى بالأزهر .

ومعذرة للقارئ ، لقد ذكرت هذه القصة لأؤكد أن صدورنا لا تضيق بما ينشره كتاب مسيحيون من تطاولات على الإسلام ، بينما نرى المسيحيين لا يعترفون بأهمية الحوار الحر ، ولا بأن الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، ويؤسفنى أن البعض يضيق صدره بالنقد الموضوعى ، ويعمد إلى أسلوب مثير للسخرية .

وهذه قصة سمعتها بأذنى من العلاَّمة الشيخ (محمد أبو زهرة) منذ نصف قرن ، عندما ظهر مؤلَّفهُ « الإسلام والنصرانية » والمطبوع فى دار الكتاب العربى لصاحبها الأستاذ محمد حلمى المنياوى ، والحديث جرى بمكتبه ، طلبت مكتبة مسيحية بالفجالة شراء كمية كبيرة من الكتاب ، وبعد يوم واحد أرسلوا إلى المكتبة رسولاً يطلب شراء نسخة من الكتاب فقيل له : نأسف الكمية نفدت . . والمعنى هنا ليس فى بطن الشاعر !!

إن من يقرأ الكتاب فى تأن يدرك الجهد المضنى الذى بذله المؤلِّفُ ، وحرص على أن تكون دراسته متأنية وموضوعية ، مجردة من الهوى والإنشاء والانفعال ، ويثبت أن مهنته كطبيب لم تحل دون أن يكون مفكرًا إسلاميًا خصب الفكر .

ورحم اللّه العقاد الذى يقول : « العلم هو القراءة ، وإن بعض الكُتاب يكتبون أكثر مما يقرأون » .

ومن الوفاء لدار الفضيلة بالقاهرة أن نحييها لحسن اختيارها ، وهذا راجع إلى ثقافة صاحبها ، وحرصه على أن لا يقدم للقارئ إلاَّ كل علم نافع . . جزاه اللّه خيرًا . . والحمد للّه ربِّ العالمين .

محمد عبد الله السمان
القاهرة : ص . ب : ١٦٢١
تليفون : ٥٦٨٣٥٦٤
المحمول : ٠١٠٥١١٨٠٨٦

مُقَدِّمَةُ المؤَلِّف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١)

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢)

يختلف العالم فى بيان حال المسيح عليه السلام ، وتتفاوت اعتقاداتهم فى تحديد شخصيته ، وتتباين آراؤهم فى إدراك ذاته ، فاليهود هم أشد الناس مقتًا له ، وأكثرهُم عداء لتعاليمه ، وأسرعهم إلى تكذيبه واتهامه ، فقد أنكروا رسالته ، وطعنوا فى نسبه ، وحاربوه ، وطلبوا التمثيل به والانتقام منه .

والمسيحيون غالوا فى تقدير المسيح عليه السلام ، والغلو كثيرًا ما يدعو إلى الحيْد عن الصواب ، وكذلك كان حالهم إزاء ابن مريم ، فقد عدوه إلهًا ، ولكى يعللوا ذلك جاءوا بالتثليث الذى لا تقره كتبهم ، والذى تنفيه الأقوال المنسوبة إلى ابن مريم فيها ، وقد كان من جراء ذلك أن نسبوا إلى المسيح عليه السلام ما ليس فيه ، وألحقوا باللَّه ما لا يليق به من الصفات .

---

(١) سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٦ .

وجاء القرآن الكريم فبَرأ ابْن مريم من كل ذلك ، وَرَدَّ الحقَّ إلى نصابه ، وأظهر حقيقة عيسى عليه السلام ، وأثبت عصمته ، وأبرأ ساحته ، وأخرجه خالصًا من الشوائب ، بريئًا من التهم والعيوب .

وقد كان غرضنا من تأليف هذا الكتاب ، تنزيه اللَّه تعالى واجد الوجود من كل نقص وإثبات حقيقة المسيح عليه السلام التى أتى بها القرآن الكريم وذلك من عين كتبهم ، ومن نفس شهادات المسيح ابن مريم عليهما السلام فيها .

القاهرة : شوال ١٣٥٥ هـ .

الدكتور محمد وصفى

★ ★ ★

المبحث الأول

المسيح في العهد الجديد

تمهيد :

تقسيم العهد الجديد إلى ثلاثة أجزاء :

لاشك فى كَوْنِ مَنْ أراد أن يعرف من هو المسيح الذى يحكى عنه المسيحيون التجأ بطبيعة الحال إلى كتب العهد الجديد يستطلع أصحاحاتها ويستنبيء رسائلها ، وكتب العَهد الجديد سبعة وعشرون سفراً نستطيع تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : والجزء الأول أربعة كتب أو مؤلفات يطلق على كل منها لفظ (إنجيل) ويضاف إلى هذا اللفظ اسم مَنْ يُظَنُّ أنه كتبه رواية عن المسيح عليه السلام ، وذلك فى التراجم العربية ، فتسمى (إنجيل متى) ، (إنجيل مرقص) ، (إنجيل لوقا) ، (إنجيل يوحنا) ويطلق عليها فى اللغة الإنجليزية أسماء من تنسب إليهم المؤلفات مجردة عن لفظ (إنجيل) فتسمى (متى) ، (مرقص) ، (لوقا) ، (يوحنا) وأما بالتركية فعنوان كتاب لوقا مثلاً (إنجيل .. لوقاتك تحريرى أوزره) أى (الإنجيل الشريف على ماكتبه لوقا) ، وهكذا .. ويلقب كل من المؤلفين الأربعة بعنوان (مبشر) وأما فى النسخ السريانية وهى الأكثر اعتباراً عند المسيحيين ، فقد وضع اسم (كاروزوتا) أى (موعظة) مكان لفظ (إنجيل) ، وتسمى هكذا (موعظة متى) ، (موعظة مرقص) .. إلخ . وفى هذه الكتب الأربعة ذكرت الأحوال والأقوال المنسوبة إلى المسيح عليه السلام .

الجزء الثانى : والجزء الثانى عبارة عن رسائل ومكتوبات عامة تسمى الأولى منها (أعمال الرسل) والثانية رسالة لبولس إلى أهل (رومية) ورسالتان له إلى أهل (كورنثيوس) وخامسة إلى أهل (غلاطية) ، وسادسة إلى أهل (أَفَسَس) ، وسابعة إلى أهل (فيلبى) وثامنة إلى أهل (كولوسى) ،

ورسالتان إلى أهل (تسالونيكى) وأخريان إلى (ثيموثاوس) والثالثة عشر إلى (تيطس) ، والرابعة عشرة إلى (فيلمون) ، والخامسة عشرة رسالة إلى (العبرانيين) غَيْرُ معلومٍ كاتبُها ، وقد تنسب إلى (بولس) كذلك ، والرسالة السادسة عشرة (ليعقوب) ، ورسالتان (لبطرس) ، وثلاث رسائل (ليوحنا) والثانية والعشرون (ليهوذا)[1].

الجزء الثالث: وأما الجزء الثالث فعبارة عن رؤيا مَنَامِيَّةٍ رآها يوحنا وتُسَمَّى فى العهد الجديد « رؤيا يوحنا اللاهوتى »[2].

القسم الأول من المبحث الأول
المسيح فى الأناجيل الأربعة

فى هذا القسم سنبين ما تقوله الأناجيل الأربعة عن نسب المسيح عليه السلام وما تحكيه عن حياته الأولى ، وكيفية مقابلته ليحيى بن زكريا عليهما السلام وما تقوله عن تلاميذه ومعجزاته ورسالته ، وعلاقتها بالناموس الإسرائيلى ، وسنشرح ماروته من تعاليمه إلى أن طَلَبَتْه اليهود للتمثيل به وصَلْبِه :

نسبه

يبتدىء مَتَّى إنجيلَه ببيان نَسَبِ المسيح عليه السلام ، وإنك إذا ما وقفْتَ قليلا بجانب هذا البيان أخذتْك الدهشةُ من الاختلاف الغريب بين ماروواه

(١) كل هذه الرسائل مقدسة عن (الأرثوذكس) و(الكاثوليك) وتقول كنائِسُهُمْ إنها مُوحى بها وُمُنْزلَةٌ من عند الله ولكن (البروتستانت) ينكرون منها رسالة (يعقوب) ورسالة (بطرس) الثانية ورسالتى (يوحنا) الثانية والثالثة ورسالة (يهوذا) ولهم فى ذلك حجج وبراهين .

(٢) هذه الرؤيا ينكرها البروتستانت كذلك وإنكارهم لها ولغيرها يجعلهم أمام المؤمنين بها محرومين من دخول الجنة خارجين عن المسيحية (رؤيا ٢٢ : ١٨ ، ١٩) وهو بعض ما دعا الكاثوليك إلى محاربتهم وتمزيقهم وإهراق دمائهم مما ذكرته كتب التاريخ ولا يكاد يجهل أحد حادثة (برتملى سنتهلير) التى قتل فيها الكاثوليك البروتستانت على غرة منهم ولم يكتفوا بسفك دماء الرجال بل لقد ذبحوا النساء والأطفال بحجة خروجهم عن دين حكومة روما وإنكارهم سلطة البابا .

هذا وبين ماسَرَدَهُ (لوقا) فى إنجيله (لوقا ٣) وأَشَدُّ غرابةً من ذلك نِسْبةُ المسيح فى الإنجيلين إلى (يوسف) النجار الذى يذكر مَتَّى أنه زَوْجُ مريم البتول (متى ١ : ١٩ ، ٢٤) وذلك مما يحتج به اليهود فى دعواهم بعدم حَمْلِ أم عيسى بغير ذَكَرٍ .

يذكر متى أن يوسف النجار هو ابن (يعقوب) ويخالفه لوقا فى ذلك فيقول بل هو ابن (هالى) ثم يذكر الأول أن عيسى من ولد (سليمان) ابن داود .. والثانى يقول : إنه من ولد (ناثان) ابن داود .. ويقول (البروتستانت) بمناسبة ذلك : إن من أخرج سليمان من نسب المسيح فقد أخرج المسيح عن كونه مسيحاً ويذكر متى أن جميع آباء المسيح كانوا سلاطين مشهورين .. ويقول لوقا : « إنه لم يكن منهم مشهور غير ناثان وداود » . ويقول الأول إن رَزُبَّابل ولد (أبيهود) والثانى يقول : إنه ولد (ريسا) والاثنان يخالفان التوراة فى ذلك حيث بينت أنه ليس لرزبابل من الأولاد من يسمى أبيهود أوريسا (أيام ٣) ثم يقول الأول إن بين المسيح وداود ثمانية وعشرين جيلاً .. ويقول الثانى : إن بينهما واحداً وأربعين جيلاً .

وَذِكْرُ (ألياقيم) جَدًّا لعيسى يعارِضُ التوراةَ التى يقدسها المسيحيون كذلك معارضة شديدة فى قولها إن الرب قال عن ألياقيم ملك يهوذا إنه « لايكون له جالس على كرسى داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً وأعاقبه وَنَسْلَهُ وعبيدَه على إثمهم وأُجْلِبُ عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر الذى كلمتهم عنه ولم يسمعوا » (إرميا ٣٦ : ٣٠ ، ٣١) .

ويقول متى إن « داود هو بن يَسّى بن عوبيد بن بوعز بن سَلمون بن نحشون بن عَمْيناداب بن أرام بن حصرون بن فارص » ابن الزنا وفارص هذا الذى ذكر متى أنه جد للمسيح ابن زنا وذلك أنه جاء من طريق هتك أبيه (يهوذا) عرض امرأة ابنه (ثامار) كما هو مفصل كل التفصيل فى سفر التكوين (٣٨ : ٦ – ٣٠) مما يجعل فارص وذريته المبينة آنفاً إلى داود عليه السلام خارجين عن جماعة الرب مطرودين من رحمته وذلك بحسب

ما جاء فى سفر التثنية (٢٣ : ٢) « لا يدخل ابن زنا فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد فى جماعة الرب » .

حياته الأولى

يذكر متى أن المسيح وُلِدَ فى (بيت لحم) أيام حكم الملك (هيرودس) وحين طلب الأخير قَتْلَهُ أخذ يوسف النجار امرأته مريم أم المسيح وابنها معها وهرب بهما إلى (مصر) ولبثوا هناك مدة حكم هيرودس حتى إذا ما مات الأخير رجعوا إلى مدينة (ناصرة) ولكن لوقا يروى لنا ما يخالف ذلك كل المخالفة فيقول إن أَبَوَىْ المسيح ذهبا بعد نِفَاسِ (مريم) إلى (أورشليم) وبعد تقديم الذبيحة حسب الشريعة الموسوية ذهبوا إلى ناصرة وأقاموا فيها وكانوا يذهبون منها إلى أورشليم فى أيام العيد من كل سنة وأقام المسيح فى السنة الثانية عشرة ثلاثة أيام فى أورشليم بدون علم أبويه ولم يسافر أو يسافروا إلى مصر كما ذهب إلى ذلك متى (لوقا ٢) .

والأناجيل الثلاثة تذكر أن المسيح مارس النبوة سنة واحدة ذهب فى نهايتها إلى أورشليم بمناسبة عيد الفصح حيث ائتمر اليهود عليه ولكن يوحنا يذكر أن المسيح قضى ثلاثة أعياد فصح فى مدة نُبُوَّتِه .

تَعَرُّفُهُ بيَحْيَى

وأما عن مقابلة المسيح ليوحنا المعمدان (يحيى) فقد جاء فى آخر الأُصحاح الثالث من إنجيل متى أن « يسوع جاء من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلاً : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كُلَّ بِرٍّ ، حينئذ سمح له فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتيا إليه » وتستطيع أن تفهم من ذلك أن يحيى عرف المسيح بمجرد مقابلته له وطلب التعمد منه ولكننا نرى يوحنا فى إنجيله يذكر أن يحيى لم يعرف المسيح إلَّا بعد نزول الروح (يوحنا ١) ثم إننا إذا وصلنا إلى الأُصحاح الحادى عشر من

إنجيل متى عينه وجدنا يحيى لا يزال يجهل المسيح حتى بعد نزول الروح إذ أنه « أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ».

وإنجيل يوحنا يذكر لنا أن يحيى لم يعرف أنه هو (إيليا) المبشر به فى التوراة أى أنه لم يكن يعرف نفسه وذلك أن كهنة أورشليم سألوه مستفسرين أهو إيليا فأجابهم قائلاً « لست أنا » (يوحنا ١ : ٢١) وإننا إذا اعتبرنا أن يحيى ليس هو إيليا بدليل اعترافه فكيف نقول فى قول المسيح إن يحيى « هو إيليا المزمع أن يأتى » (متى ١١ :١٤) .

وبمناسبة ذلك نذكر تناقضاً غريباً فى شأن يوحنا حيث يؤخذ من إنجيل مرقص (١ : ٦) أنه كان « يأكل جراداً وعسلاً برياً » ويؤخذ من متى (١١ : ١٨) أنه كان « لا يأكل ولا يشرب » .

تلاميذه

وجدير بنا هنا قبل أن نبين ماجاء به المسيح أن نذكر تلاميذه الاثنى عشر الذين ساعدوه وكانوا مصاحبين له وهم بحسب رواية متى فى الأصحاح العاشر « بطرس ، أندراوس أخوه ، يعقوب بن زبدى ، يوحنا أخوه ، فيلبس ، برثولماوس ، توما ، متى العشار ، يعقوب بن حلفى ، لباوس الملقب تداوس ، سمعان القانوى ، يهوذا الإسخريوطى » وأما عن الحوارى العاشر فقد سماه بطرس (تداوس) وأنكره لوقا وذكر بدلاً منه آخر يسمى « يهوذا أخو يعقوب » (لوقا ٦ : ١٦) .

وأما عن كيفية معرفته ومقابلته للحواريين فلأضرب من ذلك مَثَلاً : فقد جاء فى متى (٤ : ١٨ - ٢٣) « وإذ كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل أبصر أخوين سمعان الذى يقال له بطرس وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر فإنهما كانا صيادين فقال لهما : هلمَّ ورائى فأجعلكما صيادى الناس فللوقت تركا الشباك وتبعاه ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب ابن زبدى ويوحنا أخاه فى السفينة مع زبدى أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه » وأما إنجيل يوحنا (١ : ٣٥ - ٤٦) فلم يذكر أمر الشبكة بل قال : إن إندراوس وآخر تبعاه حسب إرشاد يحيى قرب عبر الأردن ثم تبعه سمعان بإرشاد إندراوس وفى

الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلُبّس فقال له : اتبعنى ، ثم أن فيلُبّس وجد نثنائيل فأرشده إلى المسيح ولم يأت يوحنا بشىء عن يعقوب ألبتة .

معجزاتـه

إن أول المعجزات التى ذكرها متى (٨ : ٢) هى : شفاء المسيح رجلاً أبرصاً وقد بَيَّن أن ذلك كان بَعْدَ وَعْظِ الجليل ولكن لوقا (٥ : ١٢) فى إنجيله ذكر هذه الحادثة مبيناً أنها كانت قبل وعظ الجليل مخالفاً فى ذلك رواية متى وقد ذكر هذا كذلك حادثة إبراء المسيح للمفلوج غلام صاحب المائة (متى ٨ : ٥) ثم إبرائه لحماة بطرس المصابة بالحمى (متى ٨ : ١٤) ولكن لوقا (٧ : ٣٨) ذكر حادثة حماة بطرس قبل حادثة الأبرص قبل وعظ الجليل ، ثم ذكر حادثة غلام صاحب المائة بعد هذا الوعظ (لوقا ٧ : ٢).

وذكر متى (٨ : ٢٣) بعد ذلك معجزة نجاة السفينة ولكن مرقص (٤ : ٣٧) جعل هذه المعجزات بعد الوعظ الذى ذكره متى فى الأصحاح الثالث عشر .

وبعد ذلك ذكر متى (٨ : ٢٨) أن المسيح أخرج شياطين كثيرة من مجنونَيْنِ لَقِياهُ لما جاء إلى العَبْرِ إلى كورة الجرجسيين وذهب مرقص (٥) ، لوقا (٨) إلى كونهما مجنوناً واحداً أخرج المسيح منه شياطين كثيرة عند كورة الجدريين فسلطها على قطيع من الخنازير فاضطرته إلى بحيرة حيث غرق فمات اختناقاً .

وذكر متى (٩ : ٢) حادثة شفاء المفلوج ولم يذكرها الآخرون ثم ذكر حادثة أخرى وتتلخص فى كون رئيساً دعا المسيح لابنته قائلا له إن ابنتى ماتت (متى ٩ : ١٨) فذهب ولما رآها قال لهم تَنَحَّوْا فإن الصبية لم تمت ولكنها نائمة : مما يُشْعِرُ بعدم حدوث معجزة الأحياء هنا .. وذكر مرقص أن الرئيس قال له : إن ابنتى الصغيرة على آخر نسمة (مرقص ٥ : ٢٣) ولوقا يخالفهما فى الرواية فى أصحاحه الثامن .

ثم ذكر متى حادثة أعميين وإنسان أخرس مجنون شفاهم المسيح ولم يشر الآخرون إلى ذلك ولم يبيناه بل ذكر مرقص (٦ : ٥) أن المسيح فى ذلك الوقت لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة .

ثم ذكر متى شفاءه لذى اليد اليابسة ثم شفاءه لجموع كثيرة ثم شفاءه لمجنون أعمى وأخرس وكذلك بعض المرضى ولم يذكر كل ذلك الآخرون ، وكذلك الحال بالنسبة إلى معجزة وضعه البركةَ فى خمسة أرغفة وسمكتين ، وسيره على الماء ، وشفائه لمن لمسوا ثَوْبَه (متى ١٤).

وفى الأصحاح الخامس عشر ذكر متى أن امرأة كنعانية طلبتْ منه أن يشفى لها ابنها ولكن مرقص (٧ : ٢٦) بين أن المرأة كانت أممية وفى جنسها فينيقية سورية ثم قال متى (١٥ : ٣) « فجاء إليه جموع كثيرة معهم عُرْجٌ وعُمْىٌ وخُرْسٌ وشُلٌّ وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قَدَمَىْ يسوع فشفاهم » ولكن لوقا (٧ : ٣١) ذكر أن المسيح لم يشف وقتئذ غير رجل كان أصمَّ وأَقْعَدَ .

وقال متى : (٢٠ : ٢٩) « وفيما هم خارجون من أريحا وإذا أعميان جالسان على الطريق فشفاهما » ويقول مرقص : (١٠ : ٤٦) « إنه لم يكن هناك غير أعمى واحد هو (بارثيماوس بن تيماوس) » وذكر متى (٢١ : ١٨) معجزة لعيسى عليه السلام وهى دعاؤه على شجرة تين فيبست فى الحال . ويبين أن ذلك كان فى ثانى يوم لركوبه على الجحش والأتان ولكن مرقص (١١) ذكر أن ذلك كان فى اليوم الثالث ولمناسبة ذكر الجحش والأتان نذكر أن متى قال : إن المسيح بعث تلميذين من تلاميذه ليأتياه بجحش وأتان قال « وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما » (متى ٢١ : ٦) ، وليس من المعقول بداهة أن يجلس المسيح عليهما جميعاً فى وقت واحد .. وأما مرقص (١١ : ٧) فيقول « فأتيا بالجحش إلى يسوع وألقيا عليه ثيابهما فجلس عليه » مبينا أنه لم يكن هناك إلَّا جحش واحد جلس المسيح عليه ومع ذلك يخالفهما يوحنا (١٢ : ١٤) كل المخالفة فيقول إن المسيح لم يطلب من أحد أن يأتيه بجحش أو جحش وأتان بل « وجد المسيح جحشاً فجلس عليه » .

هذه هى المعجزات التى ذكرها متى ، وإنك لترى كيف يختلف الآخرون فى رواية كل واحدة منها ، بل لقد رَوَتْ الأناجيلُ الأخرى معجزاتٍ لم يذكرها متى مطلقا وذلك كإحياء المسيح لميت محمول على النعش عند مدينة (نايين) (لوقا ٧ : ١١) وكإحياء المسيح (لألعازار) (يوحنا ١١) ، بل لقد بالغ يوحنا فى آخر إنجيله مبالغة خيالية غريبة فى معجزات المسيح فقال « وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتِبَتْ واحدةً واحدةً فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » (يوحنا ٢١ : ٢٥) ، مع كَوْنى ذكرتُ هنا جميع هذه المعجزات فى بضعة أسطر قليلة وأما كَوْنُ المعجزات إذا كُتِبَتْ فى كُتُبٍ ، فهذه الكتب لا يسعها العالم فأمر غاية فى الغرابة . ولو قال إن الكتب التى تحوى المعجزات لا يسعها القطر المصرى مثلاً لكان الأمر أهون فى الغرابة وأقل فى المبالغة .

وبالرغم من ذكر هذه المعجزات فإن هنالك شواهد فى الإنجيل تثبت عدم حصول أية معجزة للمسيح ومثل ذلك قول متى (١٢ : ٣٨) حكايةً عن المسيح : « حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يامعلم نريد أن نرى منك آية فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلّا آية يونان النبى » وذكر كذلك قول المسيح لهم « جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له إلّا آية يونان النبى ثم تركهم ومضى » (متى ١٦) ، مما يدل على أن المسيح لم يُعْطِ آيةً للجيل الذى كان عائشاً موجوداً فيه . وأما عن مسألة آية يونان النبى فسنتكلم عنها إن شاء الله عند الكلام عن رواية الصلب لأنها لم تحصل أيضاً .

علاقته باليهود

إن الأناجيل الأربعة كلها تعترف اعترافاً صريحاً بكَوْن المسيح عليه السلام نشأ يهودياً وأنه لم يأت بتشريع جديد خاص به بـل كان يدعو اليهود وأتباعه منهم أن يحرصوا على التوراة وأن يعملوا بحسب أوامرها وتُبَيِّنُ أنَّ المسيحَ طُولَ إقامتِه ومُـدَّة دعوته كان آخذاً على عاتقه شَرْحَ الناموس الإسرائيلى وبيان روح التشريع الموسوى ، وتُرِينا كيف كان المسيح دائم التوبيخ لرؤساء اليهود شاتماً إياهم لعدم عملهم بأصول التشريع ومخالفتهم

له . ولقد أظهرت لنا هذه الكتب كذلك قصورَ دعوته على اليهود دون سواهم وأمْرَهُ تلاميذَه بعدم التفاتهم إلى الأمم الأخرى وسنبين كل ذلك فيما يلي وسنثبته الإثبات القاطع من كلام المسيح نفسه وسنلخص ذلك فى خمس نقاط :

أولا – المسيح نشأ يهودياً :

إن من قرأ نسب المسيح الذى بيناه آنفا عرف أنه يهودى الأصل ولقد اخْتَتَنَ عندما تَمَّتْ ثمانية أيام لولادته حسب شريعة موسى (لوقا ٢ : ٢١) وتطهرت أُمُّه حسب الشريعة نفسِها ، وكذلك حُمِلَ إلى أورشليم ليقدَّمَ للرب حسب طقوسهم الدينية ، وقَدَّمُوا له هناك ذبيحة « كما قيل فى ناموس الرب زوج يمام أو فرخى حمام » (لوقا ٢ : ٢٤) ، وعند ما بلغ أشده كان حريصاً على إقامة شعائر دينه ويقال إنه لم يمارس النُّبُوَّة حتى بلغ الثلاثين عاماً .

ثانيا – المسيح لم يأت بتشريع جديد :

ولقد جاهر المسيح قبل أن يبدأ دعوته أنه لم يأت بتشريع جديد ولم يُرْسَلْ لينقُضَ الناموس بل لقد جاء ليكمله[1].. وذلك قوله « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل جئت لأكمل » (متى ٥ : ١٧) ، وتراه بعد ذلك يعلن أن ليس له حق فى الفصل فى الدعاوى وليس له حق الحكم فيها ، بل الحَكَم الوحيد هو التوراة ومثال ذلك قوله لمن طلب منه أن يقسم الميراث بينه وبين أخيه « يا إنسان من أقامنى عليكما قاضياً أو مُقَسِّماً ! » (لوقا ١٢ : ١٤) .

ثالثا – دعوته الناس إلى المحافظة على شريعة موسى :

ولقد أثبت المسيح ذلك بدعوته اليهود إلى المحافظة على شريعة موسى والحرص على اتِّباعِها .. ويبين ذلك ماروواه متى (٢٣ : ١ – ٣) ، فى إنجيله حيث قال : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون » .

---

(١) سيأتى بيان ذلك فى مبحث المسيح فى القرآن الكريم .

وترى مِثْل ذلك قوله لأبرصٍ شفاه « انظر أن لا تقول لأحد بل اذهب أَرِ نَفْسَكَ للكاهن وَقدِّمْ القربانَ الذى أَمَرَ به موسى شهادة لهم » (متى ٨ : ٤) ، والقربان الذى أمر به موسى مفصل كل التفصيل فى الأَصحاح الرابع عشر من سفر اللاويين من ١ إلى ٣٢ ، وهو قوله « وَكَلَّمَ الرب موسى قائلاً هذه تكون شريعة الأبرص »[1] يوم طهره يؤتى به إلى الكاهن ويخرج الكاهن إلى خارج المحلة فإذا رأى الكاهن وإذا ضربة البرص قد برئت من الأبرص يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيان طاهران وخشب أَرْزٍ وقرمز وزوفا ويؤمر الكاهن أن يذبح العصفور الواحد فى إناء خزف على ماء حى وأما العصفور الحى فيأخذه مع خشب الأَرزِ والقرمز والزوفا ويغمرهما مع العصفور الحى فى دم العصفور المذبوح على الماء الحى وينضح على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحى على وجه الصحراء .. إلخ .

---

(١) بمناسبة ذكر البرص نذكر أمراً غريباً وهو ادعاء التوراة الموجودة الآن بين أيدى اليهود والمسيحيين أن أثواب الصوف والكتان والجلد وحيطان المنازل تصاب بالبرص ففى سفر اللاويين ١٣ ، بعد ما ابتدأ من الآية ٤٧ ، يشرح أحكام (الثوب إذا كان فيه ضربة برص ثوب صوف أو ثوب كتان فى السدى أو فى اللحمة من الصوف أو الكتان أوفى جلد أو فى كل مصنوع من جلد وكانت الضربة ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة فى الثوب أو فى الجلد فى السدى أو اللحمة أو فى متاع ما من جلد فإنها ضربة برص فتعرض على الكاهن) إلى قوله فى آية ٥٩ ، (هذه شريعة ضربة البرص فى الثوب الصوف أو الكتان فى السدى أو اللحمة أو فى كل متاع من جلد للحكم بطهارته أو نجاسته) وذلك بعد أن بين ما يفعله الكاهن إزاء الملابس المريضة بالبرص ، وأما حكم الحيطان إذا أصيبت هى الأخرى بالبرص فمفصل كذلك فى لاويين ١٤ : ٢٤ - ٥٣ ، منها أن أهل المنزل إن اشتبهوا فى مرض منزلهم بالبرص يأتوا بالكاهن (فإذا رأى الضربة فى حيطان البيت نقر ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة ومنظرها أعمق من الحائط يخرج الكاهن من البيت إلى باب البيت ويغلق البيت سبعة أيام فإذا رجع الكاهن فى اليوم السابع وإذا الضربة قد امتدت فى حيطان البيت يأمر الكاهن أن يقلعوا الحجارة التى فيها الضربة ويطرحوها خارج المدينة فى مكان نجس) إلى قوله (فإن رجعت الضربة وأفرخت فى البيت بعد قلع الحجارة وقشر البيت وتطيينه) (فيهدم البيت حجارته وأخشابه وكل تراب البيت وتخرجها إلى خارج المدينة إلى مكان نجس .. إلخ إلخ) فهل يمرض الجماد ؟ وهل مثل هذه الأحكام هى أحكام الله ؟ وهل يقول الله جل شأنه مثل هذا الكلام ؟ .

رابعاً – توبيخه لليهود لعدم عملهم بأصول الدين الإسرائيلى :

وترى المسيح فى بعض الأحيان غاضباً لله لاعناً شاتماً اليهود لعدم عملهم بشريعة موسى ، موبخاً الرؤساء لعدم تفهمهم روحَ الدين الإسرائيلى ، متهكماً عليهم لتمسكهم بقشور الأمور دون لُبِّها ومثال ذلك قوله لهم « الويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل » وقوله : « أيها الجهال والعميان أيهما أعظم ، القربان أم المذبح الذى يقدس القربان » وقوله : « أيها القادة العميان الذين يُصَفُّون عن البعوضة ويبلعون الجمل » وقوله : « أيها الفريسى الأعمى نَقِّ أولاً داخل الكأس » وقوله : « أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم » (متى ٢٣) .... إلخ .

خامسا – شرحه لقواعد الناموس :

وترى المسيح إبان دعوته[1] شارحاً لقواعد الناموس مبيناً قواعده ولأضرب لك أمثلة من ذلك قوله لناموسىٍّ سأله قائلاً « يا معلم أية وصية هى العظمى فى الناموس ، فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هى الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » (متى ٢٢ : ٣٦) ومثله قوله للفريسيين الذين لامُوه على مجالسته للخطاة[2] « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى فاذهبوا وتعلموا ماهو إنى أريد رحمة لا ذبيحة لأنى لم آت لأدعوَ أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (متى ٩ : ١٠ – ١٣) وكذلك قوله لهم حين انتقدوا أكل تلاميذه السنابل فى يوم السبت المحرم فيه العمل عند اليهود[3] « أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو

---

(١) يتفق متى ومرقص ولوقا فى كَوْنِ دعوة المسيح كانت عاماً واحداً .

(٢) كانت اليهود لا تعاشر السامريين ويحتقرونهم ولا يعاملونهم كما هو الحال فى احتقار الهنادكة البوذيين لطائفة المنبوذين اليوم (يوحنا ٤ : ٩) .

(٣) « وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك وكل بهائمك ونزيلك الذى فى أبوابك لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك » (تثنية ٥ : ١٤) .

والذين معه[1]. كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله له ولا للذين معه[2] بل للكهنة فقط أو ما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبتَ وهم أبرياء » (متى ١٢ : ١ – ٥) .

وجاء للمسيح كتبة وفريسيون من أورشليم وقالوا له « لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً فأجاب وقال لهم : وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ، فإن الله أوصى قائلا : أكرم أباك وأمك ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً ، وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه ، قربان هو الذى ينتفع به منى ، فلا يكرم أباه أو أمه فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم يا مراؤون حسناً تنبأ عنكم أشعياء قائلا : « يقترب إلىّ هذا الشعب بفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً ، وباطلاً يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » (متى ١٥ : ١ – ٩) ومثله قوله لليهود يوم العيد وهو فى الهيكل « عملاً واحداً عملت فتعجبون جميعاً لهذا أعطاكم موسى الختان ليس أنه من موسى بل من الآباء[3]. ففى السبت تختنون الإنسان ، فإن كان الإنسان يقبل الختان فى السبت لئلا ينقض ناموس موسى أفتسخطون علىّ لأنى شفيت إنساناً كله فى السبت لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حكماً عادلاً » (يوحنا ٧ : ١٩ – ٢٤) .

سادساً – قصور دعوته على اليهود دون سواهم :

وأما قصور دعوته على اليهود دون سواهم فيبينه قوله « لم أرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة » (متى ١٥ : ٢٤) ويشرح هذا قوله لأتباعه وأمره لتلاميذه ألَّا يذهبوا إلى غير اليهود ، فقد جاء فى (متى ١٠ : ٥) « هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع قائلا إلى طريق أمم لا تمضوا إلى مدينة

---

(١) و(٢) قوله (الذين معه) ، (للذين معه) خطأ أو زيادة من الكاتب لأن داود كان وحده (ملوك أول) .

(٣) أى أن الختان ليس من وضع موسى بل إن الله هو الذى أمره به كما أمر الرسل والأنبياء من قبله وقد علمت من قبل أن المسيح خُتِنَ كذلك ولليوم يحتفل المسيحيون باليوم الذى ختن فيه .

للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة »[1].

تعاليمه

وبالرغم من الأدلة الناطقة التى بَيَّنَّاها وشرحناها وأثبتنا فيها محافظة المسيح على إقامة شعائر الدين الإسرائيلى ، وعمله على حِفْظِ قواعِده وتدعيم بنائه ونشر تعاليمه .. نرى الأناجيل الأربعة تنسب إلى المسيح أقوالا يخالف بها أقوالاً أخرى قالها بنفسه فى هذه الكتب عينها .. مما يحير العقل ويجعلنا نشك فى الروايات ونوقن بالتحريف ، وبحسب رأينا نستطيع أن نرجح الكفة التى تقارب التوراة ، وذلك استناداً على ما بَيَّنَّاه فى الشعبة السادسة ، وهاك أمثلة من هذه التعاليم :

أولا – الأمر بالمحبة والتسامح يناقض الأمر بالبغض والانتقام :

لا تكاد ترى فى الإنجيل روح الاستسلام للعدوٌ المعتدى والتذلل للمسىء المتعنت والعفو عن الظالم العاتى ، حتى تراه وقد استل سيف البطش وشَهَرَ حربَ البُغْضِ ودعا إلى التنكيل والانتقام .

يفسر الروح الأول قول المسيح : « سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً ومن سخرك ميلاً فاذهب معه اثنين » « سمعتم أن قيل تحب قريبك وتبغض عَدُوَّك ، وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصَلُّوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » (متى ٥ : ٣٨ – ٤٤) .

ويفسر الروح الثانى قوله : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاماً[2] بل سيفا » (متى ١٠ : ٣٤) وقوله « أتظنون أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض كلا أقول لكم بل انقساماً »

---

(١) يُراجَع كذلك متى ٧ : ٦ .

(٢) يقول المسيح نفسه (طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون) متى ٥ : ٩ وبما أنه لم يأت ليصنع السلام فلا يصح أن يُدْعَى ابن الله أى حبيبه كما سنبين فيما بعد .

(لوقا ١٢ : ١٥) ومثله قوله « جئت لألقى نارا على الأرض فماذا أريد لو اضطرمت » (لوقا ١٢ : ٤٩) .

ثانياً – إكرام الوالدين وحبهما يناقض إهانتهما وبغضهما :

وقد جاء فى الإنجيل قول المسيح « إن الله أوصى قائلا أكرم أباك وأمك ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا » (متى ١٥ : ٤) وقوله : « أكرم أباك وأمك » (متى ١٩ : ١٩) .

ومع ذلك فقد جاء ما يناقضه وذلك مثل قوله : « إن كان أحد يأتى إلّى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وإخوانه حتى نفسه[1] أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (لوقا ١٤ : ٢٥) ومثل ذلك قوله لمن جاء يخبره قائلاً « أمك وإخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك فأجاب وقال للقائل : من هى أمى ومن هم إخوتى ، ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى وإخوتى » (متى ١٢ : ٤٧) ومثْل ذلك مَنْعُه أحد أتباعه أن يذهب ليدفن أباه (لوقا ٩ : ٦٠) .

ثالثا – تحريم القتل يناقض الأمر به :

بينما ترى المسيح يحرم القتل (متى ١٩ : ١٨) تجده يحض على التمثيل بالأبرياء .. وينادى بذبح الآمنين ويدعو إلى تمزيقهم شر ممزق وإنك لتجد ذلك ممثلا فى قوله : « أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى »[2] (لوقا ١٩ : ٢٧) .

---

(١) لا يستطيع المرء أن يحب ويبغض بحسب إرادته ولو استطاع فكيف يبغض نفسه .

(٢) الكنيسة تستعمل هذا المبدأ عند الحاجة ومثل ذلك هو التعدى الشائن الذى قامت به أوروبا كلها فى الحرب الصليبية ضد المسلمين بإيعاز من البابا (أريان الثانى) الذى وضع نواتها إذ جمع سنة ١٠٩٥ فى كليرمنت مجمعا يمثل كل طوائف غرب أوروبا بحضور ١٢٥ أسقفاً وأمرهم بإفناء المسلمين على بكرة أبيهم . وَكُتُب التاريخ تروى الفظائع التى ارتكبها الصليبيون فى حروبهم التى استمرت من ذاك التاريخ حتى انتهت سنة ١٢٩١ م وكانوا أثناءها يجهزون على الجرحى ويفتكون بالنساء والأطفال ومن ذلك قتلهم أهل (بلبيس) جميعاً عند دخولهم مصر سنة ١١٦٨ م .

وتروى كتب التاريخ كذلك ما فعله المسيحيون فى الأندلس من الوحشية والظلم مما يطول بنا شرحه من تقتيل المسلمين وتذبيحهم وتمزيقهم كل مُمَزَّق بل لا يجهل أحد سلطة محكمة =

وبهذه المناسبة أذكر حكاية غريبة وقعت مع بطرس الذى كان متبعا لهذا المبدأ فقد قتل بِطَريق المعجزة رجلاً اسمه (حنانيا) لأنه باع حقله وسلم ثمنه له بعد أن أبقى لنفسه جزءاً يسيراً منه ثم قتل بعده بثلاث ساعات امرأة الرجل وتسمى (سفيرة) وذلك لكونها أنكرت حقيقة ثمن حقل زوجها عنه ، فهل هناك تشريع يجعل مثل هذا الإنكار له القتل جزاء ، أو هل يجازى بالقتل امرؤ حجز لنفسه جزءاً من ماله (أعمال ٥ : ١ - ١١) .

رابعا - تحريم الخمر والربا وتحليلهما :

الدين الإسرائيلى يُحَرِّمُ الخمر تحريماً باتاً فى بعض المواضع[1] ولقد جاء كذلك فى الأناجيل ما يشير إلى تحريمها (لوقا ١ : ١٥) ومن الغريب أن هذه الكتب عينها تنادى بتحليلها ، فمن ذلك قول المسيح عن نفسه « جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر » (متى ١١ : ١٩) وكذلك قول (متى ٢٦ : ٢٧) « عن المسيح أنه أخذ الكأس وشكر وأعطاهم - أى التلاميذ - قائلا : اشربوا » ولقد ذكر يوحنا أن أول معجزة كانت للمسيح هى تحويله الماء خمراً فى عرس قانا الجليل حتى شرب جميع الحاضرين وذلك حينما نفذت منهم الخمر ، ولقد عَقَّبَ على ذلك يوحنا بقوله : « هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه » بعد أن سَكِرُوا طَبَعاً ، وتُراجَعُ هذه الحكاية فى (يوحنا ٢ : ١ - ١١) وتراه فى الأصحاح الرابع يذكر أن المسيح أعاد الكرة ثانياً ، قال : « فجاء يسوع أيضاً إلى قانا الجليل حيث صنع الماء خمراً » (يوحنا ٤ : ٦٤) ، ويؤخذ من الأناجيل أن المسيح كان يشرب الخمر طول مدة دعوته .

= التفتيش الكاثوليكية ووحشيتها التى أضرب لك منها مثلاً ما فعلته من سنة ١٤٨١ م إلى سنة ١٤٩٩ م إذ حكمت على ١٠ آلاف ومائتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأُحْرِقُوا ، وعلى ٦ آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا ، وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت حتى إذا ما جاءت سنة ١٨٠٨ م بلغ من حوكموا ٣٤٠ ألف نسمة منهم نحو ٢٠٠ ألف أحرقوا بالنار أحياءً .

(١) وفى مواضع أخرى يحلله (تثنيه ١٤ : ٢٦) .

وأما عن تحليله الربا ودعوته إليه .. فيؤخذ من الحكاية المنسوبة إلى المسيح عن الرجل الذى سلم عبيده أمواله ورواها متى فى الأصحاح الخامس والعشرين ، والغريب أن اليهود يزعمون أن التوراة تقول : « للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » (تثنية ٢٣ : ٢٠) ، واعتقادى أن الخمر والربا محرمان تحريماً مطلقاً عند كل من موسى وعيسى عليهما السلام .

خامسا – عدم عقاب الزانى يخالف الأمر بتخليص العالم من شروره :

ذكر يوحنا أن الكتبة والفريسيين جاءوا إلى المسيح عليه السلام وكان يُعلِّم الشعب فى الهيكل ومعهم امرأة متلبسة بجريمة الزنا ليروا رأيه فيها .. ولكنه لم يعاقبها بل تركها وشأنها مع تصديقه بزناها (يوحنا ٨ : ٢ – ١١) مخالفاً الناموس ضارباً بالتشريع الإسرائيلى عرض الحائط (تثنية ٢٢) .

ولكنك تراه فى ناحية أخرى مطيعاً لشريعة موسى .. بل تجده أكثر منه تشدداً فى إقامة الحدود .. وإن ذلك ليتمثل فى قوله : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء ، لا تزن وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » (متى ٥ : ٢٧ – ٣٠) .

والذى يرى قلع عين من ينظر إلى امرأة نظرة شهوة يرى أن رجم الزانى هو أهون عقاب له ، فإنَّه خير للعالم أن يتخلص من الزانى من أن ينتشر فيه الفسق والفساد ويفتك به الزنا والفجور .

سادسا – الرهبنة وبقاء العالم :

يذكر متى فى إنجيله أن المسيح كان يدعو الناس إلى تَرْكِ الدنيا وعدم العمل لها بل يذكر أن المسيح غالى فى ذلك فدعا إلى الرهبنة وَرَغَّب فى عدم الزواج فقال : « يوجد خِصْيان وُلِدُوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » (متى ١٩ : ١٢) ومعنى ذلك أنه يأمر أتباعه

أن يخصوا أنفسهم خصياً جراحياً أو على الأقل يأمرهم ألّا يتزوجوا ويلزمهم بمحاربة سنن الكون والخليقة ، ولو فرضنا أن الناس جميعاً اتبعت هذا المبدأ لأصبح العالم فى نحو قرن قفراً من الناس خلواً من البشر .

ولكون هذا الأمر تستحيل إجابته ويندر من يستطيع تنفيذه كما يجب ، اعترف متى بذلك . ولكنه ذكر أن من تزوج ثم فارقته امرأته بالموت مثلا فلا يصح أن يتزوج أو يعد زانياً (متى ١٩ : ٩) وذكره أن الطلاق لا يكون إلا بالزنا .. فهذا أمر شاق كذلك بل تكليف بما هو فوق الطاقة البشرية وإنك كثيراً ما تجد القرينين فى أمس الحاجة إلى الطلاق بل إن المصلحة الاجتماعية قد تقتضى فراق اثنين لا تتفق روحهما بل هنالك من الأمراض الفتاكة المميتة والعلل العصبية المستعصية والحالات النفسية الشاذة مايدعو إلى الطلاق السريع ويلزمه ، وإننا نعلم جميعاً أن العائلة ماهى إلّا أساس المجتمع ونواة وجوده فإذا انفصمت عُرَاها وتحللت أجزاؤها تداعى بنيان المجتمع الإنسانى وتقوضت دعائمه وانهار بنيانه وحينئذ تكون الطَّامَّة الكبرى على البشرية والاجتماع ، ولأضرب لك مثلاً من بعض الحالات التى يتحتم فيها الفراق ويلزم معها الطلاق وذلك كإصابة أحد القرينين بالبله أو العته أو الجنون أو بالأمراض التناسلية العصبية كمرض سادى وسوشر ماسوك والفيتشزم والنفور الجنسى ومرض تحقير المرأة والاسترجال والتأنث إلى غير ذلك مما تجده محصوراً فى كتب التناسليات .

ومعظم كنائس اليوم ماعدا البعض من الكاثوليكية منها إذ وجدت ميزة الطلاق خالفت قول المسيح وحللت الطلاق بل وأحلت زواج المطلق والمطلقة بغير قيد أو شرط .

سابعاً – الاستغناء عن الضروريات :

تروى الأناجيل أن المسيح قال : « إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى » (متى ١٩ : ٢١) أى تجرد عن ممتلكاتك لكى تكُون مسيحياً وقوله : « إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله » (متى ١٩ : ٢٤) أى أن الغنى مطلقاً لاسبيل له إلى دخول الجنة ولو لم

يرتكب إثماً ولم يأت معصية وأشد منه قوله : « لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا »[1] (متى ١٠ : ٩) وأكثر من ذلك قوله : « لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليس الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس »[2] « فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس » « فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفى اليوم شره » (متى ٦) وكذلك قول (لوقا ١٢ : ٢٤) « تأملوا الغربان إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها ، كم أنتم بالحرى أفضل من الطيور » فهل يمكن للإنسان أن يأكل ويشرب أو يعيش بغير سعى والسماء كما تعلم لا تمطر ذهباً ولا فضة ؟! .

والظاهر أن كاتبى الأناجيل وضعوا أحاديث الرهبنة وعدم السعى لطلب الرزق ونسبوها للمسيح لأنهم كانوا يعتقدون أن القيامة قائمة فى جيلهم ويخالون أن زمنهم هو آخر الزمان وفى أيامهم سوف يفنى العالم (متى ١٦ : ٢٨ ، ٢٤ : ٢٩ - ٣٤) ، (لوقا ٢١) ، (يوحنا ١ : ٥١) إلخ .

طلب اليهود له لصلبه

وسنذكر هذا الموضوع عند الكلام عن روايتى الفداء والصلب .

القسم الثانى من المبحث الأول

الأناجيل الأربعة وإنجيل المسيح

قد ظهر لنا جلياً أنَّ حَمْلَ كُلٍّ من الكتب الأربعة اسم (إنجيل) خطأً وبُعْدٌ عن الحقيقة والإنصاف وذلك هو ما دعا إلى وضع اسم (موعظة) مكان لفظ (إنجيل) فى النسخ المكتوبة باللغة السريانية اليوم وهى لغة المسيح التى كان يتكلم بها .

(١) يروى مرقص ٦ : ٨ هذا الحديث نفسه مع جواز حمل العصا .
(٢) هل تظل الحياة بغير طعام ويستغنى الجسد عن اللباس والغطاء ؟! .

إن اسم (إنجيل) لا يصح مطلقاً أن يسمى به غير إنجيل المسيح نفسه ، أي الإنجيل الذى أنزل إليه من ربه وأشير إليه فى القرآن الكريم وإلا فهل أُنزِلَ على كُلّ من المبشرين إنجيلٌ كذلك ؟! .

إن إنجيل المسيح ربما كان هو الذى أشار إليه (مرقص ١ : ١٤ ، ١٥) فى قوله : « وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .

فأين هذا الإنجيل المشار إليه ؟ فلئن قلنا إن الأربع مواعظ (متى ، مرقص ، لوقا ، يوحنا) تمثل كلها الإنجيل متماسكة غير منفصلة ، فما بال هذا التناقض الغريب فيما بينها ! فإن شخصاً واحداً - بله الله تعالى - لا يمكن أن يروى قولا واحداً أو يبين حالة واحدة أو يحكى قصة واحدة بمثل ذلك التناقض الذى بينّا أمثلة منه فيما سبق .. بل إن الشخص الواحد لا يصح أن تختلف عنه الروايات مهما تعددت حكاياتها واختلفت أساليب بيانها .. ولقد قال تعالى عن القرآن الكريم :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [1]

أى لوجدوا فيه اختلافات ومتناقضات وأغلاطاً كتلك التى فى كتبهم المقدسة والتى على حد تعبير (يوحنا ٢١ : ٢٥) ، إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة .

وإذا زعم امرؤ أن واحداً من الأناجيل الأربعة هو إنجيل المسيح فأى هذه الكتب يصح أن نُسَمِّيَهُ بذلك ؟! .

وقبل الإجابة على مثل هذ السؤال . يجب أولا أن نبين أصلَ هذه الكتب ومنشأ تكوينها وكيفية كتباتها وحال مُصَنِّفِيها وطريقة تمييزها عما سواها مما

---

(١) النساء : ٨٢ .

يماثلها . ونذكر الزمن الذى وجدت فيه وما تحويه مما ينسب إلى المسيح عليه السلام .

(١) الكتب الأربعة ليست من إنشاء المسيح أو إملائه وليست وَحْيًا :

إن من يقرأ الأناجيل الأربعة لا يقدر أن يقول إنها من إنشاء المسيح بأى حال .. ولا يستطيع أن يقول كذلك إنها من إملائه .. وذلك لأنه لا داعى مطلقاً أن نقول إن خطابا يرسله أحد الناس إلى صديقه يحكى له فيه قصة سمعها أو أخباراً وصلته من طريق الرواية أنها مُوحى بها أو أنها من إنشاء غيره أو إملائه لأنه من الواضح أنها من كتابته هو .

إنجيل لوقا مثلاً ، ماهو إلَّا خطاب أرسله هو إلى صديقه العزيز ثاوفيلس يحكى له فيه عما سمعه عن رجل يسمى المسيح أرسله الله ليهدى اليهود الذين حَرَّفُوا كتابهم وتركوا تعاليم رسولهم ويذكر له فيها المعجزات التى صنعها هذا الرسول لإثبات رسالته ، ولأجل بيان ذلك أذكر لك نصَّ ما كتبه لوقا الغير حوارى فى مطلع كتابه الذى يسمونه باللغة العربية إنجيلا . والذى كُتِبَ بعد رَفْعِ عيسى بعشرات السنين : « إن كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ تيقنت كُلَّ شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » ثم ابتدأ قصته قائلا :

« كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هرون واسمها اليصابات وكان كلاهما بارين أمام الله ... إلخ » (لوقا ١ : ١ – ٦) .

فهل هذا الخطاب كتبه عيسى عليه السلام ؟! .. أو هل كان هذا الخطاب من إملائه ؟! .. أو هل فى هذا الخطاب ما يدعو إلى التفكير فى كونه من عند الله !!! .. كلا والله .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[1]

وإننا إذا تمعنا قليلاً فى مطلع هذا الإنجيل وجدنا جُمله غير مرتبط بعضها ببعض . وسياقها معدوم الاتصال والانسجام . الشىء الذى يشعر بالتحريف ويدعو إلى الشك فى الرواية . وترانا إذا حذفنا الجمل المعترضة التى لا تنسجم مع الحديث وجدنا مطلع إنجيل لوقا هكذا : « إن كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة .... رأيت أنا أيضاً .... أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس .... » ولعل المترجمين أو المحررين قد زادوا الجمل المعترضة ليشعروا القراء أن هذه القصة موحى بها أو أنها من عند الله تعالى وإنك لترى التحريف ثابتاً فى أصل الأناجيل الأربعة وأظن أنى بينت ذلك وَأَثْبَتُّه إثباتاً قاطعاً فى التناقض الذى ضربت منه الأمثلة الكثيرة فيما سبق من ذكر الحالات المتعلقة بالمسيح عليه السلام .

وبصرف النظر عن هذا .. نستطيع أن نحلل قول لوقا فى مطلع إنجيله ونعرض كلامه على العقل ونلخصه أمام القارئ فى سبع نقاط فنقول :

(ا) يتبين لنا من إنجيله أن كثيرين هم الذين كتبوا مثل ما كتبه لوقا فى بيان حال المسيح وكانت كتاباتهم صحيحة وذلك قوله : « فى الأمور المتيقنة عندنا » .. وبما أن كتابه إنجيل فتكون أناجيل كثيرة قد كتبت قبل إنجيله مع كونه لم يقتبس فى إنجيله شيئاً منها ولم يعين أحدها .

(ب) يؤخذ من كلامه أنه يؤلف قصة لصديقه ولا يروى تاريخاً وهذه القصة يؤلفها على عدة دُفَعٍ .

(جـ) يتبين أن هذا الخطاب من كلامه وليس من كلام المسيح ولا دخل للوحى فيه .

---

(١) البقرة : ٧٩ .

(د) لايُعْرَفُ بالضبط التاريخُ الذى كَتَبَ فيه لوقا إنجيله ، ولو أن مؤرخى المسيحية يغلب على ظنهم أنه كتبه مابين سنة ٦٠ ، ٧٠ ميلادية أى قبل أن يكتب متى ومرقص ويوحنا أناجيلهم ، فعلى هذا كان هنالك أناجيل كثيرة صحيحة – على حسب كلام لوقا – تاريخها قبل تاريخ الأناجيل الأربعة الموجودة الآن .. فأين هى ؟ .

(هـ) وأما قوله : « كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة » فليس عليه دليل ، فقد كان عليه أن يذكر لنا أسماء الحواريين الذين سمع منهم قصته أو قرأها عنهم أو يبين لنا حال من روى عنهم إطلاقا . وبما أن إنجيله كما ذكرنا أقدم الأناجيل وبما أنه ليس لدينا أناجيل أقدم من الأناجيل الأربعة على زعم المسيحيين بل بما أنه ليس لدينا النسخة الأصلية التى تنسب إلى لوقا فتكون هذه الجملة دخيلة ولم تسلم القصة إليه من موثوق بهم لجهلنا إياهم ولما قدمنا من الأمثلة .

(و) وأما قوله : « إذا تيقنت كل شيء من الأول بتدقيق » فمردود أيضاً لأن لوقا ليس من الحواريين ولم يثبُتْ أنه صاحَب المسيحَ أو قابله أو رآه .. ولو كان كتب بتدقيق لزِمَ على الأقل ألّا يخالف متى ويوحنا الحواريين .

(ز) أما قوله : إنه يكتب لثاوفيلس ليعرف صحة الكلام الذى علم به فليس فيه شيء من المنطق ، وإنما الإثبات يكون بإظهار الحجج الدامغة والبراهين التى لايَدْخلها الشك لا مجرد الحكاية والرواية .. ثم بجانب ذلك يشترط فى أتباع المسيح أن يأتوا بالمعجزات (مرقص ١١ : ٢٣) بل ويعملوا من المعجزات أعظم مما عمله عيسى نفسه (يوحنا ١٤ : ١٢) ولم يُرْوَ عن لوقا أنه صنع معجزة واحدة .

هذا مَثَلٌ ضَرَبْتهُ من إنجيل لوقا .. ثم إننا إذا رجعنا إلى متى وقرأنا مطلعه تبين لنا أن كتابه ليس إنجيلاً بل هو « كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود ابن إبراهيم .. إلخ » (متى ١ : ١) وبهذا يمكن الحكم على الإنجيلين الباقيين على أساس ماقدمنا .

(٢) الأناجيل الأربعة تَنْسُبُ إلى المسيح أقوالًا لا تُعْقَلُ وأخبارًا لم تتحقق :

والأناجيل الأربعة تنسُبُ إلى المسيح أقوالا لا تعقل وتَرْوِى عنه أنه أَخْبَرَ عن أشياء وحوادث لم تتحقق : ألا ترى إلى مرقص مثلا كيف يحكى فى إنجيله أن المسيح كان يقول « الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل إلا ويأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتاً وأخوة وأخوات وأمهات وأولاداً وحقولاً مع اضطهادات وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية »[1] (مرقص ١٠ : ٢٩) .

فهل حقيقة أنَّ مَنْ يترك من أجل المسيح بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولا يأخذ مائة ضعف فى هذا الزمان مع اضطهادات !؟ .. ومن أين يحصل المرء على مائة بيت ومائة أخ ومائة أب ومائة أم ومائة ابن ومائة حقل ؟! .

إننا لا يمكننا اعتبار هذا مجازاً .. وإلَّا فهل يستطيع امرؤ فقد زوجته من أجل المسيح أن ينكح مائة امرأة أخرى مع كون المسيح فى الأناجيل الأربعة يحرم نكاح المطلق أو المطلقة كما بينا عند الكلام عن (الرهبنة) فى تعاليم المسيح ؟! .

وأما التنبوءات الأخرى التى لم تتحقق وتعزى إلى المسيح فهى كثيرة أذكر منها بعض مارواه متى ويوحنا الحواريين :

(متى ١٩ : ٢٨) يَذْكُرُ أن المسيح كان يقول للحواريين الاثنى عشر « الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط بنى إسرائيل » وفى هذا خطآن ، الأول منهما : أن الحواريين الاثنى عشر لم يكن

---

(١) يوحنا ١٨ : ٢٨ - ٣٠ ، لوقا ١٨ : ٢٩ يخالفان بطرس فى هذا فلا يذكران الأخوات أو الحقول ويذكران لفظ والدين بدل الأب والأم ثم يقولان أن من ترك هذه لا يأخذ مائة ضعف بل أضعافاً كثيرة فقط ويخالفاه فى كون من يفقد هذه يأخذ ما بينه مع اضطهادات ولكنهما يتفقان معه فى كون البعوض يكون (فى هذا الزمان) أى فى زمن المسيح كذلك .
ومتى ١٩ : ٢٩ مخالف كذلك فى الرواية .

لهم سلطة على أسباط بنى إسرائيل مطلقاً حتى بعد رفع المسيح ، والثانى : أن يهوذا الأسخريوطى كان أحد الحواريين الاثنى عشر .. وقد زعموا أنه ارتد آخر أيامه وكفر فكيف يكون كالباقين ؟! .

(متى ١٠ : ٢٣) يذكر كذلك قول المسيح للحواريين « ومتى طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فإنى الحقَّ أقول لكم لا تكملوا مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان » وقد كملوا مدن إسرائيل ومضى تسعة عشر قرناً ولم يأت ابن الإنسان (المسيح) .

(متى ٢٦ : ٦٤) يروى كذلك قوله : « من الآن ترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء » ولم يَدَّعِ واحدٌ من المسيحيين أن هذا حصل أو أن المسيح أتى على سحاب السماء عن يمين القوة .

(متى ١٦ : ٢٨) « الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته » وقد مات معاصروه كذلك منذ ١٩ قرناً وزيادة ولم يروا المسيح آتياً فى ملكوته .

(متى ٢٤ : ٢٩ : ٣٤) يروى عن المسيح أنه قال : إن يوم القيامة لا محالة واقع فى عصره ، وأهوالها لاشك حادثة فى جيله وفى أيامه ، وقد ذكر متى أن المسيح أخذ يشرح هَوْلَ القيامة ثم عَقَّبَ قائلا : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماء تتزعزع ..... الحق أقول لكم لايمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » فهل العالم قد زال منذ تسعة عشر قرناً ونحن عن ذلك غافلون !! .

(يوحنا ١ : ٥١) « الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » وهو مما لم يحصل بداهة .

(يوحنا ٨ : ٥١) « الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد » والحواريون على الأقل حفظوا كلامه وماتوا كلهم منذ تسعة عشر قرناً كذلك ، والموت طبعاً هو خروج الروح التى لا تفنى من الجسد الذى يبلى بمفارقتها له ، فهل الحواريون موجودون الآن أحياء وهل البابوات والقسس والرهبان والكهنة كذلك لم يموتوا ؟! .

لئن قلنا إن أرواحهم باقية ، فكذلك أرواح الأشرار باقية ، فالأرواح إما باقية فى الجنة أو فى الجحيم ، أما كون الذى يحفظ كلام المسيح لايموت إلى الأبد فهذا ليس من قول المسيح عليه السلام .

(٣) شيوع التحريف وقت كتابة الأناجيل :

ولعلك لا تأخذك الدهشة إذا علمت أن التحريف كان منتشراً أشد الانتشار وقت كتابة الأناجيل ، فلقد كان وقتئذ فى مقدور أى شخص أن يدعى أنه من أتباع المسيح . وأنه يقول مايقول بإلهام ، وأن الله تعالى حَلَّ فيه ونزل عليه على شكل ألسنة منقسمة كأنها من نار (أعمال ٢ : ٣) فيجد له أتباعاً وأنصاراً ومريدين .

ويثبت شيوع التحريف والادعاء من قول بولس « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو . غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن تحولوا إنجيل المسيح » (غلاطية ١ : ٦ ، ٧) وقوله : « ولكن ما أفعله سأفعله لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي يوجدوا كما نحن أيضاً فى مايفخرون به لأن مثل هؤلاء رُسُلٌ كَذَبَةٌ فَعَلَةٌ ماكرون مُغَيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح » (٢ كو ١١ : ١٢ ، ١٣) .

(٤) ثبوت التحريف فى الأناجيل القديمة :

أما التحريف فى الأناجيل القديمة فهو ثابت قطعاً ، وإنى أكتفى بإثباته مما ذكرت من الاختلاف فى الأناجيل الأربعة فيما ترويه عن المسيح من حيث نسبه وحياته الأولى وتعرفه بيحيى والاختلاف فى شأن تلاميذه ومعجزاته ... إلخ إلخ ، والبعض الآخر سيثبت فيما يلى من الأبحاث .

(٥) ثبوت التحريف فى الأناجيل الحديثة :

وأما التحريف فى الأناجيل الحديثة فثابتٌ ثبوتاً قاطعاً فى الأناجيل المطبوعة اليوم بين أيدينا ، فالكتاب المقدس طباعة الكاثوليك يخالف الكتاب المقدس طباعة البروتستانت اختلافاً جوهرياً يمس العقائد الأساسية عندهم والمسائل الهامة فى تعاليمهم .

وسأضرب لك مثلا من ذلك بعض ماهو مختلف فى الطبعتين المذكورتين .. مما لايتسع المجال لأكثر منه :

العهد الجديد طباعة الكاثوليك	العهد الجديد طباعة البروتستانت
(متى ١٦ : ١٨) وأنا أقول لك أنت صخرة وعلى هذه الصخرة أبنى بيعتى .	وأنا أقول لك أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى .
(لوقا ٢٢ : ٣١) ثم قال الرب سمعان سمعان هوذا الشيطان سأل أن يغربلكم مثل الحنطة أنا أطلب لئلا ينقص إيمانك وأنت تارة راجعاً ثبت إخوتك .	وقال الرب سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم ليغربلكم كالحنطة وإنى طلبت من أجلك لكى لا يفتنى إيمانك وأنت متى رجعت ثبت إخوتك .
(لوقا ١ : ٢٨) فلما وصل إليها الملاك قال السلام لك يا ممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت فى النساء .	فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت فى النساء .
(متى ٦ : ٧) وإذا صليتم فلا تكثروا[1] الكلام مثل الوثنيين لأنهم يظنون أن يسمع لهم بكثرة كلامهم .	وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلا كالأمم فإنهم يظنون بكثرة كلامهم يستجاب لهم .

وليست هذه المخلفات والتحريفات هى مجرد اختلاف الألفاظ ، ولكنها تمس المواد الجوهرية والاعتقادات المختلفة التى يبنى عليها الكاثوليك

(١) الكاثوليك فى تلاوة المسبحة يكررون الصلاة الربية خمس مرات والسلام الملائكى خمسين مرة لمريم .

والبروتستانت عقائدهم الدينية ، فالمثل الأول مثلا : يتخذه الكاثوليك حجة فى كون المسيح أعطاهم السلطة التى تخول لهم سن الشرائع ووضع القوانين مما يبينه ما بعدها فى قوله لبطرس « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء وكل ماتحله على الأرض يكون محلولا فى السماء » .

فالكاثوليكى يجعل بطرس ومن يخلفه فى رياسة الكنيسة الصخرة التى هى أساسها ، والبروتستانتى ينكر هذه البيعة التى تخالف مذهبه إذ لا يرى لرجل الدين أن يخالف تعاليم كتابه ويغير فيه مع كونه هو نفسه يغير فيها ما شاء له الهوى ، فلا ترى طبعة من طبعات البروتستانت للكتاب المقدس إلّا وتغاير سابقتها .

وترى البروتستانتى فى المثال الثانى يرى أن بطرس يجوز أن يفنى إيمانه ، والكاثوليكى يقول إنه ينقص فقط ولا يفنى جملة .

والكاثوليكى فى المثال الثالث يقول إن مريم ممتلئة نعمة أى أنها مقدسة ، ولكن البروتستانتى يرى خلاف ذلك ويقول إن الله ينعم عليها كسائر البشر .

وكذلك الحال فى سائر العقائد والاختلافات بين سائر الآيات ، وترى أمثله منها فى بركسيس (١٥ ، ٤١ ، ٢) ، (تسالونيكى ٢ : ١٤ ، ٢) ، (بطرس ١ : ١) ، (٢ ثيموثاوس ٤ : ٨) ، (الجامعة ٩ : ١ ، ٢) ، (يعقوب ٥ : ١٤) ، (بركسيس ١٤ : ٢٢) ، (ملاخيا ١ : ١٠ ، ١١) ، (١ كو ٩ : ٥) ، (رؤيا ١٤ : ١ - ٦) ... إلخ إلخ .

فأى الكتابين هو الحقيقى ؟ وعلى أى أساس كان هذا التحريف ؟ .

(٦) الأناجيل كُتّابُها مجهولون وكل منهم يجهل ما كتبه الآخر :

لم ينكر أحد من علماء المسيحية المحققين أن الأناجيل الأربعة الموجودة صورها اليوم - أى الأصول الموجودة فى الكنائس - ليست إلّا تراجم لنسخ أو لرسائل ألفت فى عهد قديم .. وذلك أن من يقرأها يتبين له فى الحال أنها ليست من إنشاء مؤلفيها ، وأكبر دليل على ذلك هو وجود الجمل التى لابد وأن تكون من كلام المترجمين .

ومثال ذلك ما جاء فى (متى ٢٤ : ١٥) « متى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس – ليفهم القارئ – فحينئذ ليهرب الذين فى اليهود إلى الجبال » ، وواضح أن جملة « ليفهم القارئ » الاعتراضية هى تنبيه من المترجم .

وكذلك حكم الجملة « الذى تفسيره مرسل » الموجودة ضمن كلام (يوحنا ٩ : ٨) « وقال له : اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مرسل » ومثله ما جاء فى (لوقا ٧ : ٣١) « ثم قال الرب : فبم إذن أشبه هذا الجيل أو ماالذى يشابهونه ؟ » ، فان « ثم قال الرب » هى كذلك توضيح من المترجم وهى من كلام الناقل .

وأوضح من ذلك ما جاء فى آخر يوحنا « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم أن شهادته حق » ومثله ماجاء فى (يوحنا ١٩ : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) قوله : « لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أن يقول الحق لتؤمنوا أنتم لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه » ، وظاهر تماماً أن الجملة « والذى عاين شهد وشهادته حق وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم » ليست من إنشاء نفس الكاتب الذى كتب الباقى .

هؤلاء المترجمون لا تعرف الكنيسة عنهم شيئاً ، ولا يعلم علماء المسيحية التواريخ التى ترجمت فيها كتبهم ، أو الزمان الذى نسخت فيه ، ولا يعلم أحد هل المترجمون ذوو إلهام أم غير ملهمين ، ولا يدرى أحد أمسيحيون هم ، أم يهود ، أم صابئون ، أم مشركون ؛ ولا نعرف عن أمانتهم ، أو دقة معرفتهم باللغات شيئا[1]. فلا يبعد أنهم هم الذين شوهوا الأصول ، وبدلوا المعانى ، وحرفوا الألفاظ ، وأتوا بالعجب العجاب[2].

هذا هو ما يتعلق بالمترجمين وحالهم ، وأما ما يتعلق بالأشخاص المنسوبة

---

(١) التراجم العربية والإنجليزية فى غاية من ركاكة الأسلوب وضعف اللغة فما بالك بالمترجمين القدماء المجهولين .

(٢) عد (ميل) التحريفات التى فى الإنجيل فوجدها ثلاثين ألفا ووجدها كريسباخ خمسين ومائة ألفاً وقررت دائرة المعارف البريطانية فى المجد التاسع عشر أن التشويهات بلغت ألف ألف (١,٠٠٠,٠٠٠) .

إليهم الأناجيل ، فهذا نتركه للعلماء المسيحيين أنفسهم ليبينوه .

فأما عن إنجيل متى فلا يعلم أحد من علمائهم باللغة الأصلية التى كتب بها هذا الإنجيل . فذهب بعضهم إلى كونه ربما كتب باليونانية . وزعم الآخرون أنه يجوز أن يكون قد كتب بالعبرانية أو اللاتينية .

ولم يستطع أحد ألبتة أن يعين الزمن الحقيقى الذى كتب فيه أى كتاب من الكتب الأربعة .

وأما عن نسبة إنجيل متى إلى متى الحوارى فقد جاء فى كتاب (حياة المسيح) للأب (ديدون) أن بعض الثقاة قال بأن الإنجيل الحالى المنسوب إلى متى ليس من كتابته[1]. بل هو مقتطف من أصل مفقود كان ينسب إلى متى الحوارى .

بل لقد نادى (فاستس) فى القرن الرابع وهو من علماء (مانى كيز) أن الإنجيل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه .

وأما عن إنجيل لوقا[2]. فقد قرر (أشلاير ماخر) فى كتابه (الأبحاث عن إنجيل لوقا) أن إنجيل لوقا ماهو إلا كُتُبٌ مختلفة كُتِبَتْ فى أزمنة غير معينة بواسطة قوم مجهولين .

وأما عن مرقص فقد قال (رويس) الألمانى إنه كان الأصل الذى اقتبس منه إنجيلا متى ولوقا .

وأما عن إنجيل يوحنا فقد قال هذا العلامة نفسه ، إنه عبارة عن رأى لأحد المسيحيين نزع فيه إلى بيان رأيه الخاص فيما أتى به المسيح عليه السلام .

ولقد أكد (إستادلن) أن إنجيل يوحنا ليس إلا كتابا كتبه بعض الطلبة من مدرسة الإسكندرية[3].

وقد استبعد مسيو (موريس فرن) فى (دائرة المعارف البريطانية)[4]

---

(١) ويزيد هذه الشبهة قوة أن الكتابة فى هذا الإنجيل ليست بضمير المتكلم كما فى لوقا مثلا .

(٢) بعض الفرق المسيحية كالفرقة المرسونية والفرقة الأبيونية وفرقة يونى تيربن أسقطت البابين الأول والثانى من إنجيل لوقا مع وجود الاختلاف الكبير بين كتابيها وكتاب لوقا الحالى كذلك .

(٣) (كاتلك هرالد طبع سنة ١٨٤٤ مجلد ٧ ص ٢٠٥) .

(٤) اجتمع لكتابتها ما يزيد على ٥٠٠ عالم من أكبر علماء فرنسا والبلاد الأخرى فى القرن التاسع عشر .

كون الأناجيل الثلاثة المعزوة إلى متى ومرقص ولوقا من تصنيفهم ، وحين وصل إلى الكلام عن إنجيل يوحنا . قال إنه لاشك كتاب دخيل مزور أراد مؤلفه أن يوجد تناقضاً بين أقوال القديسيين متى ويوحنا . وادعى فى صُلْبِ كتابه أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، ولقد أخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب مع كون صاحبه هو غير يوحنا يقيناً ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابط بينها وبين من نسبت إليهم ، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابط ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى يحيى الصياد الحوارى(*)، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخَبْطِهِمْ على غير هدى .

وقال (إيخ هورن) فى كتابه (مقدمة العهد الجديد) إن الإنجيل الأصلى كتاب واحد استنبط منه ثلاثة أناجيل ليس منها إنجيل يوحنا[1].

فترى من ذلك أن علماء المسيحية أنفسهم يشكّون فى الأناجيل ، ولا يعلمون شيئاً عن كاتبيها ، وأن التناقض الظاهر بينها يضيف إلى جهلنا بالمصنفين والمترجمين جهلهم أنفسهم بعضهم بعضاً ، وإلا لاتحدوا جميعاً فى الرواية ، ولما تضاربت أقوالهم ، وتباينت آراؤهم . ولما ذهب كل منهم مذهباً خاصاً فى التأليف .

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2]

---

(١) من شاء الاستزادة من أقوال علماء الفرنجة فليرجع إلى (إظهار الحق) (السيوف البتارة) والكتب المشار إليها وغيرها .

(٢) البقرة : ٧٥ .

* ويتشبث النصارى بأن الإنجيل المعروف بإنجيل يوحنا يُنْسَب إلى يوحنا بن زبدى ، حوارى المسيح عليه السلام كتبه بعد حوالى مائة سنة من انتهاء شأن المسيح مع قومه ، وهو غير صحيح ، إذ يستحيل على يوحنا بن زبدى ، صياد السمك ، الذى وصفه القديس لوقا بأنه – مع بطرس – « إنسانان عديما العلم وعاميّان » ، كما ورد على لسان لوقا (أعمال الرسل ٤ : ١٣) أن يكتب عن الكلمة أو اللوغوس.وأسلوب إنجيل يوحنا أسلوب فلسفى يحاول أن يجعل المسيح إلٰهاً مستخدماً فى ذلك تطبيقات لنظرية الفَيْض المعروفة عند فيلون السكندرى ، أكبر فلاسفة العصر الهلنستى . (المراجع) .

ولا نريد أن نكرر هنا أن العامة من المسيحيين يدخل فى روعهم وسيعتقدون لجهلهم أن الكتب الأربعة منزلة من عند الله تعالى والمبشرون يوهمون جهلة المسلمين أن كتبهم تماثل القرآن الكريم الذى .

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [1]

(٧) تعدد الأناجيل واختلافها :

وسأذكر هنا جملة الأناجيل ، لترى كيف أدى الخلاف إلى تعددها وعمل التحريف إلى زيادتها وتباينها ، وهذه الأناجيل هى :

إنجيل الحواريين الاثنى عشر .

- مارى بطرس .
- المصريين .
- صبوة المسيح .
- ماراندراس .
- ماربر تلماوس .
- كـرنتيه .
- فالنتينوس .
- السيمونيين .
- يهوذا .
- السريان .
- العبرانيين .
- النصارى .
- نيقوديموس .
- أندرياه .
- الطفوليت (لمتى) .
- فيلب .
- توما .
- إنجيل برتولما .
- طفوليت المسيح .
- يعقوب .
- متياه .
- برنياه .
- تهيوديوس .
- بولس .
- برنابا .
- الفرقة الأبيونية .
- الفرقة المارسيونية .
- متى .
- مرقص .
- لوقا .
- يوحنا .
- يوحنا (وهو إنجيل ثانٍ لـه)

وإذا أضفنا إلى هذه الأناجيلَ الأربعَة المخالفة التى طبعها البروتستانت . لأصبح لدينا ٣٧ إنجيلاً[2] تتساوى عند المذاهب المسيحية فى التقدير .

(١) فصلت : ٤٢ .

(٢) هذا عدا الكتب الكثيرة المنسوبة إلى عيسى كرسالته إلى أبيكرس ملك أديسة ، ورسالته إلى بطرس وبولس وكتاب التمثيلات والوعظ وزبوره الذى كان يعلم به الحواريين والمريدين خفية ، كتاب الشعبذات والسحر ، كتاب مسقط رأس المسيح ومريم وظئرها رسالته التى سقطت من السماء فى المائة السادسة ... إلخ .

وتتساوى فى التعظيم . فأيها إنجيل المسيح الحقيقى ؟ .

(٨) الإنجيل الحقيقى :

إن الإنجيل الحقيقى الذى نزل على المسيح وعَلِمَ الناس به إنما هو غير الأناجيل السابقة الذِكْرِ قطعاً . وسنُبَيِّنُ ذلك - إن شاء الله - فى مبحث المسيح فى القرآن .

القسم الثالث من المبحث الأول
المسيح فى الرسائل الثلاثة والعشرين

قد قسمنا (العهد الجديد) فى تمهيد المبحث الأول إلى ثلاثة أجزاء ولقد تكلمنا عن المسيح فى الجزء الأول منها وهو الأناجيل الأربعة ، وفى هذا القسم سنبحث عن المسيح فى الجزئين الثانى والثالث المشار إليهما ، أى أننا سنبين كيف نعرفه من الرسائل الاثنين والعشرين وكيف نعرفه من رؤيا يوحنا التى تختم كتب « العهد الجديد » .

وسنرى فى هذين الجزأين كيف تغيرت شخصية المسيح وكيف تطور حاله وكيف اختلفت الرواية عنه وكيف كُذِبَ عليه وادُّعِيَتْ له الألوهية وسيظهر ذلك فيما يلى :

المسيح فى الجزء الثانى

إنك إذا قرأت الرسائل الاثنين والعشرين التى أطلقنا عليها اسم الجزء الثانى من العهد الجديد . وجدتها كلها تتحدث عن رجل خيالى[*] اسمه المسيح (أعمال ٢٥ : ١٩)[١] تسميه بالنبوة الحقيقية لله - عز وجل - وتقول أن أباه (الأب) - بحسب هذا الزعم - أرسله ليخلص العالم من خطيئة وهمية يسمونها الذنب المغروس Peccatum Original ويدَّعُون أن الجنس البشرى وُصِمَ بها من جراء أكل آدم عليه السلام من الشجرة المحرمة وأنه

(١) (لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم وعن واحدٍ اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول إنه حى) وهذا بالطبع مثل مما يتم عنه الجزء كله .

★ لقد طُلب من أحد القساوية بمدينة أفسس أن يكتب إنجيلا ينادى بألوهية المسيح حيث إن الأناجيل الثلاثة المعتمدة ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح ، فكتب لهم إنجيلاً فلسفياً أطلق عليه إنجيل يوحنا أو بشارة يوحنا . (المراجع) .

صُلِبَ فداءً عنهم[1] وأنه دخل جهنم وأنه لبث فيها ثلاثة أيام مع الأرواح المعذبة (١ بطرس ٣ : ١٩)[2].

هذه الرسائل لا تبين لنا من هو المسيح الذى أخبرت عنه الأناجيل الأربعة ولا تذكر لنا شيئاً عن ولادته أو نسبه أو حياته . بل هى لا تذكر لنا شيئاً عن أفعاله وأقواله وتعاليمه ، بل هى لا تشير أية إشارة إلى الأناجيل الأربعة التى كان يجب أن تكون عمدة دينهم وأساس عقيدتهم ، بل هى لا ترجع فى أمر من أمورها إلى تعاليم المسيح المبينة فيها .

وخلاصة القول هو أنك تجد فيها المسيحَ وقد أصبح ابن الله أو الإله وغدا الكلام فيها عن رجل ادعى الرسالة وصدقوه فيها فسموه رسول المسيح ، أو رسول الله – على حد تعبيرهم واعتقادهم – مما سنبينه فى القسم التالى من هذا البحث .

المسيح فى الجزء الثالث

فإذا ماوصلنا إلى الجزء الثالث من الإنجيل وهو رؤيا يوحنا وجدنا ذاك الابن المزعوم وقد صار على عرش السموات والأرض إلهاً حاكماً .

ولندع يوحنا يبين لنا ذلك ، إذ يقول إنه بينما كان فى جزيرة (بطمس) سمع من ورائه صوتاً ثم قال : « فالتفتُّ لأنظر الصوتَ الذى تكلم معى ولما التفتُّ رأيتُ سَبْعَ منابر من ذهب وفى وسط السبع المنابر شبه ابن الإنسان متسربلا بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب ، وأما رأسه ، وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض[3] كالثلج ، وعيناه كلهيب نار ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون ، وصوته كصوت مياه كثيرة ومعه فى يده اليمنى ثلاثة كواكب وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهى تضىء فى قوتها ، فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى علىَّ قائلاً لى : لاتخف أنا هو الأول والآخر والحى

---

(١) سنفى دعوى الفداء حقها من البحث فى مبحث الفداء والصلب .

(٢) (الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن إذ عصت قديماً حين كانت أناة الله تنتظر مرة .. إلخ) .

(٣) لعل تشبيه شعره بالصوف الأبيض تمهيد لجعله خروفاً كما جعله هو فيما سنبينه بعد .

وكنت ميتاً(*) وها أنا حى إلى أبد الآبدين آمين ولى مفاتيح الهاوية والموت فاكتب ما رأيت وما هو كائن وما هو عتيد أن يكون بعد هذا »(١)
(رؤيا يوحنا ١: ١٢ - ١٩) .

وترى يوحنا يُشَبِّهُ إلهه بعد ذلك بقوله : « إن له عينان كلهيب نار ورجلاه مثل النحاس النقى » (رؤيا ٢ : ١٨) .

ثم ترى يوحنا فى هذا القسم وقد جعل المسيح خروفاً(٢) فقال : « ورأيت فإذا فى وسط العرش والحيوانات الأربعة وفى وسط الشيوخ خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبع أعين هى سبعة أرواح الله المرسلة إلى كل الأرض » ثم بعد أن جعله خروفاً لم تطمئن نفسه حتى ذبحه فقال : « ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم : مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل منها سمعتها قائلة : للجالس على العرش ، وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين وكانت الحيوانات الأربعة تقول : آمين ، والشيوخ الأربعة والعشرون خروا وسجدوا للحى إلى أبد الآبدين » (رؤيا ٥ : ٦ - ١٤) .

ومثل ذلك قوله : « أنه وجد أمماً واقفين أمام العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفى أيديهم سعف النخل وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين : الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف » (رؤيا ٧ : ٩) .

---

(١) يعتقد الأرثوذكس والكاثوليك أن هذا الكلام كلام الله ويعتقد البروتستانت أن هذا الكلام وكل كتاب الرؤيا بأصحاحاته الاثنين والعشرين محض خرافات ولهم فى ذلك كلام كثير لا داعى إلى ذكره .

(٢) المسيحيون اليوم يرسمون إلههم بصورة خروف وذلك فى كنائسهم وفى كتبهم المدرسية الدينية وغيرها .

★ من الذى أماته ؟ وماذا جاء به على سبعة منابر مِنْ ذَهَب ؟ وكيف يجلس أو يقف ذلك الذى له شبه ابن الإنسان على سبعة منابر فى آن واحد ؟ يا لها من رؤيا يختلف أسلوبها الخرافى عن أسلوب إنجيل يوحنا الفلسفى ! (المراجع)

وقوله : « وقال لى : اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف » (١٩ : ٩) ، وقوله : « وأرانى نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلور خارجاً عن عرش الله والخروف » (١٢ : ١) ، وقوله : « ولا يكون لعنة ما فيما بعد وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه » (٢٢ : ٣) . إلخ .

وإنك لتجد أنه لا معنى أبداً ولا حكمة هنالك مطلقاً فى تشبيههم إلههم بخروف ، وإننا إذا فرضنا أنهم أرادوا بالخروف معنى الوداعة والرقة والاستسلام فليس ذلك من صفات الألوهية .

وإذا فرضنا أن الرقة والوداعة والاستسلام هى صفات إلههم خاصة ، وإذا فرضنا أن ذلك هو ما دعاهم أن يسموه خروفاً . فما بالهم يزعمون أن للخروف غضباً وصولة وشكيمة وبطشاً ؟ .

هل للخروف غضب عظيم يدعو « ملوك الأرض والعظماء والأغنياء والأمراء والأقوياء وكُلَّ عَبْدٍ وكل حر » أن « يخفوا أنفسهم فى المغاير وفى صخور الجبال وهم يقولون للجبال وللصخور اسقطى علينا أخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف » (رؤيا ٦ : ١٥ : ١٦) ؟ .

ثم إننا إذا رجعنا إلى الأناجيل الأربعة وجدنا المسيح لا يسمى نفسه (خروفاً) بل يسمى نفسه (راعى الخراف) وذلك قوله فى يوحنا (١٠ : ١١) « أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف » وقوله : « خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى » (يوحنا ١٠ : ٢٧) ، وقوله : « جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص[1] ولكن الخراف لم تسمع لهم » (متى ١٠ : ٨) .

فيتبين لنا من هذا ، أن يوحنا كاتب هذا السفر هو الذى يصح أن يسمى خروفاً . وكذلك باقى أتباعه . وذلك حسب قول « المسيح هأنذا أرسلكم

(١) لا أصدق مطلقاً أن المسيح كان يقول إن (جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص) وإلا فهل يتصور عاقل أن الرسل والأنبياء من عهد آدم إلى موسى وأنبياء بنى إسرائيل عليه السلام أجداد المسيح كانوا سراقا ولصوصاً ؟! .

هذه الآية هى التى دعت فرقة (مانى كيز) المسيحية إلى القول بأن الشيطان خدع أنبياء اليهود وأن الشيطان هو الذى كلمهم وكلم موسى .

مثل حملان بين ذئاب » (لوقا ١٠ : ٣) .

فبأى حق يسمى الجزء الثالث إلهه خروفاً مع كون الإنسان لا يصح أن يسمى بذلك لأنه أفضل من الخروف ؟ وذلك قول المسيح فى (متى ١٢ : ١٢) « فالإنسان كم هو أفضل من الخروف » قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴾ (١)

القسم الرابع من المبحث الأول

بولس وكتبه

تمهيد :

فى هذه الشعبة سنحاول أن نلقى شعاعاً على حال بولس الذى سَمَّى نَفْسَهُ رسولاً (روميه ١ : ١) ، وسنُظْهِرُ حقيقته من نفس رسائله التى كتبها إلى أتباعه والتى يعتقد المسيحيون أنها كُتُبٌ من عند الله رغم فقد الدليل العقلى وعدم وجود البرهان النقلى .

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (٢)

ولعظيم خطر بولس هذا ، ولكبير أثره فى تحويل مجرى مسيحية الأناجيل الأربعة ، ولقدرته على هدم تعاليم المسيح ومحوها من عالم الوجود ، ولنجاحه فى إعدام روح المسيحية الحقة والقضاء عليها ، نرى لزاماً علينا أن نبين مختصر الحالة من كتبه ، ونبين نفسه من رسالاته ، حتى نصبح وقد أتينا بالحجة الدامغة ، وظهرنا بالبرهان القاطع الذى لا سبيل إلى نقضه أو تكذيبه .

---

(١) الأحقاف : ٥ - ٦ .
(٢) النجم : ٢٣ .

سنذكر هنا أصْلَ بولس ، ثم نبين كيفية ادعائه الرسالة ، ثم نشرح الحالة الاجتماعية التى ظهر فيها ، ثم تذكر الشروط التى يجب أن تتوفر فى أتباع المسيح حسب تقرير ابن مريم نفسه فى الأناجيل الأربعة ، ثم نعرج على رسائله لنرى نصيبها من دعوى الإلهام ، ثم نذكر تعاليمه لنرى مقدار مخالفتها لتعاليم المسيح فى الجزء الأول الذى بَيَّنَّاه آنفا .

سنعرض كل ذلك أمام القارىء ، حتى يرى بنفسه كيف أنشأ بولس هذا دِيناً خاصاً به لا يتصل بدين المسيح بصلة أو يمت إليه بسبب من الأسباب ، وهاك البيان :

أصل بولس

وبولس هذا هو أول من تكلم بعد موت المسيح بجيل كامل وهو لم يره وهو مجهول الأصل ، فتارة يدعى نَفْسَه أنه يهودى طرطوسى (أعمال ٢١ : ٣٩) وتارة يصرخ فى المجمع قائلاً إنه فريسى ابن فريسى (أعمال ٢٣ : ٦) وأخرى يقول إنه رجل رومانى (أعمال ٢٢ : ٢٥) وذلك بالرغم من معرفة رجال الحكومة له وقتئذ باعتباره أنه مِصْرِىٌّ (أعمال ٢١ : ٣٨) .

ولعلك تعجب من ذلك وتأخذك الدهشة من هذا الاختلاف ، ولكنى سأُبين لك كيف يلبس بولس لكل حال لبوسها ، وكيف يغير جنسيته فى المناسبات .

فقوله إنه يهودى طرطوسى ، كان حين خطب اليهود يوم القبض عليه حتى يكسب عطفهم بقوله أنه نشأ وتربى يهودياً مثلهم وإن ذلك قوله لهم « أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس كِيلكيَّة ولكن ربيت فى هذه المدينة مؤدباً عن رجلى غمالائيل على تحقيق الناموس الأبوى »
(أعمال ٢٢ : ٣) .

وأما ادعاؤه خِلافَ ذلك أنه فَريسِيٌّ ابن فريسى ، فهو ما ذكر فى (أعمال ٢٣ : ٦) « ولما علم بولس أن قِسْماً منهم صَدّوقيون والآخر فريسيون صرخ فى المجمع أيها الرجال الأخوة أنا فريسى ابن فريسى » .

وأما ادعاؤه أنه رومانى فذلك ليخلص نفسه من الجنود الرومانية التى قبضت عليه ، ويبينه ماجاء فى (أعمال ٢٢ : ٢٥) « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف أيجوز لهم أن يجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضى عليه » .

ادعاؤه الرسالة

وقد كان بولس – لغرض فى نفسه – من أشد أعداء المسيحيين ، وقد كان يفتك بهم ويرسل بهم إلى السجون وينفيهم من البلدان (أعمال ٩ ، ٢٢ ، ٢٦) ، ولما لم يجد هذا المبدأ ناجعاً ولم يُلْفِهِ مُبْلِغاً إلى الغاية التى رسمها ، اتخذ سياسة أخرى ، فكان يأمر أتباعه بالكذب على يسوع ، ويضطر الناس إلى تلفيق الروايات عنه وذلك قوله « وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرهم إلى التجديف » (أعمال ٢٦ : ١١) ، وجرياً وراء الغاية التى كان ينشدها ادعى أن الله – سبحانه وتعالى عن ذلك – ظهر له وكَلَّمه وأَمَرَهُ بالرسالة وكَلَّفه بدعوة الناس .

قال بولس بيانا لذلك ، إنه بينما كان ذاهبا إلى دمشق « أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدنى . فقال من أنت يا سيد فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مَنَاخِس فقال له وهو مرتعب ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل »[١] (أعمال ٩ : ٣ – ٦) .

وهكذا وجد بولس لنفسه أتباعا يصدقون أن الله تعالى ظهر له وكلمه وجعله رسولاً ولو لم يأت بمعجزة أو يقم على ادعائه دليل .

لقد رأى بولس لذكائه أنه لو ادعى النبوة دون الرسالة ، لما استفاد من ذلك كثيراً أو قليلا ، ولاضطر أن يسير حسب أوامر المسيح وأن يعمل بتعاليمه وأن يدعو للدين المسيحى الصحيح الذى يريد مَحْوَهُ ويعمل جهدَه

(١) هذه الرواية تختلف عمَّا ذكره بولس فى (أعمال ٢٢ : ٥) وتختلف الروايتان عما كرره فى (أعمال : ٢٦ : ١٢) .

للظهور(*) على أنقاضه .

وقد خاف بولس أن يدعى النبوة كذلك لئلا يلتفت الناس إلى تحذير المسيح من الأنبياء الكذبة فى قوله : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة ، وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية ، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة ، كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار فإذاً من ثمارهم تعرفونهم » (متى ٧ : ١٥ - ٢٠) .

فأية ثمار جيدة كانت لبولس ، إن الثمار الجيدة هى التوحيد والمحافظة على الوصايا العشر ، وإطاعة أوامر عيسى الحقيقية ، وأما الثمار الرديئة فهى الإشراك بالله ومحو تعاليم موسى ومخالفة أوامر المسيح .

لم يَدَّع بولس لنفسه النبوةَ لئلا يَعْلوَ عليه رسولُ كالمسيح ، وإذ كان الناس وقتئذ لا ينكرون وجود عيسى ، جعل بولس المسيح إلها حتى لا يقال إنه - أىْ بولس - إنما هو(*) رسول لرسول . ثم ادعى لنفسه الرسالة خالصة من دون الناس ليجعل لنفسه حق التشريع ، وليُتاح له نَقْضُ تعاليم عيسى وهَدْمُ المسيحية الحقيقية التى أساسها التوحيد الحقيقى دون سواه .

ظهور الأنبياء الكَذَبة فى زمنه

ويدعونا إلى فحص رسالة بولس وبحثِها وعَرْضِ أَمْرِها على محكمة العقل أمور كثيرة ، ولعل أهم أسباب ذلك هو ذلك السيل الجارف والجيش الكبير من الأنبياء الكذبة الذين ظهروا فى عصر بولس حتى نميز الخبيث من الطيب وتفرق بين الحق والباطل .

* ولكى يحقق بولس هذه الغاية جعل نفسه رسولاً لمجرد سقوطه على الأرض وسماعه صوتاً ، وجعل المسيح إلهاً . (المراجع)

* الله سبحانه وتعالى هو الذى اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس. ولما كان من المستحيل غير المعقول أن يكون بولس رسولاً لرسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام ، اضطر بولس أن يجعل عيسى عليه السلام إلٰها ليتسنى لبولس الزعم بأنه بولس الرسول . (المراجع) .

فأما انتشار خروج الأنبياء الكذبة وقتئذ ، فيبينه قول يوحنا « فلا تؤمنوا أيها الأحياء بكل روح من الأرواح بل امتحنوا الأرواح حتى تعلموا هل هى من عند الله أم لا - لأن كثيراً من الأنبياء الكَذَبَة برزوا إلى هذا العالم » (١ يوحنا : ٤ : ١) . وكذلك مثله ما جاء فى (كو ١١ : ١٣) « لأن مثل هؤلاء هم رسل كَذَبَةٌ فَعلَةٌ ماكرون مغيرون شكلهم إلى شكل رسل المسيح » أى أنهم كانوا يَدَّعون أنهم رُسُله كذبا ونفاقاً .

شروط الرسالة

وليست مسألة الرسالة بالأمر الهيِّن فيستطيع كل امرىء أن يَدَّعِيَها لنفسه متى أراد ، خصوصاً على الحالة التى ذكرها بولس ، بل إن الرسالة أمْرٌ عظيم الشأن كبير الأهمية . إن لها شروطها الخاصة وعلاماتها المميزة وأسبابها العقلية الوجيهة . ولنذكر هنا أهم هذه الشروط ، ولنبين فى الوقت نفسه نصيب بولس منها مستندين على ما جاء به العهد الجديد . إن هذه الشروط هى :

أولاً : أن يكون مُدَّعى الرسالة من أصل شجرة النبوة ؛ يجب أن يكون الرسول من أصل شجرة النبوة ومن جزعها الأساسى الذى امَتدَّ مِنْ آدم لنوح لإبراهيم عليهم السلام ، ثم تفرع إلى فرعين أحدهما يبتدىء بإسحق وينتهى بابن مريم عليهما السلام برفعه وعدم تعقيبه . والفرع الآخر يبتدىء من إسماعيل حتى ينتهى إلى محمد رسول الله ﷺ وينعدم بوفاته عليه الصلاة والسلام بعد وفاة أولاده الذكور[1].

---

(١) ولبيان ذلك أنقل هنا نبذة صغيرة من إحدى مقالاتى التى أثبت فيها وضع القرآن الكريم وتقريره للقوانين الحقيقية للوراثة والاكتساب وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعى وذلك فيما أنشره بمجلة (هدى الإسلام) الغراء تحت عنوان (الإسلام والطب) فليرجع إليها من أراد . وأما النبذة المشار إليها التى تتعلق بموضوعنا هنا فأذكرها فيما يلى :

يرث المرء عن أبويه بعض صفاتهما بل قد تستمد تلك الصفات من الأجداد والأقارب ، بعدت فترة الاتصال أو قَرُبَ أمدُها ، وإننا نعلم أن روح الإنسان تتكون من نزعات مختلفة وأميال متباينة وصفات خلقية متضاربة ؛ منها الحسن والسىء ؛ ومنها الطيب والردىء ؛ وغرائز أبناء آدم لا نهاية لتعدادها ولا سبيل لحصر عددها ، ومن ذلك الشجاعة والجبن ؛ والنشاط والكسل ، والثبات والطيش ، والرزانة والحمق ، إلى غير ذلك مما يرث الابن منها ما يرث ؛ =

= وتزيد قوة الوراثة فى النسل كلما تقارب القرينان المورثان من الصفات الخلقية . ولذلك استحسن عدم زواج الأقارب لتقارب صفاتهم وتماثل عيوب أخلاقهم ؛ مما يؤدى إلى ظهور هذه العيوب فى النسل بشدة يظهر أثرها السيء بعد ذلك .

ولقد ضيق الدين الإسلامى لذلك الخناق على زواج الأقارب وعيّن الحدّ الأدنى له فى قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاًوَسَاءَ سَبِيلا ۞ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِى أَرْضَعْنَكُمْ وأَخَوَاتُكُم مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِى فِى حُجُورِكُم من نِسَائِكُمُ اللاتِى دَخلتُم بِهِن فإن لم تكونوا دَخلتم بِهن فلا جُنَاح عليكُم وحَلائِلُ أبنائكُمُ الذين مِن أصلابِكُم وأنْ تَجْمعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْن إلَّا مَا قَد سَلَفَ إنَّ الله كانَ غفوراً رحيماً ﴾ [النساء : ٢٢ - ٢٣] .

وإنك إذا أجلت بصرك فى البلاد تجد لكل أمة غرائز مستحكمة فى عامة أفرادها شائعة فى جميع طبقاتها لعبت الوراثة فيها الدور الأكبر ، وكان للاكتساب فيها شأن لا ينكر ؛ فترى البرود والتؤدة فى أخلاق الإنجليز والرعونة عند الفرنسيين واللين عند المصريين ، وترى حدة الطبع فى المغاربة والكسل فى بلاد المناطق الحارة والنشاط عند الشوام إلى غير ذلك فى مختلف الأمم .

ولو أنك ترى كل أمة ممتازة بصفات خاصة ، إلا أن الأخلاق فى نفس البلد الواحد قد تتباين وتتفاوت كصفات المصريين العامة لا تمنع أن تترك لكل مديرية صفات أخرى خاصة بها ، كالاختلاف بين غرائز أهل الصعيد وأهل الوجه البحرى ، بل هنالك الاختلاف بين أهالى مختلف المديريات فى الوجه البحرى نفسه ، بل هنالك صفات أخص من ذلك فى عائلات كل مديرية ؛ بل أفراد العائلة الواحدة تختلف أخلاقهم طبقا لقانون الوراثة وحُكم المقارنة وناموس الاكتساب .

وهكذا ترى كلا من الوراثة والاكتساب يلعب دوراً كبيراً فى أخلاق كل فرد منا ، فى روحه وطبعه ، وفى شكله وتركيب جسمه ، فهنالك أفراد اتصفوا بالإجرام ، وغيرهم اتصفوا بالشر والفساد وسواهم بالصلاح والتقوى [فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلال] .

وإنك لا تستطيع مطلقاً أن تفصل بين الأخلاق الوراثية والمكتسبة ، فالاثنان يسيران جنباً لجنب ، للتأثير على روح الشخص وطبيعة أخلاقه ونفسه ، فالبيئة بما لها من السطوة يمكنها التغلب على طبيعة الإنسان فتشكله بالشكل الذى لها ، إلا إذا كانت روحه من القوة بحيث تتغلب على ما حولها من التيارات المتباينة والسيول المكتسحة ، وتأثير البيئة بينه سبحانه وتعالى فى قوله عن مريم عليها السلام : ﴿ **فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا** ﴾ [آل عمران : ٣٧] أى أنشأها فى بيئة حسنة وجعل نبياً مثل زكريا عليه السلام يراعيها ويلاحظها ، ووسط مثل هذا يضمن المحافظة على الأصل الطاهر والخلق الوراثى السامى الذى ورثته عن آل عمران وأجوادهم الأنبياء عليهم السلام . =

....

= وهنا لك فى القران الكريم آية معجزة تضم بين قانون البيئة المشار إليه آنفاً وقانون المطابقة الذى ذكره « دارون » فى أبحاثه والذى يقول : إن لنوع الأغذية وطرق الوصول إليها دخلاً كبيراً فى إحداث الاختلاف بين الأنواع ، ولا أكرر القول أن الخلط فى تفسير القانون لا يمنع أن يكون القانون صحيحاً فقانونا البيئة والمطابقة صحيحان ولا جدال فى ذلك ، والتفسير الذى فسره « دارون » صحيح أيضا إلى حد ما ، ولا نريد هنا أن نتناول استنتاجات أمثال « دارون » ولكن الذى نريد أن نذكره أن هذين القانونين من سنن الكون وأن لهما أصلاً ثابتاً فى القرآن الكريم . وهذا الأصل الثابت يتجلى فى قوله تعالى : ﴿ **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبُثَ لا يخرج إلا نَكِداً** ﴾ [الأعراف : ٥٨] .

وذلك أن البلد الطيب وهى الأرض الكريمة التربة لها تأثيرها الحسن على ما بها من النبات خاصة ، وجميع الكائنات الحية عامة ، فيخرج النبات وافياً حسناً بتيسير الله تعالى : ﴿ **والذى خبث** ﴾ أى الأرض السبخة التى تنبت مالا ينتفع به ، وقوله والذى خبث صفة للبلد ومعناه : البلد الخبيث لا يخرج نباته إلا [نكداً] والنكد الذى لا خير فيه ، فترى من ذلك أن البلد الخبيث يؤثر أسوأ تأثير فى الكائنات الحية التى تعيش فيه ، وكذلك البلد الطيب والبيئة الطيبة لها الأثر الطيب فيمن يشب فيها ويترعرع ؛ قال تعالى : ﴿ **كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** ﴾ نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها ﴿ **إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين** ﴾ .

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن » وخضراء الدمن هو النبات الحسن الشكل الذى ينمو فى المياه الراكدة ، والحديث الشريف كناية عن [المرأة الحسناء فى المنبت السوء] أى الوسط الردىء والبيئة السيئة .

نرجع إلى الكلام عن الوراثة ولكى نقرب إلى الفهم بيانه ، أذكر أساساً علمياً ثابتاً عن هذا القانون ، وأفصله تفصيلاً وافياً بضرب أحد الأمثلة من بعض التجارب والأبحاث العصرية التى عملت له فأقول :

إذا أخذنا حبة من نبات البزلة وتسمى علمياً **Pisum Safivum** وكانت الحبة من الصنف الأصفر واستنبتناها ، ثم أخذنا حبة أخرى من نفس النبات ولكنها من النوع الأخضر اللون وزرعناها كذلك ، ثم لقحنا أزهار أحد الصنفين بالآخر حصلنا على نتاج نسميه [الجيل الأول] يحتوى على (قرون) من البزلة تحتوى على حبوب صفراء اللون ، ولا نرى أثراً فى هذا الجيل للون الأخضر : أحد الأصلَين .

فى هذه الحالة نسمى اللون الأصفر (صفة نافرة) **Dominant Character** للون الأخضَر ، وهذا اللون الأخير ، برغم عدم ظهوره فى الجيل الأول يظل كامناً فيه ليظهر بعد ذلك فى الجيل الثانى تبعاً لسنة تغلب الصفات فى الوراثة **The law of Dominance in Heredity.**

ولقد وجد أنه إذا حصل تزواج بين أفراد الجيل الأول نتجت لنا أفراد نسميها (الجيل =

....

= الثانى) فيها ذات اللون الأخضر بنسبة ٢٥ فى المائة ، وذات اللون الأصفر بنسبة ٧٥ فى المائة – ومعنى ذلك أننا نحصل على واحدة خضراء ، وثلاثة صفراء .

ثم إننا إذا استنبتنا الحب الأخضر الحاصل فى الجيل الثانى وحده منفصلاً عن الحب الأصفر . نحصل على أجيال غير محدودة لا تتصف إلا باللون الأخضر وهى الصفة التى نسميها (منفورة) Recessive Charracter .

وإذا استنبتنا الحبوب الصفراء فى الجيل الثانى نجد أن حبة واحدة فقط من الثلاث (أى ٢٥ فى المائة) تحافظ على لونها إلى عدد غير محدود من الأجيال ، ونجد أن الحبتين الأخريين من الثلاثة حبوب (أى ٥٠ فى المائة) تنتجان لنا حبوباً خضراء وصفراء بنفس النسبة التى حصلنا عليها من الجيل الأول ، وهذا النتاج يسمى [الجيل الثالث] ، وإذا استنبتنا الجيل الثالث تكررت الحالة نفسها التى نتجت من استنبات الجيل الثانى – وهكذا دواليك .

لنترك الآن أمر البزلة جانباً ولنتخذ من قانون الوراثة فيها سلماً نصل به إلى الوراثة الخلقية فى الإنسان من أول خلق آدم إلى يومنا هذا مستعينين بالرسم التوضيحى فى نهاية هذا المبحث ص ٧٣ .

ولنفرض أن (ا) التى تمثل البزلة الصفراء هى الصفات الدنيا . ولنفرض أن (هـ) التى تمثل البزلة الخضراء هى الصفات السامية ولنفرض أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم وحواء جميعاً من الصفتين المذكورتين فكانا (الجيل الأول) وهو المرموز له بحرف ا (هـ) : أى الصفة النافرة (الصفات السامية) (هـ) : وحرف (هـ) الذى بين القوسين يدل على الصفات الدنيا كامنة غير ظاهرة لتغلب الصفات السامية فى آدم وحواء على ما سواها ، وهى الصفة (المنفورة –) – ولقد قلنا إن الجيل الأول لا ينتج إلا حبوباً صفراء صافية ومعنى ذلك أن آدم وحواء ولو أنهما يمثلان جميع الصفات المتنافرة إلا أن الصفات السامية هى وحدها الظاهرة دون غيرها . وحين تم التزواج بين آدم وحواء ظهرت الصفات المختلفة فى الجيل الثانى . فظهر فرد ليست فيه إلا الصفات الدنيئة المرموز لها بحرف هـ ، وظهر آخر ليست فيه إلا الصفات السامية ، وهى حرف ا ، وظهرت أفراد ا (هـ) فيها الصفات السامية : هى الصفات المتغلبة ، فإذا تزاوج أفراد حرف هـ فى الجيل الثانى نتجت أجيال لا نهائية ، لا تضم إلا الصفات الدنيئة ، وإذا تزاوج أفراد حرف ا فى نفس الجيل نتجت أجيال لا تضم نفوسها إلا الصفات السامية وإذا تزاوج أفراد حرف ا (هـ) تكررت العملية التى نتجت من الجيل الأول – ولكنى أعتقد أنه فى الإنسان لا تكون أفراد النسل الاخير من الجيل الثالث خالصة تماماً كمالا أو خبثاً ، والذرية الناتجة من (ا و هـ) هى سائر الناس .

ولنرجع إلى أفراد حرف هـ وهم المكونون من الشر الخالص ، وهم الذين ينتجون أجيالاً لا نهاية وكلها كذلك من الشر الخالص – ولعل هؤلاء ينطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ **إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون** ﴾ [الأنفال : ٥٥] ﴿ **صُمٌ بكمٌ عمىٌ فهم لا يرجعون** ﴾ [البقرة : ١٨] ﴿ **أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون** ﴾ [البقرة : ٨٦] .

وأما أفراد حرف (ا) فأولئك هم الرسل والأنبياء الذين حافظ الله على قوة وراثتهم =

= واصطفاهم وعملوا هم بدورهم على حفظ هذه القوة والفناء دون سلامتها وتقويتها ، وهم الذين لا يجوزون إلا على الصفات السامية ولا يعقبون إلا نسلاً كاملاً ، وفى هؤلاء قال تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾ .

وقد يقول لى قائل حين يسمع بالآية الأخيرة : إذا كانت أفراداً لا تنتج إلا صفاتاً سامية فما بالنا نجد فى أولاد نوح عليه السلام صفات دنيئة ، ولذلك أقول : إن نوحاً المرموز له بحرف ا فى الآباء (راجع الرسم) قد يكون تزوج من نسل ا (هـ) أو من هـ ٢ مثلاً أو من هـ قال تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ [سورة التحريم] .

وهذا يعلل ما يطرأ من الشذوذ فى نسل الأنبياء عليهم السلام ؛ فيظهر مثلاً فى أولاد نوح صفات ا هـ وهى الصفات السامية الموروثة عن الأب . وأما الصفات الدنيئة الموروثة عن الأم فتكمن ولا تظهر إلا فى الجيل الثانى ولقد بين ذلك تعالى فى قوله : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون** ﴾ [سورة الحديد : ٢٦] ولكن الصفات السامية الخالصة تستمر فى طريقها (ا، ا) راجع الرسم . قال تعالى : ﴿ **وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إنَّ ربك حكيم عليم ٭ ووهبنا له إسحٰق ويعقوب كُلاً هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين ٭ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ٭ وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ٭ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم** ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٨٧] .

وأما آل إبراهيم ففرعان : فرع (ا، ا،) من جهة إسحاق ، ينتهى بمريم فعيسى عليهما السلام ، ثم ينقطع برفع المسيح . وفرع يبتدىء من إسماعيل (ا، ا،) وينتهى بمحمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين لوفاته ووفاة أولاده ﷺ وإذا كان للرسول الكريم نسل من جهة ابنته فاطمة ، فقد تزوجت عليا ، وليس على من فرع الأنبياء مباشرة ، وكذلك لا تكون أولاد فاطمة من نفس الفرع ، ولكن ذلك لا يمنع من أن يكون من نسلها ما هو أشرف نسل موجود على سطح الكرة الأرضية اليوم حتى ينتهى . وأما الاتصال بين إسماعيل عليه السلام والرسول الكريم ، فهو قوله ﷺ « إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار من خيار » . =

فهل لبولس فى هذا الأصل نصيب . وهل له به صلة نسب من بعيد أو قريب ، إن كتب التاريخ المسيحية تجهل تاريخه جهلا تاماً . ولا تعلم شيئاً عن مولده أو حياته أو تاريخ كتابته لرسائله . ولم يستطع كتاب (مرشد الطالبين) أن يذكر عنه إلا كونه مات فى عهد نيرون ولم يستطع أن يقول عن سيرته شيئاً إلا أنه كان كافراً ثم تنصر . وذلك استخراجا من كتبه نفسها واستناداً على ما جاء فيها .

فهل يمكن للعقل أن يتصور أن الله يرسل رسولاً كان(*) كافراً من قبل الرسالة ؟ ولم يحدث ذلك مطلقاً لأحد الأنبياء أو الرسل المعروفين عند المسلمين . ولا يصدق المسلم أن يبعث الله رسولا له هذه الصفة ويكون قد قضى العمر الطويل فى الجهل والظلم والفساد .

وأقول هنا عند المسلمين لأن المسيحيين ولو أنهم لا يوجد عندهم دليل على كُفْرِ أَحَدِ الرسل قبل الرسالة إلا أنهم يتهمون معظم الرسل والأنبياء بالكفر والزندقة والفحش والزنا والجحود بعد الرسالة مما سأبينه إن شاء الله عند الكلام فى مبحث (الفداء والصلب) .

الرسول يشترط أن يأتى من أصل جزع النبوة كما قدمنا ليكون حائزاً على المثل الأعلى لكمال الأخلاق متوفراً فيه الاستعداد التام لقبول الوحى السامى ويشترط أن يتوافر فى الرسول من الصفات الوراثية الممتازة ما يستطيع المحافظة عليها وصيانتها بعوامل الاكتساب والتعليم الراق .

= والذى ذكرته تجنبت فيه التعقيد ليسهل فهمه ، وإلا فمسألة الوراثة أكثر تعقيدا مما يتصوره القارىء ولقد بينته بياناً لا أرى أوضح منه سبيلاً ، ولا أسهل منه مأخذا ؛ وتلك سنة الله فى خلقه ؛ وذلك ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون** ﴾ [الأنفال : ٣٧] ، ﴿ **الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل** ﴾ [الزمر : ٦٢] .

* وفقاً لاعتراف بولس نفسه نجد أن الله سبحانه وتعالى لم يبعثه رسولاً إلى قوم من الأقوام ، بل إن بولس نفسه يزعم أن المسيح هو الذى ظهر له عندما أفاق من الإغماء وأن المسيح هو الذى كلفه بالرسالة : « فقال من أنت يا سيد ؟ قال الربُ أنا يسوع الذى كنت تضطهده » (أعمال الرسل ٩ : ٥ - ٦) - المراجع .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[1]

ثانيا – المعجزات :

ويشترط فيمن يدعى الرسالة أن يأتى بالمعجزات الخارقة لنواميس الكون المخالفة لسنَنِ الطبيعة ، وبدهى أن يعارض الرسول بها قومه ويلزمهم بوساطتها الحجة ويقيم لهم بها الدليل .

فهل أتى بولس بمعجزة ما ؟! .. لم يُرْوَ عن بولس أنه أتى بمعجزة واحدة يثبت بها رسالته ، بل لقد ذكر فى أعمال الرسل أن بولس عُمِلَتْ معجزةٌ فيه حيث عَمِىَ فأتى إلى (حنانيا) فطلب له الشفاء (فللوقت وقع من عينيه شىء كأنه قشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد » (أعمال ٩ : ١٨) ، « ولما جاء شاول – بولس – إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ » (أعمال ٩ : ٢٦) ، وذلك بالرغم من كونهم مملوئين جميعاً من الروح القدس أى الأقنوم الثالث من الثالوث الذى سيأتى عليه الكلام بعد ، والذى اخترعه بولس إختراعا .

ولكى تعلم المعجزات التى يشترط أن يأتى بها اتباع المسيح أَذْكُرُ لك ما جاء عن المسيح فى (متى ١٠ : ١) « ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف » وكذلك ما جاء عن المسيح فى متى (١٠ : ٨) قوله : « أشفوا مرضى طهروا برصا أقيموا موتى أخرجوا الشياطين » وكذلك قول المسيح : «هأنا أعطيكم سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شىء » (لوقا ١٠ : ١٩) وقوله مرقص (٣ : ١٥) « ويكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين »[1] وقوله : « ودعا الاثنى عشر وابتدأ يرسلهم اثنين اثنين وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة » (مرقص ٦ : ٧) .

---

(١) الحج : ٤٦ .

بل إن معجزات أتباع المسيح هى نفس معجزات يسوع بل إن تابع المسيح يستطيع أن يأتى بمعجزات هى أعظم من معجزاته وذلك قوله : « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها » (يوحنا ١٤ : ١٢) .

بل لقد جعل عيسى من شروط الإيمان به عمل المعجزات ، بل لقد قَرَّرَ أن من كان فى قلبه ذرة من الإيمان به يمكنه خرق سُنَنِ الكَوْنِ ، وتغييرِ نواميس الطبيعة وهذا قوله : « فالحق الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم »[1] (متى ١٧ : ٢٠) ، وكذلك قوله : « لأنى الحق أقول لكم إن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فمهما قال يكون له » (مرقص ١١ : ٢٣) .

فهل رُوِىَ عن بولس أنه شفى مريضاً أو أحيا ميتاً أو نقل الجبال من أماكنها وطرحها فى البحار ؟ .

وإذا قيل أنه ربما عمل مثل هذه المعجزات ولكنها لم تصل إلينا أخبارُها ، قلنا إن هذه النظرية خاطئة ولا نستطيع اتخاذها سندا فى أى قضية من القضايا الصغيرة . فما بالك بأكبر القضايا التى تتناول دعوى الإيمان ؟ فإن فى استطاعة أى شخص بحسب هذا المبدأ أن يدعى رسالة أى فرد تاريخى كشكسبير أو فيلسوف كأرسطو ، وحينئذ نبطل ملكة العقل ، وننكر قُوَى الجنان ، ونسير وراء الحدْس والتخمين .

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[2]

---

(١) لا يشك أحد من عامة المسيحيين أن رؤساءه الدينيين على جانب عظيم من الإيمان فضلاً عن حبة خردل منه بل يعتقدون أن رجال الكنيسة أو رؤساءها على الأقل يحل فيهم روح القدس فما بالنا لا نرى معجزة لهم بل ما بالهم يحارون فى تعليل التناقض فى أناجيلهم وكتبهم .

لعلهم يكتفون بغفران الخطايا بإيهامهم العامى أن ذنوبه قد مُحِيَتْ لأن الأمر ليس ظاهراً لديه .

(٢) النجم : ٢٨ .

ثالثاً : أن يُبْعَثَ الرسول من عند الله بكتاب :

وإذا أقبل إلينا امرؤ بكتاب يدعى أنه من الله تعالى ، أو أخبرنا بَقْولٍ يقول بإلهاميته ، عرضنا ذلك على محكمة العقل ، وبحثناه لنرى حكمته(*)، ودرسناه لنتبين صحته .

وكذلك رسائل بولس الثلاث عشرة نرى لزاما علينا أن نبحثها لنرى هل هى إلهامية من الله ؟ أم هى محض رسائل شخصية بحتة أرسلها إلى أصحابه وحزبه وأتباعه ومريديه ؟ ونلخص ذلك فيما يأتى :

(أ) كتب بولس عبارة عن رسائل شخصية محضة :

وإنى أترك للقارئ الحكم على كتب بولس بَعْرضِ بعض نُبَذٍ من أقواله عليه ، فقد جاء فى رسالته إلى صديقه (تيموثاوس) قوله له « بادر أن تجيء إلى سريعاً لأن ديماس قد تركنى إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تَسَالُونيك وكَرِيسْكِيس إلى غلاطية وتيطس إلى دَلْمَاطية ، لوقا وحده معى . خذ مَرْقُصْ وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة ، أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس ، الرداء الذى تركته فى ترواس عد كاربس أحضره متى جئت والكتب أيضا ولا سيما الرقوق ، إسكندر النحاس أظهر لى شروراً كثيرة ، ليجازه الرب حسب أعماله ، فاحتفظ منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جداً ، فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى . لا يحسب عليهم ، ولكن الرب وقف معى وقوانى لكى يتم بى الكرازة ويسمع جميع الأمم فأنقذت من فم الأسد ، وسينقذنى الرب من كل عمل ردىء ، ويخلصنى لملكوته السماوى الذى له المجد إلى دهر الدهور آمين . سلم لى على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسيفورس .

أراستس بقى فى كورنثوس ، وأما تروفيمس فتركته فى ميليتس مريضاً ، بادر أن تجيء قبل الشتاء ، يسلم عليك أفبولس وبوديس ولينس وكلافديَّة والأخوة جميعاً ، الرب يسوع المسيح مع روحك ، النعمة معكم آمين »

---

* هذا هو مقياس اختيار الصدق الذى أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نطبقه على القرآن الكريم نفسه إذ قال عَزَّ مِنْ قائل : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ . (سورة النساء : ٨٢) – المراجع .

(٢ تيموثاوس ٤ : ٩ - ٢٢) .

فهل هذا كلام الله ؟!! وهل هذه الرسالة الشخصية مكتوبة بوحى من عند الله ؟!! .

﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[1]

ولأضرب لك مثلا آخر من رسالة بولس إلى صديقه (فليمون) وهو قوله له : « ومع هذا أعْـدِدْ لى أيضاً منزلاً لأنى أرجو أننى بصلواتكم سأوهب لكم ، يسلم عليك أبفراس المأسور معى فى المسيح يسوع ومرقص وأرسترخس وديماس ، ولوقا العاملون معى ، نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم آمين . إلى فليمون كتبَت من رومية على يد أنسيـمس الخادم »[2] (فليمون ٢٢ - ٢٥) .

أكتفى بعرض هذا أمام القارىء ليرى بنفسه كيف يعتبر القوم مثل هذا الكلام كلام الله وإن شاء الاستزادة فليرجع بنفسه إلى رسائل بولس .

(ب) بولس يخطىء فى التشريع ويخطىء فى الوحى المزعوم :

وكيف يعتبرون بولس رسولاً يُوحَى إليه وهو يخطىء أخطاء فاحشة مسجلة عليه فى نفس كتبه ، ومن ذلك قوله فى رسالته إلى العبرانيين (٩ : ١٩ - ٢١) « لأن موسى بعدما كلم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس أخذ العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب ، قائلا : هذا هو دم العهد الذى أوصاكم الله به والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم » .

لقد كان بولس يَدَّعِى أنه كان فريسيا عالماً بأصول الدين الإسرائيلى وفروعه . فكيف لا يعلم ما فعله موسى ؟ وكيف يخطىء فى العهد الذى أوصى به الله ؟ فلقد جاء فى التوراة أن موسى لم يأخذ دم عجول وتيوس بل دم ثيران فقط ،ولم يأخذ الدم مع ماء وصوفا قرمزياً وزوفاً بل أخذ الدم وحده .

---

(١) النساء : ٧٨ .

(٢) ومثله ما جاء فى ٢ يوحنا ١٢ (إذا كان لى كثير لأكتب إليكم لم أرد أن يكون بورق وحبر لأنى أرجو أن آتى إليكم وأتكلم فما لفم يسلم عليك أولاد أختك المختارة آمين) .

ولم يرش الكتاب وجميع الشعب بما قال ، بل رش نصف الدم على المذبح والنصف الآخر على الشعب (خروج ٢٤ : ٣ - ٨)[1].

وهناك مثل آخر لخطأ بولس يتمثل فى ما جاء فى أعمال (٢٣ : ٢ - ٥) « فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه ، حينئذ قال له بولس : سيضربك الله أيها الحائط المبيض ، أفأنت جالس تحكم على حسب الناموس وأنت تأمر بضربى مخالفاً للناموس ، فقال الواقفون : أتشتم رئيس كهنة الله ، فقال بولس : لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة الله لأنه مكتوب : رئيس شعبك لاتقل فيه سوءاً » .

فإن كان بولس ذا وحى ، لعلم أولاً أن الذى يضربه هو رئيس كهنة الله ، ولطبق ثانياً الناموس ولم يشتمه .

(جـ) بولس يتهم الله جل شأنه بالحماقة والضعف :

يقول بولس فى رسالته ، بدون رويَّة أو تفكير ، إن الله جل شأنه أحمق ضعيف ، وذلك فى (١ كورنثوس ١ : ٢٥) « إن حماقة الله أعقل من الناس وضَعْفُ الله أشدُّ قوةً من الناس » ، فهل تصح هذه المقارنة ؟! . وهل هذا التعبير الخطأ ، وهذا الكلام الذى لا ذوق فيه ، يقوله الله جل شأنه ؟!..

(د) بولس يناقض نفسه ثم يتهم الله جل شأنه بالجور والظلم :

بينما ترى بولس يقول (١ تيموثاوس ٢ : ٤) « إن الله يريد تخليص جميع الناس ، تجده يدعى أن الله يرسل إليهم عمل الضلال ليصدقوا الكذب » (٢ تسالونيكى ٢ : ١١) ثم يعاقبهم بعد ذلك عليه :

---

(١) وبمناسبة ذلك أذكر ما جاء فى (متى ٢ : ١٣) عن المسيح عليه السلام أنه (سكن بمدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ما قيل بالأنبياء أن سيدعى ناصرياً) مع أنه لا يوجد فى كتب الأنبياء مثل هذه البشارة بل من الجليل كله لم يقم بنى (يوحنا ٧ : ٥٢) .

ومثله كذلك قول متى عن المسيح (وكان هناك إلى وفاة هيرودس لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى) متى ٢ : ١٥ وهذه البشارة كذلك لا توجد فى التوراة ولقد نقلت خطأً من التوراة حيث ذكرت أن الله أحب إسرائيل ولذلك دعى أولاده من مصر ، ونص هذا فى (يوشع ١١ : ١) هو : (إن إسرائيل منذ كان طفلاً أنا أحببته ومن مصر دعوت أولاده) فلا علاقة إذن بين أولاد إسرائيل والمسيح نفسه .

هذه أمثلة بسيطة أعرضها من أقوال بولس وكتبه ، حتى يحكم القارىء بنفسه . هل مثل هذه الكتب هى أقوال الله ووحيه . أم هى رسائل شخصية لبولس لا علاقة لها بالله جل وعلا .

ثم هنالك دليل عقلى آخر أختم به هذه الكلمة . حتى يتم إثبات عدم رسالة بولس قطعاً . ويتلخص فى أمرين : فأما الأمر الأول . فهو أنه ليس هنالك ثمت حكمة فى أن يرسل الله رسولا بعد المسيح فى فترة لا تزيد عن قرن واحد ، فقد بَيَّنَ المسيح فى زمنه ما هو مكلف به ، وإلَّا فما بلغ رسالة ربه ، وقد بينت الأناجيل أن المسيح كان يَعْلَم نهايته ، أى أنه كان عنده الوقت الكافى الذى يتم فيه تبليغ ماجاء به ، وتكون دعوى بولس الرسالة باطلة أصلا ، خاصة وقد عَلِمنْا ماهية كُتُبِه ، وسنضيف إلى ذلك بحث ماجاء بها حتى لاندع سبيلا للشك .

وأما الدليل الثانى على عدم صحة الرسالة ، فهو ما ثبت فى (مبحث المسيح فى الأناجيل الأربعة) من أن ابن مريم بشرٌ ، وما سيتم إثباته فى (مبحث دعوى الألوهية) . وكلنا يعلم أن الرسالة لا تكون إلَّا من الله مباشرة ، فلا تصح إذ ذاك من رسول إلى رسول ، وتكون دعوى رسالة بولس باطلة لذلك كذلك أصْلاَ .

هدم تعاليم بولس لتعاليم المسيح

قد بينا عند الكلام عن علاقة المسيح باليهود أن ابن مريم قد أتى ليكمل شريعتهم ، وأنه ما نقض حكما من أحكام دينهم بل دعاهم إلى اتباع أحكام التوراة والعمل بأوامرها ، وحَثَّهم على اجتناب ما نهت عنه ، وكلفهم بإطاعة رؤساء دينهم . بل ولقد احترس فى هذا التكليف الأخير ، فقال لهم : اعملوا بأوامرهم ؛ ولكن لا تفعلوا كأفعالهم ؛ لأنهم يقولون ولا يعملون .

وترى المسيح بعد ذلك وقد ثبّت هذا المبدأ ، وأحاط هذا التعليم بسياج منيع من التحذير والوقاية ، فقال : « فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكمل الكل » (متى ٥ : ١٨) ومثله قوله : « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول » (لوقا ٢١ : ٣٣) .

ولكنا بالرغم من ذلك إذا رجعنا إلى بولس وجدناه غير مُبَالٍ بالمسيح غير آبِهٍ بتعاليمه ، غير مكترث بتهديده وتحذيره ، ولسهولة بَسْط هذا ، نلخص مافعله بولس فيما يلى :

(ا) بولس يدعى أن له إنجيلا :

لقد بلغ من تجرؤ بولس على المسيح وتعاليمه أن جعل لنفسه إنجيلا خاصاً به يعلم به الناس ، ويشرِّعُ لهم فيه ، فتراه يقول فى رسالته إلى أهل رومية « فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيل يسوع المسيح » (روميه ٢ : ١٦) .

فهل نزل الإنجيل على ابن مريم أم نزل على بولس !! .. أم صار الإنجيل هو رسائله التى بيناها وعرضنا على القارئ أمثلة منها ؟!.

(ب) بولس يبطل أحكام التوراة العملية ويشرِّع :

ولقد أبطل بولس حسب إنجيله جميع أحكام التوراة العملية (أعمال ١٥) ولم يستثن منها غير أحكام حرمة ذبيحة الصنم وحرمة الدم وحرمة المخنوق وحرمة الزنا (أعمال ١٥ : ٢٩) .

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك وحَلَّل ما حَرَّمَه وتلاميذه بالأمس ، ورجع عما أجاز لهم وقدر ، فأبطل النجاسة أصلا وفرعا ، وحلل ذبيحة الصنم ، وحلل حرمة الدم ، وحلل حرمة المخنوق ، ولقد جمع ذلك كله فى قوله : إلى أهل رومية (١٤ : ١٤) . « إنى عالم ومتيقن فى الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته إلّا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس » وقال فى (تيطس ١ : ١٥) « كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم »[1].

---

(١) لا يخلو هذا الكلام من تعد ظاهر على حق المسيح فى التشريع بل إن ذلك تنقيص شائن من شأن موسى وأنبياء بنى إسرائيل وعيسى عليهم السلام حيث قرروا حكم النجاسة كنجاسة الدم والحيض والميتة وذبيحة الصنم والبراز والميتة وغيرها كما هو مفصل فى أسفار التوراة ولقد جعل كل هؤلاء الرسل والأنبياء الطاهرين نجسين حسب حكمه هذا بل لقد حكم بنجاسة ذهنهم أيضاً وضميرهم وجعل نفسه وحده نسيج وحده فى الطهارة وصفاء الذهن والقريحة .

ولقد حَلَّلَ بذلك كذلك أَكْلَ لَحْمِ الخنزير[1] بل تراه ينصح بشرب الخمور ، ويدعو إلى استعمالها مكان الماء القراح ، فيقول لصديقة تيموثاوس « لاتكن فيما بعد شَرَّاب ماء بل استعمل خمراً قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة » (١ تيموتاوس ٢٥ : ٣) ، جاهلا ما تسببه الخمر من العلل الجسيمة ، والمصائب الاجتماعية ، غير عالم بما أثبته الطب الحديث من عظيم خطرها وشدة فتكها بأجساد شاربيها ، وما لها من التحكُّم فى إرادة الشاربين ، وتأثيرها السيىء فى أعصابهم ، وأجهزتهم التناسلية ، وما تصيب به النسْلَ من التشوهات الخَلقية ، والعاهات الخلقية ، والأمراض الوراثية ، وما تحدثه من العلل فى الأعضاء الرئيسية فى الجسم كالكبد والقلب وغيرها .

بل لعل بولس يذهب بالطب كيعقوب مذهباً آخر فيقول : إن الزيت يبرىء العلل ويشفى المرضى ويغفر الذنوب ويمحو الآثام ، وذلك قوله : « إن مرض أحد بينكم فليدَعْ شيوخ[2] الكنيسة فيُصَلُّوا عليه ويَدْهِنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له »[3] (يعقوب ٥ : ١٤) .

وترى بولس يستمر على التعدى على حق المسيح وحده فى التشريع فيقول فى إحدى رسائله : « أما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب إن أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترضى أن تسكن معه ... إلخ » (١ كو ٧ : ١٢) ، ويقول : « وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكن أُعْطِى رَأْياً »[4]. (١ كو ٧ : ٢٥) ..

---

(١) التوراة تحرم الخنزير وتحكم بنجاسته والمسيح كما بينا فيما سبق لا ينقض أحكامها بل تجد فى حادثة (قطيع الخنازير) فى الأناجيل (متى ٨ ، مرقص ٥ ، لوقا ٨) ما يثبت هذا التحريم فلقد جاء فيها أن المسيح أطلق الشياطين على قطيع من الخنازير فأهلكته وأبادته ولو كانت الخنازير حلالاً طيباً كالماشية والأغنام وغيرها ما أبادها المسيح عن آخرها وحرم منها أصحابها وحرم على الناس التمتع بأكلها .

(٢) فى العهد الجديد طبع الكاثوليك يوجد لفظ (قسوس) بدل (شيوخ) فى طبع بيروت .

(٣) اعترض (لوثر) إمام البروتستانت على هذا فقال إن الحوارى ليس له حق اختراع حكم من عندياته جاعلاً نفسه فى المنصب الذى يخص عيسى فقط ، وقد قال عن رسالة يعقوب كلها أنها كلام لا اعتداد به ، فما بالك بما فعله بولس من ترك تعاليم المسيح جملة وتفرده بالتشريع الذى هو من حقوق ابن مريم وحده .

(٤) إذا كان كتابه هو كتاب الله فما معنى التشريع من جانب نفسه ؟ .

ثم تراه يحلل زواج الأرملة (١ كو ٧ : ٩) الذى يحرمه المسيح تحريماً باتا كما قدمنا ، وينقض حكم الختان (غلاطية ٥ : ٢) الذى لم ينقضه المسيح ، بل الذى أقره المسيح باختتانه نفسه . كما جاء فى القسم الأول من المبحث الأول .... إلخ إلخ .

وبالاختصار فلقد غيّر بولس : أحكام عيسى والتوراة ، وأبطل الوصايا العشرة الأساسية التى أقرها المسيح ، ودعا إلى تنفيذها ، وَوَصَّى بالعمل بها .

يقول بولس « لأنه إن تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تَغَيُّر الناموس أيضاً » (عبرانيين ٧ : ١٢) ، ويقول عن التوراة : « وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » (عب ٧ : ١٣) ، ويبطل التوراة ، وينقض الناموس ، ويحقّر شريعة موسى بقوله : « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها » (عب ٧ : ١٨) ويقول كذلك : « لأن الناموس ينشىء به غضباً إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعَدٍ » (رومية ٤ : ١٥) .

والمصيبة العظمى بعد ذلك ، أن يدعو بولس فى الوقت نفسه إلى حفظ الناموس ويدعو إلى المحافظة على شريعة موسى فيقول : « أفنبطل الناموس بالإيمان . حاشا . بل نثبت الناموس » (روميه ٣ : ٣١) ، ويقول « أفأنت إذا الذى تعلم غيرك ألست تعلم نفسك الذى تكرز ألا يسرق .. أتسرق الذى يقول ألا تزنى أتزنى الذى تستكره الأوثان أتسرق الهياكل الذى تفتخر بالناموس أبتعدى الناموس تهين الله » (رومية ٢ : ٢١ — ٢٣) .

وأختم الكلام عن بولس الذى جعل المسيح إلها وجعل الله جل وعلا بصورة إنسان أختمه بقول بولس نفسه « لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا فى أفكارهم وأظلم قلبهم الغبى وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذى لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب الزحافات لذلك أسلمهم الله أيضاً فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين ذواتهم الذين استبدلوا حق الله بالكذب واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق الذى هو مبارك إلى الأبد آمين » (رومية ١ : ٢١ — ٢٥) .

البولسيون

وإننا إذا أمكننا أن نسمى متبعى الأناجيل الأربعة والعاملين بأوامر ابن مريم فيها بالمسيحيين ، فلا يمكننا بأى حال من الأحوال أن ننسب مسيحيى اليوم إلى عيسى عليه السلام ، ولا نستطيع أن نسميهم بالمسيحيين إطلاقا ، فهم يبعدون كل البعد عن تعاليمه ، غير عاملين بأمر من أوامره ، غير مجتنبين مانهى عنه .

إن مسيحى اليوم ينطبق عليه تماما اسم (البولسيون) لاتباعهم أوامر بولس ولسيرهم معه فى التيار الذى سار فيه ، ولتمسكهم بدينه الذى اخترعه لهم اختراعا ، وأنشأه لهم إنشاء ، والذى اقتبسه لهم من ديانات الأمم الوثنية المختلفة ، واستعاره من عقائد بعض الشعوب .

لقد بنى بولس عقيدته أو دينه على الإيمان بإله وَهْمِىٍّ تَجَسَّدَ فى رَحِم امرأة ومكث فيه تسعة أشهر ، ثم وُلِدَ من أُمِّه ، وبعد ثلاثين عاماً صُلِبَ وقُتِلَ ولُعِنَ ليفدى العالم من خطية وَهْمِيَّةٌ وُصِمَ بها الجنسُ البشرى كما قدمنا ، ولكى يعلل بولس نظريته ادَّعى أن الله – سبحانه – يتكون من ثلاثة أقانيم ممتازة امتيازاً حقيقياً ثم ادعى أن هذه الأقانيم الثلاثة الممتازة امتيازاً حقيقياً هى واحد . وإن ديناً له مثل هذا الأساس الذى يغاير ويناقض دين عيسى عليه السلام ، ويعارض تعاليمه لهو أَوْهَى من بيت العنكبوت .

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [1]

فلقد طرح بولس كُلَّ تعاليم التوراة كما قَدَّمْنا ، وتَرَكَ تعاليم المسيح ، فأحَلَّ المحرمات وأجاز عمل الموبقات .

ألم يقل (لوثر) أمام البروتستانت « إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا بل بعكس ذلك إنه يرفض أعمالنا » « إنه لكى تظهر فينا قوة

(١) العنكبوت : ٤١ .

التبرير يلزم أن تعْظُمَ آثامنا جداً وأن نُكْثِرَ عَدَدَها » ، ألم يقل لوثر على المتن الإنجيلى حين وصل إلى يوحنا (٣ : ١٦) « أما أنا فأقول لكم إذا كان الطريق المؤدى إلى السماء ضيقاً وجب على من رام الدخول فيه أن يكون نحيلا رقيقاً ... فإذا ما سرت فيه حاملاً أعدالا مملوءة أعمالا صالحة فدونك أن تلقيها عنك قبل دخولك فيه وإلا لامتنع عليك الدخول بالباب الضيق هذا . وإن الذين نراهم حاملين الأعمال الصالحة هم أشبه بالسلاحف فإنهم أجانب عن الكتاب المقدس وأصحاب القديس يعقوب الرسول فمثل هؤلاء لا يدخلون أبداً »(١).

وقال (ميلانكتون) العالم البروتستانتى فى كتابه (الأماكن اللاهوتية) ص ٩٢ طبع إكسبرج سنة ١٨٢١ « إن كنت سارقاً أو زانياً و فاسقاً فلا تهتم بذلك عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة وأنه قد سَبَقَ وغَفَرَ لك خطاياك قبل أن تخطىء بزمن مديد » .

ألا يدرس الأطفال فى مدارسهم البروتستانتية ويقرءون فى كتابه « أن الأعمال الصالحة لا تفيد لأن كل ما يفعله الإنسان هو شر » ؟ .

فأى دين من الأديان لا يكون للأعمال الصالحة فيه قيمة ؟ وأى دين لا يدعو إلى اجتناب الخطايا والموبقات ؟! .

يقول القس (بطرس حنا) فى كتابه (فضائح الكنيسة الإنجيلية) أنه « مسموح للراعى الإنجيلى أن يوجد فى بيته لبعد منتصف الليل فى غياب زوجته عن البلد فتاة عظيمة الجمال رشيقة القد عديمة الحشمة – هذا ما صرح به سنودس النيل للمحكمة الدينية العليا لطائفة الإنجيليين » « مسموح للراعى الإنجيلى أن ينفرد بمعلمة البنات داخل أوده بعد التنبيه على الخادم ألا يسمح بدخول أى من كان مادام الراعى وإحدى أفراد رعيته مجتمعان » .

« مسموح لرعاة الإنجيليين دخول البيوت المشتبهة فيها وفى ظلام الليل أثناء غياب أصحابها ولا حرج عليهم حتى إذا قال فيهم جميع الناس شراً

---

(١) كتاب المقارنة بين الدين الكاثوليكى والمذهب البروتستانتى للأنبا أغنانيوس طبع سنة ١٩٠٤ .

ووصفوهم بكل وصف قبيح ... إلخ » « مسموح للراعى الإنجيلى أن يختلس من مال الرب ما يستطيع اختلاسه وإن وصل القدر إلى أكثر من سبعة آلاف جنيه وفى كل هذا لا عقاب عليه . هذا ما قررته المحكمة الدينية المشكلة علناً تحت رياسة رب الكنيسة كما يدعون ...... إلخ » .

وقال حضرة القس المذكور فى (آداب الإنجيليين فى كنائسهم) أنهم يعرضون فى كنائسهم صورا بالفانوس السحرى عن كيفية اجتماع الرجل مع زوجته - بالشرح طبعاً - ثم قال : « انتقدنا ما رأيناه فى كتاب اللاهوت الأدبى الكاثوليكى لأن المعرِّف يسأل المعترفين فى كراسى الاعتراف[1] عن كيفية اجتماع الزوج بزوجته والزوجة بزوجها وشَنَّنا عليهم الغارة فى كتاب آداب الكنيسة الكاثوليكية المعروف . والآن بعد ما علمنا أن الكنيسة الإنجيلية لم تقف عن حد سؤال الرجال والنساء سِرِّياً وعلى انفراد - إن كانت تريد الاقتداء بالكنيسة الكاثوليكية - عن كيفية إتمام تلك العملية بل توسعت فى الأمر إلى حد لم يخطر ببال رؤساء الكنيسة لأنهم يقتصرون على سؤال المعترفين وفى كرسى الاعتراف فقط الزوج بمفرده وكذلك الزوجة لأنهم يعتبرون بعض الكيفيات خطية ويريدون تنبيه الشعب لتجنبها والبعد عنها ... إلخ » .

والكنيسة الكاثوليكية تجرى وراء بولس كذلك ، فلا تجعل للتوراة أو لأوامرالمسيح فى الأناجيل قيمة ، بل هى لا تعتمد إلا على ما يسمونه بالتقاليد ، أى الآراء التى يراها الرؤساء الدينيون ، والمبادىء التى يقررها شيوخ الكنيسة ، مهما كانت هذه الآراء وتلك المبادىء ، ولقد بلغت من ذلك مبلغاً حرمت فيه على المسيحى أن يفهم كُتُبَهَ ويفسر ما جاء فيها من الأحكام ، ويبين ذلك المنشور الذى أذاعه البابا سنة ١٨٦٤ ، حاكِماً فيه باللعنة على كل من يرى جواز خضوع الكنيسة لأى سلطة أخرى ، أو يعتقد

---

(١) عند الكاثوليك والأرثوذكس ترى أى فرد يرتكب المعاصى والآثام ويأتى من الفواحش ما يروق له ، وبمجرد اعترافه للقس المعرِّف بالذنب وقول القس له (غفرت لك) يعتقد أنه قد مُحيتْ كل آثامه ولو كان قد جاء (شيئاً إدًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً) .

وقد رأيت كيف يسأل القس منهم الرجل كيف يأتى امرأته والمرأة كيف يأتيها زوجها .

أنه حر فيما يعتقد ، أو يفسر شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة ، ومثله منشور آخر نشره سنة ١٨٦٨ يوجب فيه على المؤمنين أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وأن ينزلوا لها عن آرائهم وأفكارهم ، ومثله قول القديس (أنسيلم) « يجب أن تعتقد أولا بكل ما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت » فكيف يعتقد الإنسان مالم يفهم ، أفننكر مَلَكة التفكير ونتجاهل نعمة العقل ؟! .

لقد خالف المسيحيون تعاليم المسيح ونبذوا أقواله وأوامره المنسوبة إليه فى كتبهم وألَّفوا لهم كتابات أخرى[1] فسعَوْا وراء المال : ولم يبيعوا ممتلكاتهم ، وأحلوا الطلاق وهو محرم عليهم ، ولم يبارك المسيحيون لاعنيهم ولم يصلوا لأجل الذين يسيئون إليهم ويشتمونهم ، ولم يُدِرْ المسيحى خَدَّهُ الشمال لمن صفعه على خده الأيمن ، وتركوا الختان بل حَرَّمُوه على أنفسهم[2]، وتركوا تعظيم يوم السبت وسمحوا لأنفسهم تقرير يوم الأحد

(١) للأرثوذكس كتاب خاص يقدسونه ويسمونه (الدسقلية المقدسة) تجد فى مقدمته هكذا (نحن الاثنى عشر رسولاً اجتمعنا بأورشليم مدينة الملك العظيم ومعنا أخونا بولس الأنبا المنتخب رسول الأمم ويعقوب أسقف هذه المدينة الواحدة أورشليم وقررنا هذه الدسقلية الجامعة فيها) . (وهذا الكتاب التعليم الآخر الذى كتبناه وأنفذناهما على يد إقليمنطس شريكنا تمضى إلى المسكونة كلها لكى تسمعوا الأوامر يا كلَّ النصارى أى المسيحيين الذين تحت الشمس لكى تعملوا بحسبه ومن سمع وحفظ الوصايا المكتوبة فيها كانت له حياة أبدية ودالة قُدَّامَ رَبِّنا يسوع المسيح هذا الذى ائتمنا لهذا السر العظيم الذى له ومن خالف ولم يحفظها يخرج كمضاد ومسكنه الجحيم إلى الأبد) ثم يذكر هذا قوانين الشَّعْر فيقول (لا ترب شعرك بل احلقه . نظف رأسك لئلا تخدمه وتحفظه بلا حلق وتدهنه بالطيب وتجلب عليك النساء القريب صَيْدُهن بهذا المثال . إذا كنت مؤمناً بابن الله فهو عار عليك أن تربى شعر رأسك أو تضفره فإن هذا مثال افتتان واضمحلال لا تحفظه مبللاً ولا مضفوراً ولا ممسوحاً بخودة وتربيه ولا يجب أن تأخذ من شعر لحيتك ما يفسدها أو يغير شكل الإنسان فى طبيعته ، قال الناموس بأن لا تحلقوا شعر الحاكم هذا الذى خلقه الله خالقكم هذا هو يصلح للنساء والذكور حسبهم إن هذا الفعل غير لائق بهم) وقال فى قوانين اللبس (لا تلبس ثياباً رفيعة التى تجلب إلى الخديعة لا تلبس لرجلك حذاءً مصبوغاً بصبغة سوداء بل اهتم بالهدو والحاجة لا غير لا تجعل خاتم ذهب فى أصبعك لأن هذه كلها علامات الزناة) .. إلخ .

(٢) مخالفين حكم الله فى التوراة (وقال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدى أنت ونسلك من بعدى فى أجيالهم هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلِك من بعدكَ يختن =

مكانه . وفرضوا على أنفسهم صياماً غير مشروع[1] وحللوا شرب الخمور بل وسفهوا أحكام التوراة ، ولم يأبهوا بتوصيات المسيح على دين موسى عليهما السلام ، إلى غير ذلك مما يضيق مثل هذا المقام عن حصره ولا يتسع لبيانه كله . وإن هذا لهو الذى يدعونا إلى تسمية مسيحيى اليوم بالبولسيين .

إنجيل برنابا

إن أول من حذر من بولس الذى تكلمنا عنه هو (برنابا) الحوارىُّ أَحَدُ تلامذة المسيح وأنصاره عليه السلام ، فتراه يقول فى مطلع إنجيله « برنابا رسول يسوع الناصرى المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاماً وعزاء ، أيها الأعزاء إن الله العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذى أمر به الله دائماً مُجَوِّزِينَ كُلَّ لَحْم نَجِسٍ الذين ضل فى عدادهم أيضاً بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب

= منكم كل ذكر فتختتنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجيالكم) . إلى قوله (وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدى) تكوين ١٧ : ٩ – ١٤ ، ومثله (تك ١٧ :٢٣ – ٢٧) و (خروج ٤ : ٣٤ ، ٢٤) و (يشوع ٥ :٢ – ٩) .

(١) كصيام أسبوع هرقل وسببه أنه لما قصد هرقل بيت المقدس خرج إليه اليهود من طبرية وجبل الجليل والناصرة وكل قربة وقدموا له الهدايا وطلبوا منهم أن يعطيهم الأمان ولما زاد شَرُّهُمْ شكاهم النصارى وطلبوا نقد العهد بقتلهم وتعهدوا إليه بأن يصوموا أسبوعاً كفارة عنه جاعلين هذا الأسبوع فى أول الصوم الكبير ولذلك أصدروا منشوراً إلى أنحاء العالم فصامه الملكيون عن اللحم فقط وأما أهل مصر والقدس فصاموه صوماً تاماً . ويأْكُل فيه الروم البيض والجبن والسمك ويَدْعُونَه أسبوع البياض . ولم يتمسك به كفريضة غير الأقباط .

وكصوم يونان ثلاثة أيام وأصله أنه لما امتنع البطرك السريانى أفرام عن صوم أسبوع هرقل ، طَلَبَ منه الأقباطُ أن لا يكون حَجَرَ عثرة فى سبيل معتقدهم لأنهم صاموا هذا الأسبوع بدون التفات إلى سبب وضعه وأعقدوا على أن يصوموا أربعين يوماً مقرونة بالصوم الحقيقى متى حذف كل يوم سبت وأحد ما عدا السبت الكبير – سبت النور – فقَبِلَ صَوْمَ هذا الأسبوع مقابل صوم الثلاثة أيام التى يصومـها السريان ومن ذلك صارت سُنَّة عند الأقباط (عن الجواب المفيد للقمص بطرس حنا عن المجلة القبطية سنة ٣ : ٣٦٥) .

الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلُصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى ديدونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصاً أبدياً وليكن الله العظيم بينكم وليحرسكم من الشيطان ومن كل شرٍّ آمين »[1] (برنابا ١ : ١ - ١٠) .

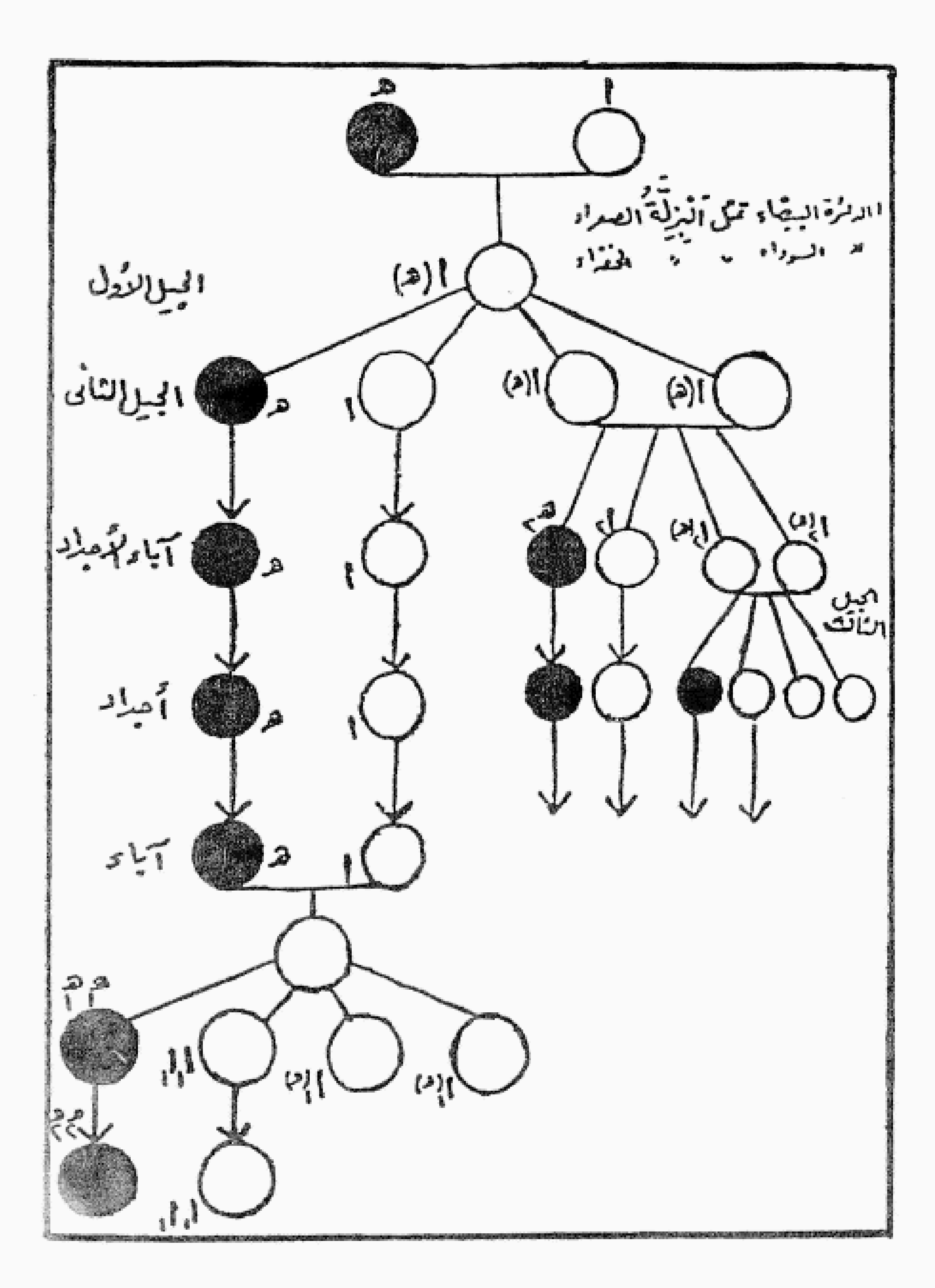
نحن نعلم أن البولسيين ينكرون هذا الإنجيل ، ولكننا فى الوقت نفسه نرى أن هذا الإنجيل هو أقرب إلى الحقيقة من غيره ، وقد أثبتته العلماء قبل الإسلام بنحو ثلاثمائة سنة مع وجوده طبعاً فى عصر المسيح ، ولا نرى فيه من التناقض مانراه فى الأناجيل الأخرى ، وقد قال العلامة (تولاند) الإنجليزى عند رؤيته هذا الكتاب سنة ١٧١٨ أن عهد النصرانية قد انقضى .

وقد كان الراهب (فرامرينو) هو أول من اكتشف هذا الإنجيل وعثر عليه فى مكتبة البابا (سكتس الخامس) .

وقد حكى هذا الراهب أنه كان مشتاقاً إلى مطالعة الإنجيل المذكور لقراءته عنه بَعْضَ نُبَذٍ فى رسائل (لأبرينانوس) يندد فى أحدها ببولس ولما تقرب « فرامرينو » إلى البابا وزاره يوماً فى مكتبه ، نام الأخير فأراد الراهب أن يقطع الوقت بالمطالعة فى أحد كتب المكتبة ، فوقعت يده على إنجيل برنابا الذى كان يتمنى الحصول عليه فخبأه فى أثوابه ، ولما استيقظ البابا استأذن منه « فرامرينو » حاملاً ما يعتقده كنزاً ثميناً وذخيرة عظمى ، وقد رُوِيَتْ هذه الحكاية على نسخة إسبانية لهذا الإنجيل ، ورواها كذلك (سيل) فى مقدمة له لترجمة القرآن الكريم .

★ □ ★ □ ★

(١) إنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل بك سعادة عن نسخة إنجليزية مترجمة عن نسخة خطية فى المكتبة الإمبراطورية بفينا كُتِبَتْ بالإيطالية القديمة من عدة قرون .



الدائرة البيضاء تمثل البزلة الصفراء
« السوداء « « الخضراء
الجيل الأول
الجيل الثانى
آباء وأجداد
أجداد
آباء
الجيل الثالث

رسم توضيحي

★ □ ★ □ ★



المبحث الثانى

دعوى ألوهية المسيح

تمهيد :

عندما وُلد المسيح عليه السلام بهذا الطريق الشاذ بغير نطفة أب ، بإرادة الله تعالى الذى إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ، وسمعت العامة بهذه الولادة الشاذة ، وأَقَرَّتْ بهذه المعجزة الخارقة ، تَحَيَّرَتْ أفكارُهم ، وأُخِذَ جنانُهم ، وصُدِمَتْ عقولهم ، ولطول الأمد بينهم وبين موسى عليه السلام ، ولما فَعَلَتْه الخمسمائة والألف سنة من تقسية قلوبهم ونسيانهم لروح التشريع الإسرائيلى ، ولما أتى به الرؤساء الدينيون من تشويه الحقائق التى أتى بها موسى ، وتضييع معالم الناموس ، ولِشَكِّ الكثيرين وقتئذ فى الأديان واضطراب الأفكار الدينية من تسلط الوثنية على البلاد ولتمكن الرومان الكفرة عليهم ، ولتأثر الناس عامة بالهيئات الحاكمة ، ولخضوع أفكارهم لأفكار الفئة المتسيطرة على البلاد وللتقليد الذى تنزِعُ إليه الأمم المحكومة للأمم ذات السيادة طمعاً فى الجاه ، وحباً فى التزلف والتملق والرياء ، كل هذه الحالات الفكرية المضطربة ، والانفعالات النفسية المختلفة ، كانت تنوء تحتها عامة الناس وقتئذ ، فجعلت بعضهم يشذ فى تفكيره أو يجنح إلى تصديق المحالات .

والعامة يتزعمهم أحدهم مادام يفوقهم فى ناحية من نواحى الذكاء ، أو قد يؤثر فيهم ذو دهاء منهم فيقودهم كما أراد ، ويُسَيِّرُهُم كما شاء ، والشعوب إذا ما وثقت فى امرىء ما ، فهى رهن إشارته وطوع إرادته ، ولو اختار لهم أوعر الطرق ، وأردأ المسالك والمنافذ .

والعامة كذلك سريعو الانقلاب ، شديدو التأثر ، كثيرو النسيان ، قد يتركون الصالح للطالح ، وقد يسلكون وعر الطريق دون سَلِسِها .

وكثيرون أيام ابن مريم كانوا متأثرين بالفكرة الوثنية ، بل لقد وَجَدَ الرومان من مصلحتهم تشويه الحقيقة وَوَضْعَ بذور الفتنة ، وَبَثَّ مبادىء الوثنية بين الناس ، وساعدهم على ذلك ماجاء على يد المسيح من المعجزات الخارقة

كإحياء الموتى ، بل إن الطريقة التى جاء بها ابن مريم نفسه ساعدتهم على ترويج فكرة الألوهية البشرية ، ثم تدرجت الفكرة عند الناس شيئاً فشيئاً حتى أصبح الظن عندهم يقيناً ، وغدت الإشاعة لديهم حقيقة .

ولم يستطع الرومان بلوغ أربهم إلَّا بعد رفع المسيح عليه السلام ، وحينئذ اتسع نطاق دعايتهم ، ونالوا بعض مشتهياتهم ، حتى إذا ماجاء عهد قسطنطين الإمبراطور الوثنى تم لهم ما يبغون من نشر الوثنية ، والتغلب على حقيقة الوحدانية مما سيأتى بيانه فى مبحث التثليث .

ولقد أُلِّفَتْ فى الوثنية كُتُبٌ كثيرة ، وأُدْخِلَ التحريفُ فى آيات الإنجيل ، وادعى بعض الناس الرسالة ، وكَثُرَ مَدَّعُوها بَعْدَ المسيح كثرة لم يُسْمَعْ بمثلها فى التاريخ ، وادعوا ألوهية المسيح ، ونادَوْا ببنوَّته لله تعالى .

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1]

وسنقسم الكلام فى هذا المبحث إلى قسمين : فأما الأول فسنتناول فيه جميع أدلة المسيحيين[2] على دعوى ألوهية المسيح ، وسنتتبعها بالبحث والاستقصاء .

وأما القسم الثانى فسنبين استحالة هذه الألوهية ، بل وسنستدل من كتبهم نفسها ومن أقوال المسيح فيها ، إلى كون ابن مريم لا يمكنه إلا أن يكون بشراً رسولاً .

---

(١) البقرة : ١١٦ - ١١٧ .

(٢) سنستعمل لفظ (المسيحيين) بدل (اليولسيين) مجازاً لاشتهار الأول .

القسم الأول من المبحث الثانى

دليلهم على ألوهية المسيح

وفى هذا القسم سنذكر جميع أدلة المسيحيين على كون المسيح إلهاً ، وسنبين أن استنادهم عليها كدليل على الألوهية ، شيء مناقض لكتبهم نفسها . مناقض لما رُوِىَ فيها عن المسيح عليه السلام ، بل مناقض للعقل ، ومعارض للمنطق السليم ، وهذه الأدلة التى يستندون عليها تنحصر كلها فى كون المسيح وجد بغير نطفة أب ، وكون إحياء الموتى كان من معجزاته ، ثم بعض آيات من الأناجيل ، وهذه كلها أفصلها فيما يأتى :

وجود المسيح من غير نطفة أب

إن وجود المسيح من غير نطفة أب لا يمكن مطلقاً أن يكون دليلاً على ألوهيته ، إذ أن جميع الحيوانات والطيور والحشرات بل إن جميع الجراثيم والفطريات أوجدها الله تعالى فى الأصل من غير أب أو أم بل الأقرب إلى ذلك آدم(*) عليه السلام .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (1)

بل إن حوّاء نفسها خلقت بعكس الطريقة التى خلق بها ابن مريم إذ أتت من طريق الذكر وَحْده دون الأنثى .

---

* يدّعى النصارى بغير حق وبدون أى دليل أو سند أن المسيح أفضل من آدم ، أبى البشر عليه السلام ، ويحاولون تمييز المسيح بأنه مولود لله ، وآدم مخلوق لله ، ضاربين صفحاً عن أن السيدة مريم عليها السلام كانت من بنات آدم ، ولولاها لما وُجد المسيح عليه السلام . (المراجع) .

(1) آل عمران : ٥٩

بل لقد ذكرت كتبهم من هو أولى بالألوهية من المسيح إذا اعتبرنا عدم دخول الذكر فى تكوين الجنين دليل الألوهية، فملكى صادق وجد « بلا أب بلا أم بلا نسب بلا بداءة أيام له ولا نهاية حياة » (عبرانيين ٧ : ٣) ، والمسيح وُجِدَ مِنْ أُمٍّ وله نَسَبٌ وله بدايةُ حياة من ولادته ونهاية حياة بصلبه كما يقولون . فيسقط القول بأن عدم وجود الأب دليل الألوهية ، وقد كان يوحنا يقول للجموع « ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً فإن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم » (لوقا ٣ : ٨)

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [1]

إحياء المسيح للموتى

وأما عن معجزة إحياء الموتى فنرى أن نقسم الكلام فيها إلى خمس نقاط :

(ا) غَيْرُ المسيح أحيا الموتى :

ويقولون بألوهيته لحصول المعجزات العظيمة على يديه ، ولكن إذا عرفنا أن أعظم معجزة له عليه السلام كانت إحياء الموتى ، وإذا اعتبرنا إحياء الموتى دليل الألوهية ، لكان كل من (حزقيال) و(إيليا) و(اليسع) آلهة كذلك ، فقد أحيا حزقيال جيشا عظيما جداً جداً (حزقيال ٣٧ : ١ - ١٠) وأحيا إيليا طفلا (ملوك أول ١٧ : ١٧ - ٢٤) وأما اليسع فقد أحيا كذلك طفلا (ملوك ثانى ٤ : ٢٢ - ٢٧) ثم أتى بمعجزة تجعله أكبر الآلهة - وذلك إذا أخذنا إحياء الموتى قياسا - فقد أحيا جثة ألقيت فى قبره بعد موته (ملوك ثانى ١٣ : ٢١)[2]..

---

(١) مريم : ٣٥ .

(٢) « وفيما كانوا يدفنون رجلاً فإذا بهم رأوا الغزاة فطرحوا الرجل فى قبر اليشع فلما نزل الرجل ومس عظام اليشع عاش وقام على رجليه » . (ملوك ثانى : ١٣ : ٢١) .

فأين عيسى من هؤلاء وهو الذى لم يحى غير ثلاثة بل اثنين ، وذلك لكون الثالثة فتاة قال عنها المسيح أنها « لم تمت لكنها نائمة » (متى ٩ : ٢٤) ، وأين عيسى من موسى الذى أحيا الجماد فجعل العصا حية تسعى ، أليس تحويل الجماد إلى جسم حى ثم سلب الروح منه بعد ذلك وإعادته إن جمادٍ معجزة أعظم من رَدِّ روحٍ إلى جسم كانت فيه الحياة من قبل ؟ .

بل إن تلاميذ المسيح أنفسهم كان فى وسعهم إحياء الموتى وعمل معجزات تفوق معجزات المسيح نفسه كما بينا فى المبحث الأول .

(ب) اعتراف المسيح بكون المعجزات بإذن الله :

وإنك لترى الأناجيل نفسها تعترف بكَوْنِ المعجزات التى صنعها ليست إلّا بأمر الله سبحانه وتعالى وبإذن منه ، ومن ذلك ما رواه متى عن الناس حين رأوا معجزات المسيح ، وهو قوله : « فلما رأى الجموعُ تعجبوا . ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطانا مثل هذا » (متى ٩ : ٨) ، بل إن المسيح نفسه اعترف بأن المعجزة من الله تعالى . وذلك قوله : « كل شىء قد دفع إلىّ من أبى » (متى ١١ : ٢٧) .

(جـ) المسيح يُسَلِّمُ بكَوْن المعجزات ليست دليل النبوَّة فضْلاً عن الألوهية :

وإنه لغريب من المسيحيين أن يعتبروا المعجزات دليل الألوهية مع كون كتبهم نفسها تنكر كون المعجزة دليل النبوة فضلا عن الألوهية التى يدعونها لابن مريم عليهما السلام . فقد جاء فى متى قول المسيح « سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يُضِلُّوا لو أمكن المختارين أيضا » (متى ٢٤ : ٢٤) ، وكذلك قوله : « كثيرون سيقولون فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ، فحينئذ أصرح لهم إنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

فإذا كان الآثم المنافق يستطيع أن يأتى بالخوارق فعلى أى قياس يمكننا

أن نميز بين الأنبياء والأشرار ؟! .. وإذا كان الحال كذلك فهل نستطيع اعتبار معجزات ابن مريم دليل نبوته فضلاً عن اتخاذهم إياها دليلاً على ألوهيته المزعومة ؟! .

(د) عدم قدرة المسيح على عمل المعجزة أحيانا :

وقد كان المسيح أحياناً يعجز عن عمل المعجزة ، ولا يستطيع أن يأتى بالخوارق ، وذلك لمما يدل على كونه لا يصنع بإرادته شيئاً . بل إن الله تعالى هو الذى يفعل ما شاء متى شاء ، ولقد ذكر مرقص أن عيسى لما جاء إلى وطنه « لم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة » (مرقص ٦ : ٥) .

(هـ) المسيح لم يأت بمعجزة :

ولقد اعترف المسيح نفسه فى الأناجيل أنه لم يأت بمعجزة ما ، وإنه لن تكون منه خارقة فى جيله (متى ١٢ : ٣٨ ، ٣٩) و(متى ١٦ : ٤) ولقد بينا ذلك بياناً وافياً من قبل فى ص ١٨ - ١٩ من هذا الكتاب مما لا ضرورة لإعادته وتكراره .

(و) عدم حصول معجزة إحياء الموتى خاصة :

و (العهد الجديد) ينفى نفسه كذلك معجزة إحياء الموتى خاصة ، وذلك بحكمه وشهادته أن المسيح هو أول من قام من الموت ، ولم يَحْيَ أحد من الموت قبله ، وذلك قوله : « إن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات » (أعمال ٣٦ : ٢٧) ، أى أن المسيح صلب - على زعمهم - ومات ثم قام بعد ذلك . وهو أول من عاش بعد موته ، ومعنى ذلك أنه لم تحصل معجزة الإحياء قبل قيامة المسيح على حد تعبيرهم ، ولم تحصل بعدها كذلك .

لفظا آب وابن

إن لفظا آب وابن من الألفاظ الشائعة فى الأناجيل ، لذلك نرى من الواجب بحث هذه التسمية بحثاً مستقلا ، حتى يمكننا توجيهها التوجيه الضرورى لها ، ويمكننا تحديد معناها أو معرفة حقيقة ما ترمى إليه .

(ا) تخصيصهم للتسمية :

إن تسمية المسيح فى الأناجيل (ابن الله) وإطلاق لفظ (آب) على الله جل وعلا ، دعا الكنيسة إلى اتخاذ ذلك دليلا على البنوة الحقيقية . وحداها[1] إلى اعتبار المسيح ابن الله حقا ، ومن ذلك قول بولس عن المسيح فى (رومية ١ : ٤) « وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات » وقوله فى (٢ كو ١ : ٣) « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » .

(ب) إطلاق التسمية :

ولكننا إذا بحثنا فى الأناجيل وجدنا هذه التسمية عامة تطلق على غير ابن مريم كذلك ، فقد روى عن المسيح أنه كان يقول « طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » (متى ٥ : ٩) ، وكذلك قوله « لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات » (متى ٥ : ٤٥) ، ومثله قوله فى (متى ٦ : ٩) « فصلوا أنتم هكذا أبانا الذى فى السموات » وكذلك قول يوحنا « يٰأيُّها الأحباء نحن أولاد الله » (١ يوحنا ٣ : ٢) ، ويشبهه قول لوقا إن « آدم ابن الله » (لو ٣ : ٣٨) ... إلخ إلخ .

(جـ) وجوب تأويل التسمية :

فالأناجيل تسمى المسيح (ابن الله) وتطلق على سواه كذلك هذا الاسم كما بينا ، فبدهى أن لفظ (ابن) ليس معناه البنوة الحقيقية ، سيما وأن متى فى إنجيله يذكر لنا أن « يسوع المسيح ابن داود ابن اسحق » (متى ١ : ١) ، ومثله قوله (متى ١ : ١٦) أن « يعقوب ولد يوسف رجل مريم الذى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح » وكذلك قول لوقا أن المسيح هو « ابن أنوش ابن شيث بن آدم بن الله » (لو ٣ : ٣٨) .

فنرى من ذلك أن لفظ (ابن) المضاف إليه لفظ الجلالة قد استعمل مجازا وقصد به لفظ (حبيب) على سبيل الاستعارة ، ولقد قال تعالى :

---

(١) حداها : دفعها . (المراجع) .

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (١)

ويؤيد هذا ما رُوِىَ عن المسيح . وهو قوله لأتباعه « لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » (يوحنا ١٥ : ١٥) .

بل ربما قصد به لفظ (عبد) .

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ (٢)

وإنك لترى من المجازات فى الأناجيل استعمال لفظ (رب) بمعنى (معلم)(*) وذلك كقول اثنين من التلاميذ لابن مريم « ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث » (يوحنا ١ : ٣٨) .

وكيف نستطيع أن نقول إن المسيح ابن الله تعالى الذى

﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (٣)

إن كتب المسيحيين تقول إن أتباع المسيح جميعهم ولدوا من الله ، وذلك كما جاء فى (١ يو ٥ : ١) « كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقده وُلِدَ

---

(١) آل عمران : ٣١ (٢) النساء : ١٧٢

* لا يزال لقب الرابى Rabbi يستخدم كلقب لكبير حاخامات اليهود حتى يومنا هذا . (المراجع) .

(٣) الإخلاص : ٣ - ٤ .

مِنَ الله » ومثله ما جاء فى (١ يو ٤ : ٧) « فكل من يحب فقد وُلِدَ مِنَ الله » فلا مشاحة هنالك فى وجوب تأويل الولادة بما يطابق العقل . ولقد جاء فى يوحنا ما يفسر ذلك وهو قوله : « لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية . لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله » (١ يو ٣ : ٩) .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (١)

﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ ﴾ (٢)

(د) أبوة إبليس وبنوة الناس له :

وإننا إذا تركنا التأويل عند مصادمة العقل لظاهر الكلام ، لاعتبرنا إبليس أباً للناس مع كونهم أولاد آدم عليه السلام ، فلقد جاء فى يوحنا قول المسيح : « أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا » (يو ٨ : ٤٤) ، وكذلك قوله : « بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس » (١ يو ٣ : ١٠) .

(هـ) المسيح ينهى عن تسميته (بابن الله) :

ويُفْهَمُ من الأناجيل أن المسيح كان يخاف الناس أن يأخذوا لفظ (ابن) على علاته أو يقف ذهنهم عن التفكير فى حقيقته ، أو ينقادوا إلى ظاهر معناه ، فكان ينهاهم عن تسميته بهذا الاسم خوفا من الخلط والضلال ، وإنك لترى لوقا يذكر أن المسيح كان ينهر الشياطين والمردة ويحاول منعهم من تضليل الناس بتسميته ابن الله . خوفاً من جهل العامة وعدم تميزهم وخشية اعتقادهم بظاهر الكلام الذى ينافى العقل ويخالف حقيقة الأمر .

---

(١) الأنبياء : ٢٦ . (٢) الأنعام : ١٠١ .

ولبيان ذلك أذْكُرُ ما حكاه لوقا ، وهو قوله : « وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول ، أنت المسيح ابن الله ، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح » (لوقا ٤ : ٤١) .

وإنى أعلم أن بعض الناس قد يقول إن قول لوقا « لأنهم عرفوه أنه المسيح » قد يكون قيداً للمعنى ، وأن المسيح انتهرهم تواضعاً ، ولكن المقام ليس ذلك مطلقاً ، فمقتضى الحال يوجب التصريح بالحقيقة ، ولو كان المسيح هو ابن الله بالمعنى الذى يريدونه ، لما نهر الشياطين المضلة التى ليس التبليغ من شأنها ، عن تكنيته بالكنية اللازمة . ولقد قال تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]

(و) اللفظان : (آب) وFather :

إن لفظ (آب) بمد الهمزة يخالف كل المخالفة لفظ (أب) ، ويدل كذلك على معنى مغاير للفظ الثانى . ولقد ذكر أحد الآباء الدومنيكان[2] فى مقدمة الجزء الثانى من كتاب (الثمرنة) المطبوع فى الموصل أن لفظ (آب) بمد الهمزة معناه (الله) ، ويثبت ذلك قول المسيح « إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٧) .

وإن لفظ Father الإنجليزى الذى ترجموا به لفظ (آب) والذى ينطق بالعربية (فاذَرْ) ، وكذلك لفظ vater (فاتَرْ) الألمانى وPater (باتَر)

---

(١) الأعراف : ٢٧ .

(٢) الآباء الدومنيكان جماعة من الرهبان تنسب إلى St . Dominic ظهرت فى أوروبا فى أوائل القرن الثالث عشر من الميلاد وقد اعترف البابا بعهد هذه الطائفة دينياً واعتمد عليها فى تنظيم محاكم التفتيش ، وكانوا يسمون بالرهبان الشحاذين لتقشفهم فى أول عهد ظهورهم وعندما أُغْدِقَتْ عليهم الهدايا زالت عنهم الحماسة الدينية والتقشف الذى صحبها .

اللاتيني ، (وبدر) الفارسي و(باتزا) اليوناني يشبه لفظ (فاطر) العربي ، ولقد قال تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (1)

وهكذا ترى مما سبق أنه ليس هنالك مايدعو إلى الأخذ بالبنوة الحقيقية أو الألوهية التي يزعمونها من تسمية المسيح (ابن الله) أو من تسمية الله (بالآب) ؛

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (2)

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ ﴾ (3)

أقوال فى الأناجيل يستندون عليها

وهناك بعض جمل خاصة فى الأناجيل ، وتعابير معينة فيها ، يريد المسيحيون أن يتخذوها سنداً فى دعواهم بألوهية المسيح ، وسوف نذكر هذه الأقوال كلها فى هذا الموضع ، وسوف نبين استحالة إمكان أخذها ، بظاهرها وسنظهر عدم استطاعة الوقوف دون تأويلها ، وإلا اختلط الحابل بالنابل ، وصارت الناس كلها حسب الظاهر الذى يأخذون به آلهة – والعياذ بالله – وأبين هذا فيما يلى :

---

(1) الأنعام : ١٤ . (2) الأنبياء : ٢٦ . (3) الأنعام : ١٠١ .

(ا) أنا فى الآب والآب فى :

يروى عن المسيح أنه قال : « أنا والآب واحد ومن رآنى فقد رأى أبى » (يوحنا ١٠ : ٣٠) ، ويروى أنه قال كذلك « الذى رآنى فقد رأى الآب ، فكيف تقول أنت أرنا الآب ، ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى[*]، لكن الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال » . فلو كان قوله : أنا والآب واحد ، أو إنى أنا فى الآب دليل الاتحاد والحلول لأصبح جميع الحواريين مثله سواء بسواء وذلك لقوله لهم فى (يوحنا ١٤ : ٢٠) « فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فىّ وأنا فيكم » ولتساوى عيسى وأهل أفسس كذلك فى الاتحاد والحلول ، كما هو مذكور فى (أفسس ٤ : ٦) « إله وأب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم » ، ولصار أهل وكورنثيوس آلهة كذلك كما جاء فى (١ كو ٦ : ١٩) « أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم » .

فنرى هنا كيف أننا لا نستطيع الأخذ بظاهر الكلام ، وإلا لأصبح عيسى والحواريون وجميع أهل أفسس وكورنثيوس آلهة كذلك ، حسب ظاهر ماقيل .

وأما قول ابن مريم عليهما السلام : « ومن رآنى فقد رأى أبى » فلا يمكن الأخذ كذلك بظاهره حيث تمتنع رؤية الله جل وعلا فى الدنيا ..

فنرى بذلك ضعف الرأى القائل بالأخذ بظاهر قول المسيح بل يجب التأويل ويكون معنى قول عيسى هو : « إنى رسول الله إليكم وما أخبركم به إنما هو من الله يوحى إلى به ، فمن أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصاه » .

ولا يكون المسيح على ذلك إلّا رجلا أرسله الله تعالى ، ويثبت ذلك قَوْلُ بطرس « أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال . يسوع الناصرى رَجُلٌ

---

* يدل السياق دلالة قاطعة على أن الكلام إنما هو على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة . والمعنى المقصود من تعبير « أنا فى الآب والآب فى » هو أننا واحدٌ فى القصد والهدف ، وهو هداية الناس إلى الله . (المراجع) .

قد تبرهن لكم مِنْ قَبلِ الله بقوات وعجائب ، وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون » (أعمال ٢ : ٢٢) .

(ب) أنا من فوق.أنا لست من هذا العالم :

ويروى عن المسيح أنه قال : « أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم ، أما أنا فلست من هذا العالم » (يوحنا ٨ : ٢٣) ، فلو كان قوله : أنه من فوق وأنه ليس من هذا العالم دليل الألوهية لتساوى فى ذلك مع الحواريين لقوله لهم « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٦) .

فترى أن قوله (أنتم من أسفل .. إلخ) معناه « أنكم تبتغون عرض الحياة الدنيا وأما أنا فأعمل للآخرة » وكذلك قوله للحواريين : « لستم من العالم » معناه « لستم من الذين عموا عن الآخرة » ، فالمسيح بذلك يقول للحواريين أنه وإياهم يطلبون الآخرة ويعملون عملها « ليسوا من العالم كما إنى أنا لست من العالم » (يوحنا ١٧ : ١٦) .

(جـ) عمانويل الذى تفسيره الله معنا :

ويتمسك المسيحيون بقول (متى ١ : ٢٣) « العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانويل الذى تفسَيره الله معنا » ويزعمون أن ذلك دليل ألوهية المسيح(*)، ولكن ما هى الصلة بين الجملة (الله معنا) وبين المسيح ، إن جملة (الله معنا) هى جملة إسمية مفيدة معناها (الله موجود معنا) وموجود فى كل مكان . فهل يسمى المسيح (الله موجود معنا) .. ؟!

وإننا إذا فرضنا جدلا أن (عمانويل) معناه (الله) فقط وليس (الله موجود معنا) فلا يمكن أن نتخذ من تسمية المسيح بالله دليلا على كونه هو الله جل شأنه ، فإن كتبهم نفسها تطلق اسم الله على الملائكة وليسوا آلهة ،

---

* نجد بالقرآن الكريم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى إثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمةُ الله هى العليا والله عزيز حكيم** ﴾ . (سورة التوبة : ٤٠) ولا يفهم من قوله تعالى إن الله معنا ألوهية أى بشر ممن خلق الله سبحانه وتعالى . (المراجع) .

وتطلق اسم الله كذلك على الأنبياء وليسوا آلهة كذلك ، بل إن كتبهم تطلق اسم الله على جميع البشر بل تطلق اسم الله على إبليس نفسه وليس إبليس هو الله بداهة ..

فأما إطلاق اسم (الله) على الملائكة فيظهر جلياً عند مراجعة سفر القضاة ، فمنه « ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب فقال منوح لامرأته : نموت موتاً لأننا قد رأينا الله » (قضاة ١٣ : ٢١) ، فَسَمَّى منوحُ النبيُّ المَلَكَ اللهَ .

وكذلك سمى يعقوب الملك أو الرجل الذى صارعه إلى الفجر الله وسمى الأخير نفسه كذلك ، حين سأله يعقوب « فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال له : لا يُدْعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقَدَرْتَ » إلى قوله « فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسى » (تك ٣٢ : ٢٤ - ٣٠) .

ولا نستطيع طبعا اعتبار الذى غلبه يعقوب فى المصارعة حتى الفجر الله ولا كان الله من الضعف بحيث يغلبه أحد البشر ..

وأما إطلاق اسم الله على الأنبياء فيبينه ما جاء فى سفر الخروج من أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام « أنا جعلتك إلهاً لفرعون وهرون أخوك يكون نبياً » (خر ٧ : ١) .

وأما إطلاق اسم الله على الناس خاصتهم وعامتهم فيبينه ما جاء فى (المزمور ٨٢ : ٦) « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلى كلكم » ..

وأما إطلاق اسم الله على إبليس ، فقد جاء فى (٢ كو ٤ : ٣) « ولكن إذا كان إنجيلنا مكتوماً فإنما هو مكتوم فى الهالكين الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين .. إلخ » .

فبما أن هؤلاء جميعاً يطلق عليهم اسم الله كابن مريم نفسه ، فإما يُعتبرون جميعاً آلهة حسب المعنى الظاهر وهو محال عقلا أو يئول الظاهر ويكون لفظ (الله) بمعنى سيد أو غيره ،

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١)

(د) وكانت الكلمة الله :

وتستند الكنيسة فى دعواها بألوهية المسيح على قول (يوحنا ١ : ١) « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكانت الكلمة الله »(*)

أما قولهم (وكانت الكلمة الله) فإن فيه حتما تحريف بالنقصان ، وتكون بذلك الجملة (وكانت الكلمة أمر الله) أى بأمره ، ويثبت من ذلك قول المسيح فى (يوحنا ٨ : ٤٠) « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » ومثله ما جاء فى (تيموتاوس ٢ : ٥) « لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله الناس الإنسان يسوع المسيح » .

وبما أن قولهم (فى البدء كان الكلمة .. إلخ) يتعارض مع الآيتين التاليتين له وجب تأويل الأول لمنافاته للعقل ومعارضته للحقيقة ، ويكون معنى كلام يوحنا أو أصله بدون التحريف هو « فى البدء كان عيسى كلمة عند الله وكانت الكلمة عيسى أمر الله أى بأمره وقدرته وكلمته التى هى كن » .

﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢)

القسم الثانى من المبحث الثانى

دليل عدم ألوهية المسيح

تمهيد :

نرى قبل أن نتكلم فى هذا الموضوع ، وقبل أن نذكر الأدلة الصارخة

---

(١) الأنعام : ٢١ .

★ من الثابت أن يوحنا فى مقولته هذه قد تأثر بأفكار فيلون السكندرى . Philo (٢٠ ق . م – ٤٠ م) ، وهو يهودىٌّ عاش بالإسكندرية فى العصر الهلنستى ، وحاول التوفيق بين الدين اليهودى والفلسفة باعتبار أن الخالق هو عقل يفيض عنه العالم ، وسمى ذلك العقل اللوغوس . وكان يشير إليه على اعتبار أنه « الكلمة » . (المراجع) .

(٢) آل عمران : ٤٧ .

التى تنطق بعدم إمكان الألوهية البشرية ، ونأتى بالبراهين القاطعة التى تُنَزِّهُ الله سبحانه وتعالى ، نرى قبل أن نبدأ ذلك أن نذكر شيئاً عن اعتقاد المسيحيين فى ماهية ابن مريم ونذكر اعتقادات أكبر الفرق المسيحية فيما يتعلق بعيسى عليه السلام فنقول :

أولا – الفرقة الملكانية :

إن الفرقة الملكانية تزعم أن المسيح إله تام كله وإنسان تام كله ، ليس أحدهما غير الآخر وأن الإنسان منه هو الذى صُلِبَ وقتل ، وأن الإله منه لم ينله شىء من ذلك وأن مريم ولدت الإله[1] والإنسان وأنهما معاً شىء واحد[2].

ثانيا – الفرقة النسطورية :

وهذه الفرقة تنسب إلى (نسطور) بطريرك القسطنطينية ، وتزعم كسابقتها أن المسيح له طبيعتان ، ولكنها تقول إن مريم ولدت الإنسانَ ولم تلد الإله ، وإن الله تعالى لم يلد الإنسان وولد الإله .

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]

ثالثا – الفرقة اليعقوبية :

هى تنسب إلى يعقوب البردعانى الذى كان راهباً بالقسطنطينية ، وتزعم أن المسيح بجملته المركبة هو الله ، ويقول تعالى فى هذا :

---

(١) قرر المسيحيون أن مريم ولدت الإله وذلك فى مجمع (أفيسوس) سنة ٤٣١ بعد المسيح .

(٢) سنبين أصل هذه الفكرة وسنبين منشأها فى (مبحث التثليث) .

(٣) يونس : ٦٨ .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]

رابعاً – الفرقة الموحدة :

وهذه الفرقة تقول بوحدانية الله تعالى ، وتقول برسالة ابن مريم ، وأن المسيح هو رسوله ولا يمكن أن يكون غير ذلك . وهذه الفرقة تضم عدداً من عقلاء المسيحيين وفلاسفتهم .

ومن هذه الفرقة الفيلسوف العظيم (تولستوى) الذى يعتبره الألمان أكبر فيلسوف أنجبه القرن العشرين ، وترى فى هامش هذه الصفحة شيئاً عنه[2].

---

(١) المائدة : ١٧ .

(٢) لتولستوى هذا إنجيل خاص مترجم إلى أكثر اللغات . ومنها العربية . وقد اجتهد هذا الرجل أن يجمع فى هذا الإنجيل كل ما يعتقده صحيحاً وقد حذف ما أداه بحثه إلى كونه دخيلاً محرفاً ، ولم يعتبر الرسائل ألبتة ، ولام الرؤساء الدينيين لتشويههم حقيقة المسيحية واختيارهم كتباً تعارض الدين الصحيح ، فتراه يقول فى مقدمته (لا ندرى السر فى اختيار الكنيسة هذا العدد من الكتب وتفضيلها إياه على غيره واعتباره مقدساً منزلاً دون سواه مع كون جميع الأشخاص الذين كتبوها هم فى نظرها رجال قديسيون) (ويا ليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس هذا التفضيل فبينت إذ ذاك ما وجدته من الخطأ فى الكتب التى لم تعتبرها موحى بها) إلى أن قال : (إن الكنيسة أخطأت خطأ لا يغتفر فى اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهادها بعد ذلك التقسيم أن تؤيد أن ما اختارته منها هو الصحيح المنزل الموحى به من الروح القدس معتبرة كل حكمة واردة فيها من السماء لا تحول ولا تزول ولو تبصرت قليلاً لأدركت بداهة بأن ما عملته أفسد وأضر ما اختارته منها بإضافتها إليها التقاليد المتباينة المعنى المتضاربة المغزى بين بيضاء وصفراء وزرقاء أعنى أن بعض تلك التقاليد فى اعتقادها مفيد والبعض الآخر =

خامساً – باقى الفرق المسيحية :

وأما باقى الفرق المسيحية فيزيد عددها على ٧٢ فرقة يتشعب كل منها إلى مذاهب لا حصر لها وأهم هذه الفرق . فرقة تقول بألوهية المسيح وأمه مريم كليهما ؛ وفى ذلك يقول تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ ﴾ (١)

ولسهولة بسط هذه الآراء وبحثها ، نقسم الكلام فيها إلى شعبتين ، أما فى الشعبة الأولى فسنأتى بالدليل العقلى على عدم إمكان ألوهية المسيح ، وأما فى الشعبة الثانية فسنستشهد بالأقوال المنسوبة إلى عيسى فى الأناجيل تلك الأقوال التى ينفى بها هذه الدعوى ، ويبرىء نفسه مما ألصقه به البولسيون .

الدليل العقلى

وإننا إذا نظرنا إلى المسيح فى الأناجيل ما وجدناه إلا بشراً حقيقياً لبث فى بطن أمه تسعة أشهر كسائر الناس ثم ولد فشب وترعرع ، حتى إذا ما بلغ

= ذو تعليم سام وقد وضعت عليها كلها ختم العصمة من الخطأ وبذلك حرمت على نفسها الحق فى إيضاح غامضها وحذف مالا يوافق منها ولكنها لم تفعل ولن تفعل شيئاً من ذلك مادامت هذه حالها إن كل شىء فى نظرها مقدس سماوى كالعجائب وأعمال الرسل وآراء بولس الرسول فى شأن الخطيئة والعذاب والثواب وهذيان الرسل فى رسائلهم وخرافات يوحنا اللاهوتى فى رؤياه) إلى أن قال (كان على الكنيسة قبل اختيارها هذه الكتب أن تدرسها درساً وافياً وتحذف منها ما يدعو إلى الانتقاد والشك ولكنها لجأت إلى الكلام حتى اضطرت أن ترفض كثيراً من الأسفار وبعض فصول من أعمال الرسل ورسائلهم التى لو طالعها المرء بإمعان لوجدها أقرب إلى الغش والخيانة منها إلى التعليم) .

(١) المائدة : ١١٦ .

الثلاثين عاماً مارس النبوة والدعوة سنة كاملة طلبته اليهود فى آخرها ، وقد كان يأكل ويشرب ويسكر (متى ١١ : ١٩) وكان يتبرز ويبول ، وكان يتعب ، ويسأم . ويشتم . ويصخب . ويلعن . ويسب . ويتألم . ويتوجع . ويخاف . ويصرخ . وقد كان ينفرد فيتعبد ويصلى ويدعو الله ألّا يمكن منه اليهود إلى غير ذلك من الصفات البشرية ، والانفعالات النفسية ، والإحساسات المختلفة التى لا يشعر بها غير الإنسان ، مما ظهر فى سياق المبحث الأول .

ولو اعترض بولسيٌّ على ذلك وقال إنما كان ذلك من جهة ناسوته . قلنا إن الإحساسات المتباينة والانفعالات النفسية المختلفة لا يشعر بها الجسم المجرد من الروح ، بل إن الشعور يحس به الروح وحده ، وما شعور المادة إلا تحديد للانعكاسات التى تتلقاها الأعصاب المتعلقة بالحياة .

إن الروح البشرية التى كان يضمها جسم المسيح ، هى التى كانت تشعر بالرغبة فى الطعام والشراب ، وتحس بالحاجة إلى التبرز والتبول وذلك قوله تعالى عن ابن مريم وأمه :

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[1]

وإننا لا نستطيع مطلقاً أن نقول إن المسيح كان يضم جسمه الروح البشرية وكذلك الله تعالى ، فذلك مما لا يقبله العقل الذى عرَفنا به الله واهتدينا به إلى إثبات وجوده منزهاً عما لا يليق به ، وإذا فرضنا أن الاتصال بين اللاهوت والناسوت كان لوصول البشرية إلى مقام العزة الإلهية – وهذا الفرض غير جائز – فلا نسطيع أن نقول إن الاتصال المذكور كان لنزول العزة الإلهية إلى مستوى البشرية الحقيرة ، فيتصف الله جل وعلا بصفاتها ، وتلم به أعراض الحزن والألم والسرور والفرح ، بل ويذوق عذاب الأَسْر ، ويتجرع أوصاب الموت والصلْبِ ، ويزلزله الألم ، ويدعوه العذاب إلى البكاء والصراخ والعويل .

---

(١) المائدة : ٧٥ .

ما داموا يقولون بموت المسيح المتعلقة به الروح ، فمعنى ذلك أن الروح كفّت عن العمل ، وليس هناك معنى مطلقاً للقول بأن الجسد هو الذى مات وحده ، إذ أن الجسد كما قلنا ليس إلا أداة للروح المجردة عن المادة ذاتاً لا فعلا - كما أثبت ذلك الفلاسفة - أى أنها مجردة فى ذاتها ولا يظهر لها أثر بغير مادة .

كل ذلك يثبت أن الروح المتعلقة بالمسيح ما كانت إلا الروح البشرية المحضة التى لا مجال لسواها ، وإذا كانوا لا يقبلون ما تدل عليه بداهة العَقْلِ ، وجب عليهم إقامة الدليل للأخذ بسواه . وبما أن أدلتهم على ألوهية المسيح واهية ، وقد بَيَّنَّاها جميعها وأثبتنا عدم صلاحيتها ، وأظهرنا استحالة وقوفها كدليل مما سبق شرحه فى القسم الأول من هذا البحث ، فيكون بذلك المسيح مَحْضَ بَشَرٍ لا علاقة له بالله إلا علاقة المخلوق بالخالق .

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [1]

وإذا فرضنا أن الاتحاد بين الجوهر الناسوتى واللاهوتى حقيقىٌّ ، لأصبح أقنوم الابن[2] محدوداً ، وكل محدود قابل للزيادة والنقصان ، ووجوده فى حدوده يحتاج لموجد ، فيكون أقنوم الإبن مُحْدَثاً ، ويقتضى ذلك حدوث الله وهو محال .

---

(١) يونس : ٦٦ .

(٢) لفظ أقنوم يطلق على كل كائن حى عاقل قائم بنفسه . والمسيحيون يطلقون على المسيح اسم (أقنوم الابن) ويقولون أنه يحتوى على ثلاثة أقانيم وهى أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وسيأتى الكلام على هذا فى مبحث التثليث .

ونستطيع أن نقول كذلك : إما أن يكون شخص المسيح هو الإله كقول اليعقوبية – أو يكون الإله بكُليته قد حَلَّ فى المسيح – كزعم الفرقتين الأولى والثانية – أو حل بعضُه فيه ، فأما **الأول** فمحال لأنه بإعدام المسيح ينعدم الله ، **والثانى** محال أيضاً لأن الله ليس جسماً ولا عرضاً ولو كان جسماً لوجب اختلاط أجزائه بأجزاء جسم المسيح فتتفرق الأجزاء حسب ذلك وهو باطل ، ولو كان عرضاً لاحتاج إلى محل والواجب وجوده لذاته لا يحتاج لغيره وإلا صار ممكناً . والفرض **الثالث** محال هو الآخر لأنه إذا انفصل الجزء عن الكل صار كلاهما ناقصاً ، والمتركب من ناقصين ناقص ولا يجوز مثله على الواجب ، فيثبت أن ابن مريم ليس بإله .

وإنك لترى كذلك أنه لا معنى هنالك مطلقاً للقول بأن المسيح إله تام كله وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان الله تعالى إنساناً ولأصبح كل فرد منا إلهاً كذلك وهو محال .

وكلنا يعلم أن الله تعالى واجب الوجود أى أن وجوده لذاته من حيث هى ، أى أنه قديمٌ باقٍ غير مُركَّبٍ ... إلخ ، ولكننا إذا نظرنا إلى المسيح وجدناه محض إنسان تذكر عنه الأناجيل أنه وُلِدَ فى بيت لحم من مريم عليهما السلام ، أى أنه أُوجِدَ كسائر البشر من عَدَمٍ بقدرة الله تعالى الذى لا يحتاج وجوده لموجد غيره[1]، ثم يقول المسيحيون أنه أُعْدِمَ بعد ذلك صَلْباً . والله لا يطرأ عليه عدم .

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2]

﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[3]

---

(١) اللاهوتيون أنفسهم يقولون أن الأقنوم الثالث حل فى أحشاء مريم العذراء وصاغ من دمها إنساناً حياً كاملاً ثم جاء الأقنوم الثانى من الثالوث واتحد بهذا الإنسان اتحاداً أقنومياً ، أى أن المسيح لم يوجد إلا فى زمن خاص وأنه كان مسبوقاً بعدم مما يقتضى وجود علة تعطيه الوجود .

(٢) الحديد : ٣ . (٣) الروم : ٢٧ .

ويعترف المسيحيون أن المسيح إنسان كامل أى أنه مركب من أعضاء وأنسجة وخلايا بشرية ، والمركب يحتاج إلى تقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته ، وبما أن كل جزء من أجزائه غير ذاته ، فيكون وجود جملته محتاجاً إلى وجود غيره . والواجب كما قلنا لا يحتاج إلى وجود غيره بل هو واجب لذاته من حيث هى ، أى ليس وجوده موقوفاً على الحكم بوجود كل جزء من أجزائه كالمسيح[1] وقال تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ[2] لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3]

الدليل النقلى

وسنذكر هنا الأدلة الناطقة من الأناجيل التى يشهد فيها المسيح على كَوْنِه مَحْضَ إنسان ، وسنذكر الأدلة التى تنفى الألوهية البشرية ، وسنذكر شهادة المسيح لوحدانية الله تعالى ونفيه عن نفسه الصفات التى لا يتصف بها إلا واجب الوجود .

---

(١) يقول الإمام الشيخ محمد عبده إن نفى التركيب فى الواجب شامل لما يسمونه حقيقة عقلية أو خارجية فلا يمكن للعقل أن يحاكي ذات الواجب بمركب فإن الأجزاء العقلية لابد لها من منشأ انتزاع فى الخارج فلو تركبت الحقيقة العقلية لكانت الحقيقة مركبة فى الخارج وإلا كانت ما فرض حقيقة عقلية اعتباراً كاذب الصدق لا حقيقة .

وكما لا يكون الواجب مركباً لا يكون قابلاً للقسمة فى أحد الامتدادات الثلاث أى لا يكون له امتداد لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول وصار إلى وجودات متعددة وهى وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة فيكون ذلك قبولاً للعدم أو تركيبا ، وكلاهما محال .

(٢) يحتج بعض المسيحيين بتسمية القرآن إياهم أهل كتاب ويستدلون بذلك على صحة معتقداتهم ، ولكننى أعلن هنا وأصرح أن القرآن الكريم يسميهم كذلك باعتبار ما كان كتسميتنا يهود اليوم(*) يهودا وكتسميتنا البولسيين بالمسحيين باعتبار ما كان كذلك ونرى دليل ذلك فى هذا الكتاب .

(٣) المائدة : ٧٧ .

* يقصد المؤلف أن كلمة اليهود تعنى ضمن معانيها الذين هادوا أو الذين اهتدوا وآمنوا برسالة موسى عليه السلام . ولقد أفسد اليهود بعد ذلك ما أفسدوه وإن ظلت تسميتهم باليهود ملازمة =

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾[1]

(ا) المسيح سُلِبَتْ منه(*) الحياة والله حى :

وترى الأناجيل أن المسيح سُلِبَتْ منه الحياة فقال (متى ٢٧ : ٥) ، أن المسيح حين صُلِبَ صرخ بصوت عظيم (وأسلم الروح) وقال (مرقص ١٥ : ٣٧) «فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح »[2] وقال (لوقا ٢٣ : ٤٦) « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه فى يديك أستودع روحى ولما قال هذا أسلم الروح » وقال (يوحنا ١٩ : ٣٠) « فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل ونكس رأسه وأسلم الروح » .

فترى من ذلك كيف سلبت من المسيح الحياة .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[3]

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4]

= لهم . وكذلك هدم بولس تعاليم المسيح رغم الاعتقاد بأنه المؤسس الحقيقى للمسيحية . (المراجع) .

(١) الصافات : ٥ .

* يلاحظ أن المؤلف يستخدم كلام النصارى لبيان استحالة صحته . وليس معنى هذا هو صحة كلامهم فعلاً حيث إنه من المعروف أن المسيح لم يمت على الصليب كما يزعم النصارى . (المراجع) .

(٢) يقول مرقص بعد هذا (ولما رأى قائد المائة الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله) فأى منطق يجعل صراخ المصلوب ومفارقته الحياة دليل النبوة أو الألوهية !!! ...

(٣) البقرة : ٢٥٥ .

(٤) غافر : ٦٥ .

(ب) المسيح يعترف أن العِلْم لله وَحْدَهُ :

المسيح يقول : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » (مر ١٣ : ٣٢) ، فالمسيح يشهد بجهله ذلك اليوم وتلك الساعة ، أى أنه لا يعلم عن الساعة أو يوم الحساب شيئاً[١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[٢]

﴿ وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[٣]

(جـ) المسيح ينفى عن نفسه الإرادة والاختيار[٤]:

ولله الإرادة والاختيار يخاطب المسيحُ رَبَّهُ بقوله : « ولكن ليس كما أريد أنابل كما تريد أنت » (متى ٢٦ : ٣٩) والله

---

(١) طبعى وبدهى أن العلم من أعمال الروح لا من أعمال الجسد فإذا كان الله تعالى حالاً فى جسد المسيح فكيف يتصف الله بالجهل ؟! .. لاشك فى كون جهل المسيح ما يقتصر علمه على الله إثبات بشريته .

(٢) لقمان : ٣٤ . (٣) الزخرف : ٨٥ .

(٤) ليس للرسول أن يعلم متى تأتى الساعة إنما عليه أن يحذر منها وقال تعالى لرسوله ﷺ : (**يسألونك عن الساعة أيان مرساها ـ فيم أنت من ذكراها ـ إلى ربك منتهاها ـ إنما أنت منذر من يخشاها**) النازعات .

ومن طالع فى الإنجيل حكاية التينة وهى قول مرقص أن المسيح لما جاء هو وتلاميذه الاثنى عشر (نظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقاً لأنه لم يكن وقت التين فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد) (وفى الصباح إذ كانوا مجتازين رأوا التينة قد يبست من الأصول) مر ١١ : ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، فالمسيح جهل أن الشجرة ليس بها تين وجهل كذلك أن الوقت ليس بوقت ظهور التين .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أنه كان الأولى بالمسيح أن يدعو لها فتثمر ويأكل هو وأصحابه منها ، إذ ما ذنب التينة وما ذنب الناس يحرمون من ثمرها لأنها لم تثمر فى غير ميعادها وما ذنب صاحب التينة فيفقدها إلى الأبد . يضاف إلى ذلك استحالة أن يتصوَّر أحدٌ أن المسيح عليه السلام كان يجهل موعد جنى ثمار التين ويزعم النصارى أنه كان يعرف الغيب كله .

﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[1]

(د) المسيح عاجز والله قادر :

يقول المسيح « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً »[2]
(يوحنا ٥ : ٣٠) .

﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3]

(هـ) المسيح متواضع ولله الكبرياء :

سأل أحد التلاميذ المسيح قائلا : « أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لكى تكون لى الحياة الأبدية فقال له : لماذا تدعونى صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » (متى ١٩ : ١٦) .

لاشك أن هذا القول تواضع من المسيح[4]، والتواضع من صفات الصالحين ولا يكون الله متواضعاً .

﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[5]

---

(١) الحديد : ٥ .

(٢) ويقول كذلك (وأما الجلوس عن يمينى وعن شمالى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى) متى ٢٠ : ٢٣ .

(٣) الشورى : ٩ .

(٤) لو أخذنا هذا الكلام بظاهره لثبت نفى الصلاح عن المسيح وأصبح بذلك صالحاً وهو مالا نقول به .

(٥) الجاثية : ٣٧ .

(و) المسيح ينسب العظمة لله وحده :

يقول المسيح : « إن أبي أعظم منى » (يو ١٤ : ٢٨) ، ويقول : « الحق الحق أقول لكم أنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله »[١] (يو ١٣ : ١٦) .

(ز) لا يتصف الله بالخوف والعجز :

يقول (متى ٢٧ : ٤٦) « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إيلى إيلى لما شبقتنى أى إلهى إلهى لماذا تركتنى » .

ومعنى ذلك أن المسيح كان خائفاً من الموت عاجزا عن تخليص نفسه منه ، والغريب أنهم يزعمون أن المسيح إله ، فما معنى خوفه من قضاءٍ حَتَّمَهُ على نفسه ؟ وما معنى عجزه عن التخلص من البشر الذين أهانوه وشتموه وبصقوا على وجهه ؟ بل ما معنى منادة نفسه والتوسل إلى ذاته ؟ الغريب أن يصرخ المسيح الذى يزعمون ألوهيته خَوْفاً من الموت المحتوم . ونرى كثيراً من المجرمين والقتلة يتقدمون نحوه بقدم ثابتة وجأش رابط .

(ح) المسيح يعبد الله :

لقد ثبت أن عيسى عليه السلام كان يعبد الله تعالى ، ويتوسل إليه شأن المخلوق مع الخالق ، وإلَّا فكيف يعبد الله نفسه ويتوسل إليها ، وهو الذى

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]

يروى (مرقص ١ : ٣٥) ، عن المسيح أنه « فى الصبح باكر جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك » ويقول (لوقا ٥ : ١٦) « وأما هو فكان يعتزل فى البرارى ويصلى » .

---

(١) هذا يدل على أن المسيح لا يمكن أن يكون مساوياً لله تعالى .

(٢) الحشر : ٢٤ .

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ [1]

(ط) المسيح رسول الله :

المسيح يقول : « الكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى » (يو ١٤ : ٢٤) .

أى أن الكلام الذى يتكلم به موحى به إليه من عند الله تعالى الذى أرسله ، ومثله قوله : « أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله » (يو ٨ : ٤٠) ، ومثله قوله : « لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » (يو ٥ : ٣٠) .

(ى) المسيح يعتمد من يوحنا :

حكى متى قائلا : « حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا المعمدان ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلا : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ : فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن لأن هكذا يليق بنا أن يكمل كل بر حينئذ سمح له » (متى ٣ : ١٣ – ١٥) .

فترى كيف سعى المسيح أن يكمل نفسه بالتعمد من يحيى الذى صار بذلك أعلا منه مرتبة ، وقد شهد المسيح بنفسه أن يحيى (لم تلد النساء مثله) .

ألا ترى أنه من المخجل أن نساوى الله بالبشر ، ونزعم أن النبى الذى يعتمد من يحيى هو الله . إن يحيى نبى كريم فهل يجهل يحيى ربه ، إن المسيح لو كان هو الله لسجد له يحيى حالا ، وهل يقف الله أمام عبده وجهاً لوجه يحادثه ؟ وهل يأخذ الله عن عبده الشريعة ويكمل نفسه بالتكاليف والعبادة بالتعمد عنه ؟! .

---

(١) الرعد : ١٥ .

(ك) المسيح يُجَرِّبه إبليس :

يقول (متى ١ : ١ - ١٥) « ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليُجَرَّبَ مِنْ إبليس فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة رجع أخيراً فتقدم إليه المجرب وقال له : إن كنت ابن الله فقل : أن تصير هذه الحجارة خبزاً فأجاب وقال : مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل ؛ لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رِجْلَكَ ، قال له يسوع : مكتوب أيضاً لا يجرب الرب إلهك ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى ، حينئذ قال له يسوع : اذهب عنى يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » .

نستخلص من هذا الحديث الأمور الآتية :

أولا - إن إبليس كان يقود المسيح إلى حيث شاء فينقاد له . فتارة يقوده إلى المدينة المقدسة ويوقفه على جناح الهيكل وتارة يأخذه إلى جبل عالٍ جداً ، ويُصْعِدُه عليه بدون أن يبدى المسيح اعتراضاً وكأنه استسلم لإبليس استسلاماً تاماً غير خليق بنبى فضلا عن الإله .

ثانيا - لا أعتقد أن إبليس من الجهل بحيث يعرض على ربه وإلهه وملك الأرض ومجدها ويطمع فى أن يسجد له خالقه .

ثالثاً - ربما قال قائل أنه كان يخاطب ناسوت المسيح ، ولكن هذا الزعم باطل ، فإنهم يقولون أن اللاهوت متعلق ومندمج فى الناسوت وهما غير مفصولين ، فيكون خطاب إبليس إذن لكليهما ، ولو كان إبليس يعنى جسم المسيح وحده لخاطب نصفه ولم يخاطبه كله كما روى متى .

رابعاً - يؤخذ من الحديث السابق أن المسيح يشهد أن الله واحد لا شريك له ، ولا يُعْبَدُ إلا هو ، ولا يُسْجَدُ إلا له ، وهذا هو قول المسيح « مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » .

(ل) لا يصح أن يكون الله ملعوناً جهنمياً وابن زنا :

يدعى المسيحيون أن المسيح ملعون من السماء . واللعنة ، معناها الطرد من الرحمة ، فهل تليق اللعنة بمقام النبوة فضلا عن الألوهية ؟ إن النبى لا ينبغى أن يكون ملعوناً وإلَّا كان كإبليس ، وأصبح كالسفلة الأشرار ، فما بالك بمن يزعمون أن الله ملعون مطرود من رحمة نفسه ؟ .

يقول المسيحيون أن « المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا » (بولس ٣ : ١٣) ثم قالوا : « كما أن المسيح مات لأجلنا ، ودُفِنَ ، لذلك لابد أن نعتقد أنه دخل جهنم » ثم نسبوه للزنا فادعوا أنه ابن فارس ابن الزنا كما بينا فى (نسبه) فى المبحث الأول ، وسنبين فى المبحث الثالث كيف يهينونه كذلك بتمزيق لحمه وإهراق دمه فى كنائسهم ، وكيف أنهم يهضمون ناسوته ولاهوته فى أحشائهم ويلقونه بعد ذلك فى بيون الخلاء .

فهل يتسنى لهم بعد ذلك أن يزعموا أن المسيح ابن مريم هو الله ؟! بل كيف يجرءون أن يقولوا أن المسيح – رسول الله – ملعون جهنمى[1] وابن زنا !؟ .

---

(١) ينكر البروتستانت أن المسيح دخل جهنم وَتَعَذَّبَ فيها وأنه فعل ذلك فداء عن الأنفس المعذبة فى الجحيم بما فيها أنفس الرسل والأنبياء الذين مدحهم الله فى كتبهم كهابيل (تك ٤ : ٤) ونوح (تك ٦ : ٩) وأخنوخ (تك ٥ : ٢٤) وداود (مز ٨٩ : ٢٠) وموسى (عد ١٢ : ٦) ودانيال (دا ٦ : ٢٢) وأيوب (أى ١٩ : ٢٥ – ٢٧) ويوسف خطيب مريم العذراء وإيليا (لو ٩ : ٣٠ و ٣١ ... إلخ إلخ ..

بل كيف يدخل إبراهيم وإسحٰق ويعقوب جهنم وقد قال المسيح (الرب إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء) لو ٢٠ : ٣٧ و ٣٨ ؟ .

يقول البروتستانتى هل إبراهيم وإسحٰق ويعقوب كانوا فى جهنم عند إبليس وهل معنى قول السيد المسيح (الجميع عنده أحياء) يعنى بذلك عنده فى جهنم وهل مسكن الله جهنم ؟!! .

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[1]

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾[2]

★ □ ★ □ ★

---

(١) الكهف : ٥ .

(٢) هود : ١٨ .

المبحث الثالث

التّثليث

تمهيد :

سنقسم الكلام فى هذا المبحث إلى ثلاثة أقسام . فأما القسم الأول فسنتكلم فيه عن الأقانيم الثلاث ، ثم نذكر فى القسم الثانى شيئاً عن مجمع نيقية العام الذى تقررت فيه المبادىء التى تسير عليها كنائس اليوم ، وأما فى القسم الثالث فسنبين أصل عقيدة التثليث ، وسنبين المصدر الذى أخذها عنه المسيحيون القدماء أصحاب المجمع المذكور .

القسم الأول من المبحث الثالث

الأقانيم الثلاث

فى هذا القسم سنبين عقيدة التثليث ، ونثبت منافاتها للعقل ونظهر كيف لم يذكر الأنبياء السابقون والرسل الأولون عنها شيئاً . وسنذكر شيئاً عن روحهم القدس الذى يعتبرونه أقنوماً ثالثاً ، وبعد ذلك سنثبت أن دعوة المسيح ضد التثليث ، ومحاربته له ، ونُبيِّنُ قيامه بالدعوة للتوحيد الحقيقى وحدهُ دون سِواه ، فنقول :

عقيدة التثليث

يذهب المسيحيون إلى كَوْن إلههم عبارة عن ثلاثة أقانيم ممتازة امتيازاً حقيقياً ، ويسمونها الآب والابن والروح القدس ، ويصفونهم هكذا :

الآب : هو الأقنوم الأول ، وهو والد الأقنوم الثانى ، وهو مُكَوِّنُ الكائنات .

الابن : هو الأقنوم الثانى ، وهو وَلَدُ الأقنوم الأول ، وهو المخلِّصُ من الخطية .

الروح القدس : وهو الأقنوم الثالث ، ويصدر عن ركنى التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية ، وهو معطى الحياة . ويقولون أن هذه الثلاثة أقانيم واحد .

دليلهم على التثليث

ليس للمسيحيين من دليل على التثليث يستطيعون أن يظهروه مطلقاً ، فقد فرض عليهم بوساطة مجمع نيقية كما سيأتى بيان فى القسم الثانى ، وليس لديهم فى الأناجيل إلا ما يدل على التوحيد الحقيقى كما سنبين بعد ، ولكن هنالك قولاً فى يوحنا (٥ : ٧) يتخذونه دليلاً على التثليث وهو قوله « فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون فى الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم والثلاثة هم فى الواحد .

هل تجد هنالك ثمت انسجام فى هذا القول ؟! (*). بل انظر إلى تفكك المعنى وتباين المرمى وانظر إلى العلاقة المعدومة بين هؤلاء الشهداء فى السماء وهؤلاء الشهداء فى الأرض .

إن الفقرة التى تشير إلى التثليث فى الكلام السابق يشهد بتحريفها علماؤهم المشهورون ، وإن جمهور علماء البروتستانت يقولون أن هذه الجملة « فى السماء ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد والذين يشهدون فى الأرض » إلحاقية محرفة ، ويشهد بذلك (هورن) وهو العالم المسيحى المشهور بتعصبه الدينى ، كما يشهد بتحريفها جامعو تفسير (هنرى واسكات) وتفسير (آدم كلارك) وكذلك يميل بإلحاقيتها (إكستاين) أعظم علماء أهل التثليث فى القرن الرابع للميلاد وكثيرون غيره كذلك .

ولقد لخص حضرة العلامة رحمة الله الهندى – عن جامعى تفسير (هنرى واسكات) – الأدلة التى يأخذ بها هورن وغيره فى كون هذه العبارة دخيلة على الإنجيل وهذه الأدلة هى :

أولاً : إن هذه العبارة لا توجد فى نسخة من النسخ اليونانية التى كُتِبَتْ قبل القرن السادس عشر .

---

* ولقد حذف علماء المسيحية الشعار الدال على التثليث من رسالة يوحنا الأولى (٥ : ٧) باعتبار أنه كان تزييفاً وأصبحت الجملة السابعة فى الطبعة الإنجليزية كما يلى : There are three witnesses. لأن مثال الروح والماء والدم يهدم التثليث بدل أن يثبته . ليس الدم وحده إنساناً ، ولا الماء وحده إنسان حيث إنه لا يجوز أن يقوم الجزء مقام الكل . (المراجع) .

ثانياً : إنها لا توجد فى النسخ المعتبرة قديماً والتى طُبِعَتْ بعناية .

ثالثاً : إنها لا توجد فى أى ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية .

رابعاً : إنها لا توجد فى معظم النسخ القديمة اللاتينية أيضاً .

خامساً : إنها لم يتمسك بها أحد من القدماء ومؤرخى الكنيسة .

سادساً : إن أئمة البروتستانت وعلماؤهم أسقطوها من كتبهم ووضع بعضهم عليها علامة الشك .

ولعل القارىء بعد أن اطلع على المبحث الأول لا يستغرب إذ ذاك التحريف فى الأناجيل الذى ثبت ثبوتاً قاطعاً ، ومثله ما ذكره قاموس الكتاب المقدس للدكتور (جورج بوست) الأمريكى من أن الآيات من (٩ - ٢٠) من الأصحاح السادس عشر من إنجيل مرقص لم تكن فى النسخ القديمة من ذلك الإنجيل بل أضيفت إليه فيما بعد . وبعض هذا يثبت أن ما يستندون عليه فى دعواهم واهٍ ولا حقيقة له .

﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ (١)

منافاة عقيدة التثليث للعقل

فكيف يتفق أن يكون الابن ابناً لنفسه . وفى الوقت ذاته أباً لنفسه ، هذا عين المحال .

وعلى اعتبار التقسيم المذكور يكون لكل أقنوم وظيفة خاصة به وصفة تلازمه لا يتصف بها غيره ، ولا يكون لأيهم صفة الألوهية منفرداً ، بل يكون كل منهم ناقصاً حتى ينضم إليه الأقنومان الآخران ، والتركيب فى ذات الله

---

(١) النساء : ١٧١ .

تعالى محال كما تقدم فى (دليل عدم ألوهية المسيح) لأن المركب يحتاج إلى كل جزء من أجزائه فيكون حادثاً .

ثم مادام الآب هو مُكَوِّنُ الكائنات ، والابن هو المخلِّصُ ، والروح القدس هو مُعْطِى الحياة ؛ فيكون الآب عاجزاً عن التخليص وعن إعطاء الحياة ، ويكون المخلص عاجزاً عن تكوين الكائنات وإعطائها الحياة ، ويكون الروح القدس عاجزاً عن تكوين الكائنات وتخليصها ، وأنْ يَتَكَوَّنَ اللهُ تعالى من أقانيم عاجزة لهو عين الوهم والمحال .

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (1)

ألا ترى أنه لو كان إلٰهان لأمكن أن واحداً يريد أن يفعل شيئاً والآخر لم يشأ ذلك ، أو كلاهما يتفق فى الإرادة جميعاً ، أو تكمل فقط إرادة أحدها خصوصاً ولا تكمل إرادة الآخر ، والقول الأول محال ، إذ يكون فى إرادتيْهما تضاد فينفى الواحد ما أثبت الآخر ، والثانى أيضاً محال لأن إرادة الواحد مقيدة بإرادة الآخر ، والثالث باطل أيضاً ، لأن الذى بطلت إرادته ليس إلٰهاً وأما الآخر فيكون وحده الإله ، وقد قال تعالى .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (2)

★ □ ★ □ ★

(1) النجم : ٢٨ .
(2) الأنبياء : ٢٢ .

عقيدة التثليث لم يقل بها الأنبياء والرسل

ولو فرضنا أن عقيدة التثليث هى مدار النجاة عندهم ، فكيف خفى ذلك على آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام ، بل كيف خفى ذلك على إسحٰق وجميع أنبياء بنى إسرائيل . إن هؤلاء لم يرد عنهم فى التوراة إلّا ما يدل على التوحيد الحقيقى وحده ، وقد نَزَّهُوا الله تعالى عما لا يليق به من الصفات[1] وَحَذَّرُوا وقاموا ضد الإشراك بالله تعالى ، فمن ذلك ما جاء فى التوراة « اسمع يا إسرائيل : الرب إلٰهنا رب واحد فتحب الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التى أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تقوم واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك » (تثنية ٦ : ٤ — ٨) .

فانظر كيف جعل الله التوحيد شعاراً أبدياً وعهداً دائماً لا يزول .

المسيح يشهد أن لا إله إلا الله

إن التثليث لم يخطر ببال ابن مريم مطلقاً[2] وإذا رجعنا إلى أقوال المسيح فى الأناجيل لا نجده إلّا مؤمناً داعياً للتوحيد الحقيقى وحده ، مثل

---

(١) إذا ما رأينا فى كتبهم إثبات الحسية والأعضاء لله تعالى مثل الشكل والصورة (تكوين ٩ :٦) والأحشاء والبطن والقلب (أرميا ٤ : ٩) والفرج (مزمور ٢ : ٧) والفم (متى ٤ : ٤) ... الخ ، أو إذا رأينا ما يثبت المكان له تعالى (خروج ٢٥ : ٨) و (عدد ٥ : ٣) و (متى ٢٣ : ٢١ و ٢٢) وجب تأويله كله لمنافاته للعقل والنقل الصريح مثل ما هو مذكور فى سفر التثنية ٤ : ١٥ (فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار) وفى يوحنا ١ : ١٨ (الله لم يره أحد قط) وأنه (لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه) تيمو ٦ : ١٦ وما جاء من تنزيهه عن المكان فى أشعياء ٦٦ : ١ وأعمال ٧ : ٤٨ (لكن الله العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى) ، وهكذا مادامت آيات التنزيه هى وحدها المطابقة للعقل وجب تأويل ما هو عكسها .

(٢) بل لم يخطر التثليث ببال إبليس متى ٤ : ١ — ١٠ .

ذلك ما سبق من قوله لإبليس « لأنه مكتوب للرب إلٰهك تسجد وإياه وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠) وهو ما يشبه قول المسلمين « لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه » .

ولو كان هنالك ثلاثة أقانيم لقال المسيح لإبليس « للثلاثة أقانيم آلهتك تسجد وإياهم وحدهم تعبد » أو أشار إلى هذه الأقانيم أقل إشارة .

لقد روى مرقص أن عيسى كان يعلم اليهود « فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله أية وصية هى أول الكل فأجاب يسوع إن أول الوصايا هى اسمع يا إسرائيل : الرب إلٰهنا رب واحد وتحب الرب إلٰهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هى الوصية الأولى » ، « فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأن الله واحد وليس آخر سواه » فلما رآه يسوع أجاب بعقل قال لست بعيداً عن ملكوت الله » (مرقص ١٢ : ٢٨ - ٣٤).

إن المسيح فى مقام التعليم والإرشاد فلابد أن يصدق فيهما ، ولما سأله اليهودى عن أول الوصايا أجابه أنها الإيمان بالتوحيد الحقيقى ، وبالرغم من ذلك تجد المسيحيين يدعون أن أول الوصايا هى الإيمان بأن الله ثلاثة أقانيم ممتازة امتيازاً حقيقياً وأن كل أقنوم له عمل خاص به .

ألا ترى أن المسيح يقول « الرب إلٰهنا رب واحد » ولم يقل « أنا إلٰهكم رب واحد وثلاثة أقانيم » بل اعترف بأن الله تعالى هو إلٰهه كذلك ؟

ألا ترى أن المسيح قد سُرَّ من اليهودى وشهد أنه أجاب بعقل حين شهد معه « أن الله واحد وليس آخر سواه » ؟

ألا تجد أنه من الغريب أن تكون أول الوصايا فى كتبهم - بشهادة المسيح نفسه - هى « لا إله إلا الله » التى هى نفس أول الوصايا فى الإسلام ؟

المسيح يشهد أنه رسول الله كسائر الرسل

يقول المسيح « لا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً أخوة ولا تدعوا لكم أباً - إلٰهاً - على الأرض لأن أباكم - إلٰهكم - واحد الذى فى السموات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح » (متى ٢٣ : ٨) .

ألا ترى أن المسيح يقول « ولا تدعوا لكم أباً » أى إلٰهاً « على الأرض » أى متجسداً على الأرض أو حالًا فى جَسَدٍ أرْضِيٍّ « لأن أباكم » إلٰهكم « واحد » لا شريك له وهو « الذى فى السموات » العلى العظيم ؟

وترى كيف يشهد عيسى كذلك مكرراً أنه هو المعلم أى الرسول الذى أرسله الله ليعلمهم كباقى الرسل الكرام[1]و ..

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2]

ألا ترى أن الناس لما رأوا « الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » (يوحنا ٦ : ١٤) .

وسأذكر هنا آيةً عظيمة وشهادة حقة قالها المسيح عليه السلام وحفظها الله تعالى عن التشويه والتحريف ، تلك الآية العظيمة هى قول ابن مريم عليهما السلام :

وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، وأن يسوع الذى أرسلته » يوحنا (١٧ : ٣) .

وهكذا لم يقل المسيح « إن الحياة الأبدية أن يعرفوكم أنكم ثلاثة أقانيم ممتازة امتيازاً حقيقياً وأنكم جميعاً واحد » أو « إن الحياة الأبدية أن يعرفوك

(١) راجع الآيات الأخرى التى ذكرناها فى (ط) فى الدليل النقلى من القسم الثانى من المبحث الثانى .

(٢) آل عمران : ٧٩ – ٨٠ .

أنت الإله المكون من ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس ... إلخ »
« وأن يسوع إله وإنسان أو إله مجسم أو هو الأقنوم الثانى ... إلخ » .

بل لقد شهد المسيح أن « أن الحياة الأبدية هى شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله » وهو عين ما يؤمن به المسلمون جميعاً .

وحيث أن الحياة الأبدية حسب قول المسيح هى التوحيد الحقيقى فيكون التثليث الحقيقى هو الموت الأبدى والضلال » .

قال تعالى

﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (1)

الروح القدس

أما الآن فنستطيع أن نتكلم عن الروح القدس الذى يؤمن به المسيحيون وسأقسم الكلام عنه إلى النقط الآتية :

(أ) تعريف الروح القدس عند المسيحيين :

يعتقد المسيحيون أن الروح القدس هو الله جل شأنه ويزعمون فى الوقت عينه أنه الأقنوم الثالث من الثالوث وأنه هو معطى الحياة . ويقولون أن الروح

(1) المائدة : ٧٢ – ٧٣ .

القدس يستطيع الحلول والاتحاد بأى امرىء كان من المسيحيين الأتقياء عندهم ، فيقولون أنه حل فى التلاميذ وحل فى بولس وأصحابه ، بل يقولون أنه يحل فى جميع القسس والرهبان ورؤساء الكنيسة والباباوات . ويعتقد أصحاب كل مذهب من المذاهب ويعتقد أهل كل فرقة من الفرق المسيحية التى بيناها أن الروح القدس المذكور لا يحل إلّا فى رجال دين فرقتها دون رجال باقى المذاهب والفِرَق الأخرى .

(ب) هيئة روح القدس عندهم :

أما هيئة روح القدس عندهم وكيفية حلوله فى التلاميذ فيبينه ما جاء فى أعمال (٢ : ١ - ٤) ، وهو « ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت فى كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدءوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » .

هذا الوصف يقول المسيحيون أنه من عند الله ، ويدعون أن هذا الكلام كلامه تعالى ، وليت شعرى كيف لم يكفهم جعل الله إنساناً ، فجعلوه بعد ذلك ألسنة من نار ، إن هذه الألسنة النارية هى فى اعتقادهم روح القدس الذى هو الأقنوم الثالث ؟ وحسب نظريتهم أن الثلاثة فى الواحد تكون هذه الألسنة المنقسمة هى الآب والابن والروح القدس ، فهل حلت أقانيم الآب والابن والروح القدس فى التلاميذ كما حلت فى اعتقادهم فى جسد المسيح . إذا كان الأمر كذلك يكون المسيح كسائر التلاميذ سواء بسواء من حيث بشريته المحضة ومن حيث حلول الروح فيهم جميعاً .

إنى أعجب كيف يجعلون الله جلّ وعلا ألسنة منقسمة من نار[1]. وهل ينقسم الله إلى آب وابن وروح قدس وينقسم كذلك إلى أقسام كثيرة تحل فى التلاميذ[2]؟ وهل يتشكل الله تعالى بأشكال كثيرة فمرة يتشكل بإنسان

(١) هنالك فئة تعبد النار من دون الله تعالى وتوقد النار دائماً فى معابدها وتعتقد أن النار بألسنتها النارية المنقسمة هى الله تعالى عما يصفون .

(٢) قد بينا استحالة انقسامه تعالى آنفاً .

وأخرى يتخذ شكل ألسنة نارية منقسمة إلى أقسام عديدة ؟!..

إن الله تعالى لا يمكن أن يُرَى فى الدنيا وقد قال (يوحنا ١ : ١٨) « الله لم يره أحد قط » . وجاء كذلك فى كتبهم أن الله « لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه » (تيمو ٦ : ١٦) ، فكيف يَرَوْنَ الله بهذه الهيئة الغريبة ، وهو جل شأنه .

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١)

لقد قيل أن الذى ظهر للتلاميذ ما هو إلَّا عفريت من الجن ظهر لهم بغتة فأدهشهم وعبث بعقولهم حتى صاروا يهذون كمن مسه عارض من الجن ، ولعل من قال ذلك استشهد بقول (يعقوب ٤ : ٥) « الروح الذى حل فينا يشتاق إلى الحسد » أى أن الروح الذى حل فيهم هو الشيطان(٢) لا سواه .

ولا يفوتنى أن أذكر أن للروح القدس عندهم شكلاً آخر كذلك بجانب الشكل الذى ذكرناه ، وهذا الشكل الآخر هو « الحمامة » ، فإنهم يقولون أن الروح القدس « الذى هو فى الوقت عينه الآب والابن » يتشكل كذلك بشكل حمامة (متى ٣ : ١٦) ، فهل فكر المسيحيون قبل أن يزعموا أن الله تعالى يتشكل بهذه الأشكال الغريبة ؟!.(٣)

---

(١) الأنعام : ١٠٣ .

• أثبت العلّامة أحمد ديدات ، اعتماداً على ثلاثين دليلاً أن المسيح لم يكن قد مات على الصليب كما كانوا يحسبونه ، وذلك فى كتاب له ترجمناه إلى العربية بعنوان : « مسألة صلب المسيح » . وبناء عليه يكون المسيح بنفسه هو الذى ظهر للتلاميذ بالحجرة العلوية ، وهو بشخصه الذى أكل سمكاً وعسلاً . (المراجع) .

(٢) سمى الشيطان (روح يشتاق إلى الجسد) لأن الشيطان حسد آدم من قبل وأبى أن يسجد له ، ولعل فكرة حلول الروح فى بعض العامة اليوم مأخوذة من هذا التصور .

(٣) فى القسم الثالث من هذا المبحث سنبين أصل هذه الآراء والعقائد .

(جـ) الروح الحال فيهم يخطىء والله لا يخطىء :

وإذا كان الروح القدس هو الذى حل فى التلاميذ « وهو فى الوقت نفسه الله على زعمهم » ، فما بال هذا التناقض فى روايات الأناجيل ، وكيف يوحى الروح القدس إلى أحد الناس بما يخالف ما يوحيه للآخر ، هل يصح أن يوحى الروح القدس إلى متى ما يناقض ما أوحاه إلى لوقا أو إلى مرقص ، ويوحى إلى يوحنا ما يخالفهم جميعاً ، ثم يوحى إلى بولس ما يخالف الآخرين ، وهكذا دواليك ؟! .

ويقولون إن الروح القدس يحل فى أتباع الكنيسة ورؤسائها ، فما بال رؤسائهم قد حاروا فى أمر هذه الكتب ، ولم يستطيعوا أن يردوا الأمر إلى نصابه فيطبعون كتبهم خالية من الأغلاط والمتناقضات التى حار فيها علماؤهم ومؤرخوهم كما قدمنا ؟.

وهنالك خطأ ظاهر للروح القدس الحال فى بولس إذ شتم رئيس كهنة الله ، وحين لاموه على ذلك قال « لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة الله لأنه مكتوب : رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً » (أعمال ٢٣ : ٥) .

فهل يخطىء الله تعالى ؟! . أليس الله هو الحال فى بولس كما يزعمون ؟ .

إنهم يزعمون أن الروح القدس أو الله جلّ وعلا يحل فيهم ، وذلك استناداً على القول الذى نسبوه للمسيح وهو « ومتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به لأنكم لستم المتكلمين بل الذى يتكلم فيكم روح أبيكم » (متى ١٠ : ١٩)[١].

القسم الثانى من المبحث الثالث
مجمع نيقية ونتائجه الثلاث

وسنذكر فى هذا القسم التاريخ الذى ابتدأ فيه المسيحيون يجمعون الروايات التى كتبت عن المسيح ، وسنبين كيف اختار المسيحيون الكتب المتداولة بينهم اليوم . وسنظهر الظروف التى جعلتهم يختارون هذه الأسفار

---

(١) مثله ما هو مذكور فى (لوقا ١٢ : ١١) و (مرقص ١٣ : ١١) .

دون سواها من المؤلفات التى كانت وقتئذ بين أيديهم ، وسنشرح بعد ذلك النتائج التى وصلوا إليها بعد هذا الاختيار .

مجمع نيقية

لبث المسيحيون أكثر من ثلاثة قرون وليس لهم كتاب يسيرون عليه ، وليس لديهم نظام دينى خاص يتبعونه ، ولم يبدأ المسيحيون فى جمع شمل أنفسهم إلَّا فى أوائل القرن الرابع من الميلاد ، فقد اجتمع أكثر من ألف رئيس دينى فى نيقية ، وعقدوا مؤتمراً عاماً أسْمَوْه« مجمع نيقية العام » لينظروا فى الأناجيل المختلفة التى بين أيديهم ، ويزيد عددها عن الخمسين[1]، وليبحثوا الرسائل والكتب التى لا عدد لها الموزعة فى مختلف بقاع العالم ، وذلك لعلهم يستخلصون من بين هذه كلها الكُتُبَ التى يغلب على ظنهم صِحَّتُها منها ، والتى قد تُوَحِّدُ وِجْهَتَهم وتهديهم سواء السبيل .

وانعقد مجمع نيقية العام فى سنة ٣٢٥ ميلادية ، فانقسم الأعضاء إلى فريقين ، أما الفريق الأول فقد كان برياسة (آريوس) رئيس الموحدين الذى يرى أن المسيح مخلوق وأنه عبد الله[2] وأن الآيات والمحررات القديمة التى يُدَّعَى أنها تؤيد التثليث وتَجَسُّدَ المسيح مُحَرَّفَةٌ وزائفة . وأما الفريق الثانى فقد كان على رأسه الشماس (أثاناثيوس) الشاب الذى يرى أن المسيح إلهٌ تام وأنه متحد الجوهر .

وكان من الطبيعى أن يتنازع الفريقان ويشتد بينهما الخلاف ، ولقد ذكر المؤرخان المشهوران (سقراط) و (سوذينون) أن الآباء الروحانيين نسوا

---

(١) راجع ص ٤٣ حيث ذكرنا بعض الأناجيل التى كانت موجودة وقتئذ .

(٢) روى عن المسيح أنه كان يقول (فإنى بشر منظور وكتلة من طين تمشى على الأرض وفانٍ كسائر البشر وأنه كان لى بداية وسيكون لى نهاية وإنى لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة) برنابا ٩٥ : ١٩ .

ويروى كذلك قوله لتلاميذه (لذلك أقول لكم أيها الأخوة إننى أنا الذى هو إنسان تراب وطين يسير على الأرض أقول لكم جاهدوا أنفسكم وأعرفوا خطاياكم أقول أيها الأخوة أن الشيطان ضللكم بواسطة الجنود الرومانية عندما قلتم أننى أنا الله فاحذروا أن تصدقوهم لأنهم واقعون تحت لعنة الله وعابدون الآلهة الباطلة الكاذبة) برنابا ١٢٨ : ١ ، ٢ ، ٣ .

جميعاً سبب اجتماعهم ، فتشاتموا ، وتنابذوا بالألقاب ، وأظهر كل منهم مساوىء خصمه ، واتسعت بينهم شقة الخلاف حتى تضاربوا ، فتدخل حينئذ الامبراطور فى الأمر[1] وذلك بعد أن تبطن رأى صديقه ومواطنه البابا وقد كان الامبراطور (قسطنطين) وثنياً وقد روى عنه صديقه (أبوسيبوس)[2] بسقيوس قيصرية أنه لم يتنصر إلَّا قبيل وفاته وهو أسير الفراش .

وكان طبيعياً كذلك أن ينتصر الإمبراطور للفريق الأقرب إلى مبادئه ، فطرد ما ينوف عدده على السبعمائة من الرؤساء الروحانيين الموحدين من المجمع ، وهم ثلثا أعضائه ، ونفى كثيراً منهم على البلاد ، ثم قتل رئيسهم (آريوس) مع كثيرين معه .

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[3]

وهكذا تحققت نبوءة المسيح فى هذه الحادثة وهو قوله : « سيخرجونكم من المجامع بل تأتى ساعة فيها يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكم أنه يقدم خدمة لله وسيفعلون هذا لكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى »
(يوحنا ١٦ : ٢) .

وبدهى أن يتنبأ المسيح بهذا الحادث الذى يعتبر أهم حادث وقع فى التاريخ المسيحى ، حيث تقررت فى هذا المجمع الكتب المتداولة بينهم الآن ، واتجه الدين إلى هذا الاتجاه الحالى الذى لم يقره سوى ثلث أعضاء المجمع المذكور ، بواسطة الإمبراطور الوثنى ، وهكذا تنبأ المسيح عن ثلثى

---

(١) أين كان الروح القدس فى هذا الموقف المحرج ؟ ولمَ لمْ يرشد هؤلاء الأعضاء الروحانين ويهديهم ؟! .. أتراه حل فى الإمبراطور الوثنى ففض النزاع ؟! .

(٢) لا مندوحة من اعتبار شهادة هذا المؤرخ ، فهو أول مؤرخ مسيحى تقدسه الكنيسة .

(٣) البروج : ٨ .

الأعضاء الذين نالهم من التعذيب والنفى والقتل ما نالهم فى سبيل عقيدة التوحيد الحقة .

بقى من أعضاء المجمع ٣٨٠ عضواً وهم ثلث الأعضاء ، فانقسموا هم كذلك بدورهم على أنفسهم إلى ثلاث فرق ، ولكن المعارضين من هؤلاء اضطروا أخيراً إلى وضع إمضاءاتهم على الوثيقة المشهورة (بعقيدة نيقية) خوفاً على أنفسهم من التعذيب والنفى ، وخوفاً على أرواحهم من الضياع .

وهكذا شاءت إرادة الإمبراطور قسطنطين الوثنى أن يختار من بين الأكوام المتراكمة من الكتب والرسائل والمذكرات سبعاً وعشرين رسالة بينا حقيقتها فى ما سبق من المباحث .

نتائج مجمع نيقية الثلاث

ولقد تمخض مجمع نيقية عن ثلاث مسائل هامة ، هى اليوم أساس الكنيسة وشعارها ، وأرى أن أعرضها أمام القارىء ، عَلَّهُ يأخذ فكرة عامة عنها ، ويرى بنفسه كيف تحول الدين المسيحى الحقيقى عن مجراه الطبيعى ، ويظهر له على أى أساس بنى المسيحيون عقائدهم ، ويتحقق كيف أُرْغِمُوا على اتباع ما نهى عنه المسيح ، واتبعوا ما أملاه عليهم الإمبراطور قسطنطين الوثنى ، بعد القضاء على ثلثى الآباء الروحانيين الذين كانوا يدينون بالتوحيد الحقيقى الذى أمر به المسيح عليه السلام كما قدمنا ، والذى كان وحده ما أتى به جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام .

وأما نتائج مجمع نيقية فقد كانت ثلاثة : الإشراك ، وعبادة الصور والتماثيل ، والأفخارستيا ، وأبينها فيما يلى :

أولاً – الإشراك :

لاشك أن المشرك الذى يعتقد أن هنالك من يستطيع أن يتسيطر على المخلوقات بجانب الله تعالى ، وإننا إذا نظرنا فى عقيدة أكثر مسيحيى اليوم ، وجدناهم يدعون مع الله تعالى اثنين آخرين ، يسمونهما أقنومين ، ويقولون أن الله وحده لا يستطيع أن يكون كاملاً إلّا باشتراكهما معه ، فالله فى رأيهم هو خالق الكائنات بدون حياة ، والذى يخلق الحياة هو أحد الأقانيم المسمى

عندهم (الروح القدس) ، ويقولون أن هذين لم يمكنهما تخليص الإنسان من الخطيئة التي تكلمنا عنها آنفاً ، فتكلموا عن أقنوم آخر أَسْمَوْهُ (المخلص أو الابن) وقالوا عنه أنه هو الذى استطاع ذلك[1].

فتراهم بجانب تحديد عمل الله الذى سموه (الآب) ، وعدم الإيمان بكماله ، أشركوا معه اثنين آخرين ، وأما قولهم أن هؤلاء الثلاثة هم واحد ، فهذا قول لا يقبله العقل ولا يمكن أن يصح عن واجب الوجود كما قدمنا ، وإنى لأعجب : كيف يجمعون بين التثليث الحقيقى والتوحيد الحقيقى وهو محال لاشك فيه ؟ ولقد برهنا على فساد هذا الزعم فى البحث السابق . وما نريد هنا إلّا أن نذكر أن مسيحيي اليوم يشركون بالله إشراكاً حقيقياً لا مِرْيَةَ فيه ، وقال تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[2]

وإنى لأعجب كيف لم يَكْتَفِ مسيحيو اليوم بدعوى الإشراك ، بل لقد زعموا أنهم أنفسهم يستطيعون كذلك أن يغفروا الذنوب والآثام ، ويمكنهم أن يُدْخِلُوا جنة الخلد من أرادوا ويحرموا منها من شاءوا ، مع كون المسيح وجميع الأنبياء والرسل لم يدَّعِ منهم أحدٌ إنه يملك لنفسه ضراً أو نَفْعاً .

وإنى لأعجب : كيف يتيسر للمسيحى أن يعتقد أن القسيس أو غيره يستطيع أن يغفر خطاياه ويمحو آثامه ؟ بل كيف يعتقد أن القسيس يستطيع

(١) سنذكر مسألة التخليص فى مبحث الفداء والصلب .

(٢) يوسف : ١٠٦ .

أن يهبه القراريط والضِّياع فى جنة الخلد ؟ بل كيف يحسب أنه يمكنه أن يحرمه منها متى شاء ، كأنه هو شريك لله فى ملكه ، أو أشركه معه فى إرادته[1]؟ ولكنهم :

---

(١) ومثله مسألة (التعميد) فإن الكنيسة تقول أن الذى لا يُعَمَّدُ لا يدخل الجنة وذلك قولهم (يجب على سائر أولادنا الكهنة أن يحضوا الشعب على عدم تأخير عماد الأطفال ويفهموهم بأن كل طفل يتهاون أبواه فى تعميده ويتفق أن يتوفى قبل العماد لا يجوز الصلاة عليه بالكنيسة) المجلة القبطية ٣ : ٢٨٥ .

وبمناسبة ذلك أذكر ما تقوله الكنيسة فى (عماد الكاعب والناهد والمعصر والعانس والخود والمسلف والنصف .. إلخ) أن الفتاة العذراء التى يبلغ سنها ٢٠ سنة تعمد كالأطفال سواء بسواء ويمسها الكاهن بالميرون مثل مسح الأطفال تماماً حسب الطريقة (المجلة القبطية ٢ : ١٦٦) والقس بطرس حنا راعى الكنيسة الإنجيلية بسوهاج فى كتابه الجواب المفيد يقول فى ذلك [جلب التقليد الذى علم بما يسمونه الميرون على الديانة المسيحية وصمة عار لا تمحى إلى أبد الأدهار ، وتأتى شابة فى سن العشرين أو أكثر من ذلك تريد اعتناق الديانة المسيحية فيأخذها كاهن الرعية وقد يكون من المتبتلين مثل الراهب أنبا يعقوب الذى لما تركت عنده فتاة مصابة بالصرع لم يمكنه أن يضبط نفسه فأفسدها ولما خشى أن يفتضح أمره قتلها وقتل أخاها معها (مجلة سنة ١ : ١٤٦) أو من القساوسة الذين تزوجوا وماتت نساؤهم وهم فى سن العشرين والثلاثين (ولا لزوم لبيان ما ذكر من هذا القبيل لأن ذكره قبيح) ... وبعدما يغطسها فى الماء ثلاث غطسات يدهن كل عضو من أعضائها وكل مفصل من مفاصلها حسب الطريقة التقليدية المتبعة فى الكنيسة القبطية فيا للعار ويا للفضائح والسخايم التى جلبها التقليد على ديانة المسيح الطاهرة النقية] [والكنيسة المباركة تأتى بنساء وبنات لقوم متبتلين أو ممنوعين قهراً عن الزواج حسب شريعة القديسيين وتكلفهم بمس كل عضو ومفصل ولكن من تحت الستار فيا للعار : نسلم معكم أن رهبانكم وقسوسكم وصلوا لدرجة سامية من القداسة مثل داود النبى العظيم والملك العادل الذى وهو متزوج بعدة نساء وكان يمكنه الحصول على من يريدها لم يضبط نفسه حين رأى امرأة تستحم على سطح بيتها من بعيد فوقع معها فى خطية الزنا الفظيع . والتزم بأنه يقتل كما قتل الراهب يعقوب ليست المرأة بل رجلها كما هو معلوم عنه ... إلخ] يقصد حضرة القس أن يعيب على المسيحيين تركهم القس أو الراهب أن يمس الأعضاء التناسلية للمرأة أو الشابة ويدهنها بالميرون .

وبمناسبة ذكر الميرون الذى يستعملونه للتعميد أقول أن الكنيسة القبطية تعتبره كما جاء فى كتبها أن فيه بقايا الحنوط الذى حنط به المسيح أحضره (مار مرقص) معه ولما رأى =

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)

ثانياً – عبادة الصور والتماثيل :

كانت النتيجة الثانية لمجمع نيقية العام ، بعد اعتبار التثليث وهو تعدد الذات الإلهية ، أن قَدَّسَ القومُ الأصنامَ والصُّوَرَ ، وقَدَّمُوا لها العبادة التى يجب ألا تُقَدَّمَ إلا لله تعالى ، وأصبحت تلك العبادة جزءاً لا يتجزأ من الدين المسيحى حتى أنهم يعتبروا المسيحى الذى لا يرسم الصليب على وجهه أو لا يقبله ، يُعَدُّ مرتداً عن دينهم ، ولقد قسموا العبادة إلى ثلاثة أنواع :

= (أثناسيوس) الرسول أن هذه الذخيرة لا تكفى طول الأبد أضاف ما بقى إلى زيت الزيتون والأفاوية العطرية ودهن البلسان وبعد طبخه وتقديسه وزعه على الكنائس ليكون المرعوس مرتبطاً بالرئيس فلا يمكن لقسيس أن يعمد بدون أن يدهن المتعمد بالميرون واعتبر وضع اليد لحلول روح القدس بدهن الزيت سراً قائماً بذاته خلاف المعمودية .

وأما السريان الأرثوذكس فيقولون : (كما جاء فى كتاب منارة الأقداس لإغريغريوس يوحنا ابن العبرى مفريان اليعاقبة فى الفصل الثانى من الركن السادس) أنه مركب من مواد لذيذة الرائحة أعنى أنواعاً عطرية وهو من حين ظهور الله لموسى فى طور سيناء يؤخذ من نوار الميرون خمسمائة مثقال ودار صينى طيب الرائحة مائة مثقال وزيت زيتون مكيال وأنه يتقدس مرة واحدة فى السنة فى كل يوم خميس الأسرار أ . هـ .

وعلى ذلك فهم يقولون أنه لا يزال الحنوط الذى وضع على المسيح موجوداً للآن ، ويعتبر الأقباط زيت الميرون بدل الروح القدس وأما السريان فيعتبرونه بدل المسيح (المجلة القبطية ٣ : ٢٨٧) ومع ذلك فكل طائفة أو مذهب أو جماعة مسيحية تعتبر ميرونها هو الميرون الأصلى وتقول بفساد خلافه .

(١) التوبة : ٣١ .

١ – لاتريا .
٢ – أيبرضوليا .
٣ – ضوليا .

وهم يقدمون اللاتريا لصورة المخلص والصليب[١] فيقولون فى الترنيمة التى تقال فى السبت الواقع بعد جمعة الآلام ، وفى بعض أوقات أخرى ، مناجين الصليب قائلين :

« السلام عليك أيها الصليب[٢] خَلِّصْ هذا الجمهور المجتمع اليوم لتقديسك أيها الصليب الذى أتى بالخلاص للأشقياء »[٣] وفى بداية كتاب خدمة العذراء المباركة يقولون :

« للثالوث الأقدس ولصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح وللعذراء المباركة الدايمة البتولية ولجميع القديسين ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء والمجد فى كل الخليقة ، ولنا مغفرة جميع خطايانا إلى الأبد آمين » .

ونظرة قصيرة إلى هذه الصلاة ، تبين كيف أن تقسيم العبادة ما هو إلا شىء صورى ، وتبين كيف أنهم لا يفرقون فى العبادة بين الله تعالى والأب والابن والروح القدس والصليب ومريم بل وبين جميع القديسين ، وهو خَلْطٌ لا أراه ينسجم فى عقل مفكر ، أو تقبله بداهة إنسان .

ولذلك التأم المجمع القسطنطينى سنة ٧٥٤ م ، وتفاوض أعضاؤه المكونون من ٣٣٨ أسقفاً من رجال الشرق والغرب ، فى مسألة عبادة التماثيل والصور ، وبعد المفاوضة ستة أشهر ، قرر المجمع أن استعمالها فى العبادة مطلقاً

---

(١) كتاب خلاصة المجامع تأليف القس قربولانوس ص ٢٩١ .

(٢) يعظم المسيحيون الصليب لاعتقادهم أن شبيهه لمس جسم المسيح ويقول صاحب (الجواب المفيد) للمسيحى الذى يفعل ذلك (ويلزمك أيضاً أن تعظم وتكرم وتسجد لذلك الحمار الذى ركبه المخلص فكان موضوع راحته ودخوله ممجداً إلى أورشليم وبالتبعية يلزمكم تقديم السجود لجميع الحمير لأنها تمثل لكم ذلك الجحش ابن الأتان بنوع حى من ذات جنسة) ثم ذكر الأشياء التى لمست جسم المسيح وسألهم أن يعبدوها كذلك كالمسامير والشوك والحراب والسياط والتراب لأن دم المسيح سال عليه .. إلخ .

(٣) كتاب الخدمة اليومية الرومانية .

مناقض للديانة المسيحية ، ولا يدل إلا على الرجوع إلى الوثنية .

وما أَقْبَلَ الجيلُ السادسِ حتى ادعى بعضهم أن الصور صُوِّرَتْ بمجرد وَضْعِ لَوْحٍ على صورةِ المخلِّصِ فانطبعت الصورة عليه[1] وفى الجيل السابع كثرت هذه الصور وأطلقوا عليها (الصور الغير مصنوعة بالأيادى) وعبدوها ، ومن بعض التسابيح التى يقولونها فى صلاتهم أمامها هذه التسبيحة :

« كيف نستطيع بالأعين الجسدية أن ننظر إلى هذه الصورة التى لا تقدر الأجناد السماوية أن تنظر إلى بهجتها ، الساكن فى السماء قد شاء أن يزورنا اليوم بواسطة صورته الموقرة ، ذلك الجالس على القاروبيم افتقدنا اليوم بصورة قد صورها الأب بيده الكلية الطهارة ونحن نقدسها مسبحين لها بالخوف والمحبة » ..

وفى سنة ٧٨٧ م التأم المجمع النيقاوى الثانى بأمر الملكة (إيرينا) وكان الحاضرون ٣٥٠ أسقفاً كلهم من الغرب ، وبعد ١٨ يوماً فى البحث قرر المجمع وجوب استعمال الصور والتماثيل فى الكنائس ..

وفى القرن الثامن والتاسع قامت جماعة (كاسرى الأصنام) محتجين على عبادتها مسفهين أحلام معظميها (وكان من ضمن هذه الجماعة بعض القياصرة كليون الثالث) ، ولكن الكنيسة هالها تحقير الصور والتماثيل والصلبان ، فحكم البابا (جريجورى الثانى) وكذلك (جريجورى الثالث) بحرمانهم ومروقهم .

وكان مجمع القسطنطينية سنة ٨٤٢ م منتصراً لمقدسى الأصنام كما فعل المجمع النيقاوى العام .

وهكذا دخلت هذه العبادة فى الكنيسة ، غير أن الشرقيين لم يقبلوا غير الصور ، وتمسك الغربيون بالتماثيل والصور جميعاً ، ومازالت هذه حالهم إلى اليوم .

---

(١) يفسر البابا جريجورى الثانى قول المسيح (حيثما تكون الجثة هناك تجتمع النسور) يقول أن الجثة هى المسيح والنسور هم رجال أتقياء طاروا إلى أورشليم مثل النسور وصوراً صورة المسيح ويعقوب واستفانوس والشهداء (كتاب المجامع للأبى اليسوعى مجلد ٨ ص ٦٥٥) .

إن تقديم العبادة للأوثان والابتهال إليها شيء يجب أن يتنزه عنه الدين المسيحى مطلقاً ، فلا يعتبر أساساً للعبادة ولا الجزء الذى لا يتجزأ من الدين .

ما كان لعيسى إلَّا النهى عن كل هذه الترهات ، ولو علم أن القوم سيتركون عبادة الله ويقفون أمام تماثيل وصور جامدة يناجونها ، لهاله تغييرهم لمبادئه الحقة والعبث بتعاليمه الصادقة – ولقد أوصاهم عيسى بالتوراة خيراً ، وأخبرهم صراحة أنه ما جاء لينقض الناموس أو الأنبياء ، وأنه ما جاء إلَّا ليكمل ، فلماذا نقضوا هم هذه الكتب ، ونقضوا الناموس ، وضربوا بتعاليمه ووصاياه عرض الحائط ، وجعلوا ما نهى عنه وَحَذَّرَ مِنْهُ أساساً لكنيستهم ، وصَيَّرُوا من الخطيئة والكفر ثواباً ونجاة .

ولو كانت الكنيسة تعتبر قول المسيح وتقدس وصاياه ، لما تعدت حدود الله تعالى وخالفت أكبر وصاياه وهى « لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن » (خروج ٢٠ : ٤)، (ومثله ما جاء فى تثنيه ٢٧ : ١٥) « ملعون الإنسان الذى يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب عمل يدى نحات ويضعه فى الخفاء ويجيب جميع الشعب ويقولون آمين » ومثله « فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتاً صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى .. إلى قوله ... احترزوا من أن تنسوا عهد الرب إلٰهكم الذى قطعه معكم وتصنعوا لأنفسكم تمثالاً منحوتاً صورة كل ما نهاك عنه الرب إلٰهك لأن الرب إلٰهك هو نار آكلة إله غيور »

(تنبئة ٤ : ١٥ و ١٦ ، ٢٣ ، ٢٤) ..

الحق أن هذه العبادة الشاذة لم توجد فى الكنائس مدة الثلاثة أجيال الأولى قبل مجمع نيقية العام ، وهو ما يبين بجلاء قيمة قرار هذا المجمع ، ويساعد على فهم ذلك قرار مجمع القسطنطينية سنة ٧٥٤ الذى صرح بأن استعمالها رجوع إلى الوثنية ذميم ..

ولو كان استعمالها صواباً لاسْتُعْمِلَتْ أيام المسيح ، أو على الأقل فى الأجيال الثلاثة بعده مما تنفيه كتب التاريخ المسيحية عامة أمثال أصول الديانة المسيحية للمعلم جوينين[1] وتاريخ دانيال[2] وتاريخ إسكندر[3] ومصنفات إيرزس[4] وإيرينيوس أسقف ليون ، وأوسابيوس أسقف قيسارية ، وأثاناسيوس وغيرهم من المؤرخين المعتبرين فى الكنيسة ، الذين لم يذكروا ما يدل على أن التماثيل والصور كانت مستعملة فى الكنائس فى تلك المدة . ولا تنس الكنيسة حادِثَةَ مرور إيفانيوس أسقف قبرص ببعض الأماكن بفلسطين حين رأى ستراً عليه صورة المسيح ، فمزقه قائلاً (إن مثل هذا الأمر عيب على الشعب المسيحى) .

ومن الغريب أن تدعى الكنيسة أن لوقا كان مصوراً ، وأنه هو الذى صور صورة العذراء ، مع أن أول من ادعى هذا الادعاء هو نيسفورس كلسى فى القرن الرابع عشر للميلاد[5] فهل تعتبر الكنيسة استنباطاً لم يقم عليه دليل قاله رجل بعد ١٤٠٠ سنة من ميلاد المسيح !!! .

أى شىء يستطيعه ذلك الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن أو أية مادة أخرى ، وما هى قيمة تمثال المسيح أو العذراء[6] أو القديسيين المنحوت من الصخر أو الرخام أو غيره ، وما هى الحكمة فى السجود لها ومناجاتها والابتهال إليها .

إن ما يفعله أهل التثليث لهذه الجمادات من الاعتبار يرفعها إلى شأن آخر يخالف طبيعتها حتى لا يمكن التمييز بين ما يقدم لها من العبادة وما يقدم لله تعالى .

---

(١) مجلد ٤ ص ٣٨٠ .
(٢) مجلد ٢ ص ٧٧ .
(٣) مجلد ١٤ ص ٦٥٤ .
(٤) مجلد ٥ ص ١١٨٧ .
(٥) كشف الأباطيل تأليف كرنيليوس فنديك .
(٦) تذكر الأناجيل أن مريم أم عيسى تزوجت من يوسف النجار بعد ولادة المسيح فولدت له أبناءً كفروا كلهم بالمسيح أخيهم وماتوا زنادقة مارقين .

ولو فرضنا جدلاً وخلافاً للواقع أن هذه التماثيل والصور يقصدون بعبادتها التوسل إلى الله تعالى ، لما وجدنا ذلك يبعد كثيراً عن العقيدة الوثنية الخاطئة .

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (1)

ألا ترى إلى ذلك الأعرابى الذى كان يعبد صنماً ، ويقدم له الذبائح والهدايا ، فأتاه يوماً فرأى الثعلب قد بال عليه فحطمه ، وقال :

أرب يبول الثعلبان بوجهه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ألم تر إلى مزينة وقد كان له صنم يقال له نهم ، وكان سادنة خزاعى ابن عبد نهم من مزينة ، فسمع بالدعوة الإسلامية إلى هجر عبادة الأصنام ، فثار إلى الصنم فكسره وأنشأ يقول :

ذهبت إلى (نهم) لأذبح عنده عنيزة نسك كالذى كنت أفعل
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها أهذا إله أبكم ليس يعقل ؟! .
أبيت ! .. فدينى اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل

ثالثاً – الأفخارستيا :

أما العقيدة الثالثة التى تمخض عنها مجمع نيقية العام فهى الأفخارستيا

---

(1) الزمر : ٣ .

أو العشاء الربانى ، فهم يعتقدون أن الخبز والخمر - وهما المادتان المعروفتان يتحولان برغبة القس أو الأسقف - بصرف النظر عن صلاح أحدهما أو نِفاقه - إلى المسيح بناسوته ولاهوته ، وهذا التحول - كما يقولون - يصير بوساطة الروح القدس الذى يحل فى الخبز والخمر ، فيحولها تحويلاً سرياً إلى إلههم الذى هو المسيح .

ولسهولة بيان عقيدة الأفخارستيا هذه أقسم الكلام فيها إلى النقط الآتية :

(أ) سر الأفخارستيا عندهم :

وأرى أن أنقل هنا ما ذكروه هم أنفسهم بشأن ذلك ، وأنقل بالحرف الواحد ما ذكر فى كتاب (إرشاد لأجل الاعتراف وتناول القربان المقدس)[1] على شكل سؤال وجواب وهو :

س : ما هو سر الأفخارستيا ؟

جـ : هو السر الذى تحت أشكال الخبز والخمر يحوى جسد ودم ولاهوت سيدنا يسوع المسيح ليكون لنا قوتاً روحياً .

س : أيوجد فى الأفخارستيا يسوع المسيح عينه الذى هو فى السماء والذى كان فى أحشاء الكلية القداسة مريم البتول ؟

جـ :نعم يوجد المسيح عينه .

س : أى شىء هى القربان قبل التقديس ؟

جـ :هى خبز .

س : أى شىء هى القربان بعد التقديس ؟

جـ : هى جسد سيدنا يسوع المسيح الحقيقى .

س : أى شىء يوجد فى الكأس قبل التقديس ؟

جـ : يوجد خمر .

س : أى شىء يوجد فيه بعد التقديس ؟

جـ : يوجد فيه دم سيدنا يسوع المسيح الحقيقى .

---

(١) لاستفانوس بورجيا كاتم سر مجمع انتشار الإيمان المقدس .

س : متى تصير هذه الاستحالة ؟

جـ : حينما ينهى الكاهن لفظ كلام التقديس .

(ب) الكلام الذى يجعل الخبز الله :

وأما التحول المذكور فيجرى هكذا فى الكنيسة الأرثوذكسية :

يسجد الراهب ويبسط يديه قائلاً « نسألك أيها الرب إلٰهنا نحن الخطاة الغير المستحقين[1] عبيدك نسجد لك بمسرة صلاحك ليحل روحك القدوس » ثم يشير بيديه إلى نفسه ثم إلى القرابين[2] الموضوعة أمامه ويقول « وعلى هذه القرابين الموضوعة » وينقلها ويطهرها ويقول « قدسا لتقديسك » ويتول الشماس (آمين) ..

يرفع الجميع رءوسهم ويرشم الكاهن القربان خاصة ثلاثة رشوم بسرعة وهو موضوع فى الصينية وهو يقول جهراً « وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً » . فيسجد الشعب ويقول (آمين) . فيبسط الكاهن يديه ويخضع رأسه للرب ويقول سراً « ربنا وإلٰهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يأكله » فيسجد الشعب ويقول (آمين) .

يرشم الكاهن الكأس أيضاً ثلاثة رشوم بسرعة وهو يقول جهراً « وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذى له فيسجد الشعب ويقول آمين » . ثم يبسط الكاهن يديه ويخضع برأسه للرب ويقول سراً « ربنا وإلٰهنا ومخلصنا يسوع المسيح يعطى لغفران الخطايا وحياة أبدية لمن يأكله » . وبمجرد تمام هذه الأوشية يعتقدون أن المسيح صار بناسوته ولاهوته هذه اللقمة التى بيد الراهب الذى يمزقها إرباً إرباً ويعطى كل واحد ممن حضر القداس واحدة منها ، ويعتقدون كذلك أن كل واحدة من هذه الإرب الصغيرة صارت كذلك مسيحاً (إلهاً) كاملاً ، وأصبح كل واحد ممن حضر القداس وقد أمسك الله تعالى بيده ، مستعداً لأكله والتهامه .

---

(١) مادام المسيح فى اعتقادهم صلب ليمحو عنهم الخطيئة فلم بقوا خطاة غير مستحقين ؟!

(٢) القرابين هى الخبز عند الأرثوذكس والفطير عند الكاثوليك .

(جـ) كيف يُؤْكَلُ الله ؟ :

ولـيأكل المسيحىّ إلٰهه يجب أن يتبع طريقة خاصة يبينها (إستفانوس بورجيا) فى كتابه المذكور آنفاً وهى :

س :ما الذى يجب فعله حينما تتقدم إلى تناول القربان الأقدس ؟

جـ :يجب أن نجثوا على ركبنا ونرفع رأسنا قليلاً بأعين محتشمة متجهة نحو الجوهرة فقط فاتحين فمنا باعتدال ومادين لساننا قليلاً ما بين شفتينا .

س : كيف يجب مسك منديل التناول ؟

جـ : يجب مسكه ممتداً نحو العنق .

س : متى يجب ابتلاع الجوهرة ؟

جـ : يجب أن نجتهد فى ابتلاعها بمقدار ما يمكننا من السرعة وأن نمتنع عن البصاق مهلة من الزمن[1]..

س : ما الذى يجب فعله إذا التصقت الجوهرة بسقف الحلق ؟

جـ : يجب انفكاكها باللسان لا بالأصبع .

وتشترط الكنيسة بجانب ذلك على كل من يريد أكل هذه اللقمة أن يصوم قبل تناولها تسع ساعات على الأقل ، وألا يجتمع بامرأته فى اليوم الذى حدده لتناول إلٰهه .

(د) علاقة الأفخارستيا بالصَّلْب :

ويقول المسيحيون : « لا فرق بين ذبيحة القداس وذبيحة الصَّلْب ، إذ أن الذبيحة هى نفسها بحسب الجوهر ، لأن يسوع المسيح بنفسه الذى قَدَّمَ ذاته على جذع الصليب ، هو هو عينه الذى يُقَدِّمُ بِيدَىْ الكهنة على مذابحنا وأن ذلك يصير بنوع مختلف »[2].

وكأن المسيحيين لم يكتفوا بادعائهم صلب المسيح من أجلهم وذبحه ، لم يكتفوا بذلك بل يدعون أن المسيح لا يزال يُذْبَحُ كل أسبوع ، بيد كل كاهن ، فى كل كنيسة فى العالم ، وأن كل كاهن فى كنيسته يتقدم إليه المسيح

---

(١) هذه المهلة يقدرونها بيوم كامل خشية أن يكون جزء من الخبز لا يزال لاصقاً بالفم .

(٢) إستفانوس بورجيا .

(ربه وإلٰهه) ليذبحه أمام الناس ، ويمزقه إرباً إرباً ، ويعطيها للناس ليمتعوا أنفسهم بأكل إلٰههم وربهم .

وإذا كانت الكنيسة تلعن يهوذا الأسخريوطى إذ سلم المسيح لليهود ليقتلوه ، فما بال كهنتهم وقسوسهم يسلمون المسيح للناس ليأكلوه ؟ ! . وإذا كان يهوذا فعل ذلك مرة واحدة ، فرجال الكنيسة يفعلون ذلك دائماً أبداً ، وبجانب هذا فيهوذا لم يأكل لحم أخيه المسيح ميتاً وهم يفعلون ذلك .

(هـ) التعدد العجيب :

وترى المسيحيين لم يكفهم كذلك أن يجعلوا الله ثلاثة ، فجعلوه ملايين عدة من قطع الخبز ، تقسم كل منها إلى أجزاء بعدد الحاضرين فى كل كنيسة ، ويصبح كل جزء كذلك مسيحاً كاملاً أى إلٰهاً وإنساناً وثلاثة أقانيم .

وتصور قُدَّاساً يحصل فى وقت واحد فى جميع بقاء العالم ، فيتحول الله تعالى فى وقت واحد إلى ملايين مضاعفة فى أمكنة متعددة . إن التثليث لهو بإزاء ذلك شىء حقير جداً ، ومن الغريب أن تحتم الكنيسة على أتباعها أن يأكلوا الله مرة فى كل شهر على الأقل ، إن لم يكن عشرات بل مئات المرات ، فكم يكون بذلك عدد آلهتهم بل أين مصير هذه الآلهة بعد هضمها فى الأحشاء والأمعاء .

وليت شعرى ماداموا يعتقدون أن الذى يأكل الله يثبت فيه(*) (يوحنا ٦ : ٥٦) فما معنى أكله مئات المرات مادام قد ثبت فيه لأول مرة[1]؟ .

إن من أيسر الأمور على الراهب الناسك أن يعيش على الخبز أو الفطير الذى يحوله متى شاء بإرادته السحرية إلى الله تعالى صباحاً وظهراً ومساءً ويسجن الله سبحانه فى أمعائه ما عاش[2].

---

* ليس فيما يقوله المؤلف أى افتراء على المعتقدات المسيحية . لقد وَرَدَ بإنجيل يوحنا ما يلى : « لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه » . (يو ٦ : ٥٥ - ٥٦) . (المراجع) .

(١) إذا كان هناك من القبائل المتوحشة من يأكل لحوم البشر ، فالمسيحيون يأكلون لحوم البشر ويأكلون كذلك الله (ناسوت المسيح ولاهوته) .

(٢) أمثال هذه العقائد مقررة حسب المبدأ المسيحى المشهور (الجهالة أم التقوى) .

(و) دليلهم العقلى على التحول :

يقول القديس يوحنا الدمشقى « إن الخبز والخمر والماء تستحيل بمقتضى الطبيعة إلى جسد من يأكلها ويشربها بالأكل والشرب ولا تصير جسداً آخر غير جسده الأول ، هكذا خبز التقدمة والخمر الممزوج بالماء ، تستحيل بحال يفوق الطبع البشرى إلى جسد يسوع المسيح ودمه بالدعاء وحلول الروح القدس وليسا اثنين بل هما واحد هو هو نفسه » .

ما أعجب هذا المنطق !! . إن منطق حضرة القديس هو : مادام الخبز لا يغير طبيعته المادية فهو إذن يغير طبيعته المادية فيصير مسيحاً ، أتراه يريد هذا أو يريد أن يقول : بما أن الله تعالى يَحول جزءاً من الخبز والماء والخمر إلى جسد آكليها ويستطيع ذلك فلا يصعب عليه أن يحول ذاته – سبحانه – إلى خبز .

لاشك إن كلام حضرة القديس سفسطة ، وإلا فكيف نستطيع أن نقول أن الله تعالى مادام قادراً على كل شىء فهو قادر أن يكون ثلاثة أقانيم وقادر أن يجعل نفسه خبزاً ، إذن هو ثلاثة أقانيم ، وهو خبز ، بل هو متعدد ما تعددت قطع الخبز !! .

هل مادام الله قادراً على كل شىء ، فهو قادر على أن يكون جماداً وطيراً إذن هو جماد وهو طائر . ألم يَدَّعُوا أنَّ الله يصير خبزاً والخبز جماد وأنه اتخذ لنفسه شكل حمامة وهى طائر ، وأنه صار ألسنة منقسمة من نار ؟ !!.. لقد غاب عنهم أن قدرة الله تعالى(*) لا يمكن أن تتعلق بمستحيل .

(ز) دليلهم من كتبهم :

يستدل المسيحيون على التحول مما ذكره (متى ٢٦ : ٢٦) « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر فأعطى التلاميذ وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كنكم لأن

* لا يجوز عقلاً أن نحمِّل قدرة الله المطلقة مالا يجوز ولا يليق بكماله وجلاله . لا يجوز أن نتصور أن تتجه قوة الله وأن تنزع إلى خَلْق إله آخر مثلاً . الإنسان حرٌّ فى ماله ، ولكن السفاهة غير مستساغة . ولو ثبتت السفاهة لترتب على ثبوتها نتائج معروفة . (المراجع) .

هذا هو دمى » .

فهل يدل هذا الكلام أن الله تعالى يصير خبزاً ما شاء رجال الكنيسة ذلك ، لقد شهر البروتستانت[1] الحرب على هذه الفكرة وسفهوا أحلام القائلين بها ، وقال لوثر إمامهم عن هذا الخبز متهكماً : « إنى أعترف أنه جسد ودم عمانوئيل الحقيقى »[2] وسأذكر بعض اعتراضات الكنيسة البروتستانية على هذه الفكرة .

(ح) تناقض كتبهم فى استشهادهم الأخير :

ومن الغريب أن تتناقض كتبهم تناقضاً غريباً فى رواية قول المسيح الذى يعللون به الأوفخارستيا ، ويتخذونه دليلاً عليها ، فيتفق كل من متى ومرقص فى كون المسيح أخذ كأساً واحدة ، ولكن لوقا يذكر أن المسيح أخذ كأسين واحدة قبل العشاء وأخرى بعدها .

وهناك كذلك تناقض غريب بينهم فى ذلك ، فيروى لوقا (٢٢ : ١٩) أن المسيح قال إن جسده مبذول على التلاميذ . ويقول مرقص (١٤ : ٢٤) أن المسيح قال : إن دمه هو الذى يبذل ولكن لأجل كثيرين ، ويقول متى (٢٦ : ٢٨) أن المسيح يقول إن الذى يُبْذَلُ على التلاميذ هو العهد الجديد وليس جسده أو دمه .

وأثناء كل ذلك يقف يوحنا جاهلاً مسألة الأفخارستيا تماماً ، فلا تراه يذكر عنها شيئاً ، أو يلمح إليها بقول .

(ط) اعتراضات على الأفخارستيا :

وهناك جملة اعتراضات على التحول ألخصها فيما يلى :

أولاً : يقول بولس « إنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء » (اكو ١١ : ٢٧) ولم يقل كلما أكلتم هذا الجسد وشربتم هذا الدم .

---

(١) يعجب الأثوذكسى والكاثوليكى من البروتستانتى لأنه لا يؤمن بالأفخارستيا لكونها منافية للعقل مع كونه يقول بالتثليث والصلب والفداء وهى أشد منافاة للعقل منها .

(٢) تاريخ الإصلاح الجزء الثانى ص ٣٨٢ .

ثانياً : محال أن مادتى الخبز والخمر اللذين هما من نبات الأرض يستحيلان إلى جسد ودم المسيح ، ويكونان هما الجسد والدم المأخوذان من مريم أمّه ..

ثالثاً : إن الخبز والخمر لا يتغيران عنصرياً مطلقاً ، فكيف نقول إنهما تحولا إلى المسيح بلاهوته وناسوته .

رابعاً : إن المسيح لم يستحل إلى خبز حين قال « أنا الخبز النازل من السماء » .

خامساً : حين كسر المسيح الخبز وأعطى تلاميذه ، كان جالساً بينهم ولم يتحول هو إلى خبز ، ثم إن الخبز المعطى لهم كان خبزاً حقيقياً ، وكذلك الخمر كان خمراً ولم يكن دم المسيح ، بل دم المسيح لم يفارقه .

سادساً : إن المسيح كان واحداً ، ولم يكن هناك مسيحان : أحدهما يُعْطِى والآخر يُعْطَى .

سابعاً : كيف يَدَّعُون أن الخبز ذبيحة غير دموية مع أنهم يقولون بوجود الدم فيها .

ثامناً : ماذا عساه يحصل فى جوف المشتركين فى هذا السر ؟

تاسعاً : إذا كان آكل المسيح ، المسيح يغفر له ، فماذا يكون حاله إذا عاد إلى الرذيلة والشر ، مع العلم باعتقادهم أن آكل اللقمة يثبت المسيح فيه إلى الأبد ؟ (يوحنا ٦ : ٥٦) .

عاشراً : دخول الروح القدس فى كل الأمور الصغيرة والكبيرة يبطل الإرادة الجزئية التى وهبها الله الناس ، فلا يكون هنالك للمرء عمل يجازى عليه وآخر يعاقب على اقترافه .

ويقول البروتستانت أن الروح القدس أوحى لرجالهم ولكنيستهم أن مسألة الأفخارستيا محض افتراء على المسيح وهذيان ، مع تمسك معظم الكنائس الأخرى ، فهل يصدق الروح مع بعض الكنائس ولا يوحى الصواب للأخرى ؟

(ى) الأفخارستيا فكرة مأخوذة عن مشركى الهند :

إن الأفخارستيا فكرة مأخوذة عن مشركى الهند فإن قدماءهم يتوقف

ظاهر عبادتهم على قربان النار ، يشعلها رب البيت صباحاً ، ويبعث مع حرارتها صلاة حارة يستنزل بها رحمة القوة المستترة وراء الطبيعة ، ورب البيت ويمثل الأب والكاهن تشاركه امرأته فى تقدمة القربان المقدس للنار ، ويتكون القربان من شراب مخمر ، ومن أقراص دقيق معجون بالسمن كقربان المسيحيين .

(ك) أسفار الفيدا الهندية :

كانت رجال الكنيسة تدعى أن أسفار (الفيدا) **Veda** الهندية أخذت عن الكتاب المقدس ، ولكن التاريخ أثبت خلاف ذلك فلقد اتضح أن كثيراً من التعاليم اليهودية والمسيحية أخذت عن هذه الأسفار ، وثبت عند أشهر العلماء المستشرقين مثل (جاكوليو) و (ديبودى جانسين) و (هلهد) و (سيسة) و (برنوف) و (بونسو) وغيرهم ، ثبت عندهم أن أسفار (الفيدا) كانت موجودة قبل التوراة والإنجيل بآلاف عديدة من السنين وعنها أَخَذَتْ كُتُبُهم أكثر أقوالها .

ولقد وافقت على أقدمية هذه الأسفار ، اللجانُ التى تألفت أخيراً من العلماء الإنجليز والفرنسيين لمواصلة البحث فى الآثار الهندية .

★ □ ★ □ ★

القسم الثالث من المبحث الثالث
أصل عقيدة التثليث

تمهيد :

وفى هذا القسم ، سنبحث أصل عقيدة التثليث ، وسنبين المصدر الذى أخذ عنه البولسيون ، ولقد ذكرنا فى آخر المبحث الأول كيف غَيَّر بولس المَجْرَى الأصلىَّ للمسيحية ، وكيف نجح هذا الرجل فى تشويه هذه الديانة ، وكيف استطاع أن يجد له أنصاراً ممن خرجوا عن اليهودية ، وتأثرت أفكارهم وعقولهم بالسلطة الوثنية الحاكمة وقتئذ على البلاد[1].

لم يأت بولس بجديد ليبنى عليه مبادئه ، ولم يَتْعَبْ فى الحصول على مادة يغذى بها أغراضه ومطامعه ، ولقد رأى فى العقيدة الهندية الوثنية ، ووجد كذلك فى العقائد الرومانية المقتبسة منها ، واستعداد الناس لقبولها لتأثير الهيئة الوثنية الحاكمة المتسيطرة عليهم ، وقُرْبِ تلاشى الديانة الإسرائيلية ، وجد بولس فى كل ذلك ما أَمَدَّهُ بما أُعَدَّ من العُدَّةِ لمحاربة دين النصارى ورسولهم ابن مريم عليهما السلام .

وسوف نرى هنا بأنفسنا ماهية العقائد الوثنية المشار إليها ، وسيظهر لنا ما أتى به بولس لأتباعه من العقائد ، وما جاء به لهم من الإيمان الخاطىء ، فنقول :

---

(١) يقول برنابا الحوارى أحد تلاميذ المسيح (وبعد أن انطلق يسوع تفرقت التلاميذ فى أنحاء إسرائيل والعالم المختلفة ، أما الحق المكروه من الشيطان فقد اضطهد الباطل كما هى الحال دائماً ، فإن فريقاً من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولم يقم وآخرون بشروا بأنه مات بالحقيقة ثم قام ، وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله وقد خدع فى عدادهم بولس . أما نحن فإننا نبشر بما كتبت الذين يخافون الله ليخلصوا فى اليوم الأخير لديدونة الله ، آمين) برنابا ١٢٢ : ١ – ٦ .

عقيدة البرهميين

لاشك فى كون بولس اقتبس دينه من ديانة الهنود الوثنيين ، وأخذ لاهوته من لاهوت أمثال البرهميين ، فإن لاهوت هؤلاء القوم يقوم على التثليث دون سواه ، ويطلقون على التثليث عندهم اسم (ترى مورتى) أى الثلاثة هيئات أو الثلاثة أقانيم ، ويسمونها عندهم (براهما وفشنو وسيفا) ويقولون أن هذه الأقانيم الثلاث إله واحد ، ويرمزون إليها بالرمز (أوم) أى الألف والواو والميم ، وهذا الرمز يقدسونه كما يقدس المسيحيون الصليب ، وتفصيل هذه الأقانيم هو هكذا :

براهما : وهو **الأب** الممثل لمبادىء التكوين والخلق ..

فشنو : وهو **الابن** ويمثل مبادىء الحماية والحفظ وهو المنفك والمنقلب عن الحال اللاهوتية .

سيفا : وهو **روح القدس** وهو المبدىء والمهلك والمبيد والمعيد ويرمزون له كالمسيحيين بصورة حمامة .

ويسمى البرهميون فشنو كذلك (كرشنا) ويقولون إنه وُلِدَ من العذراء الطاهرة العفيفة (ديفاكى) والدة الإله ويقولون إن الإله تجسد ليخلص العالم من الخطايا اللاحقة به ، والآثام التى تُدْخُله الجحيم[1].

وإنك إذا قابلت هذه العقيدة بالعقيدة المسيحية لوجَدْتَ كيف اقتبس البولسيون ديانتهم ولاهوتهم من الهنود القدماء بدون تعقل أو تمييز .

وقد ذكر المسيحيون أن المسيح صُلِبَ ومات على الصليب ، وهو عين ما قاله البرهميون من كون كرشنا صُلِبَ ومات على الصليب ، وأذكر لك هنا مقارنة بسيطة بين ما قاله البرهميون الوثنيون عن كرشنا ، وما يقوله المسيحيون عن المسيح عليه السلام[2]:

---

(١) خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها فى الديانات الأخرى (دوان) .

(٢) العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية الفصل ١٧ عن كتاب ترقى التصورات الدينية مجلد ١ ص ٧٠ ودوان ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ وفشنو بورانا ص ٦١٢ ، ٤٩٢ وكتاب (دين اليهود) لموريس وبمس وكتب العهد الجديد .

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنا	أقوال النصارى المسيحيين فى يســوع المسيح
لما مات كرشنا حدثت مصائب وعلامات شَرٍّ عظيم ، وأحاطت بالقمر هالة سوداء ، وأظلمت الشمس فى وسط النهار ، وأمطرت السماء ناراً ورمادا ، وتأججت أشعة نار حامية ، وصار الشياطين يفسدون فى الأرض ، وشاهد الناس ألوفاً من الأرواح فى جو السماء يتحاربون صباحا ومساء ، وكان ظهورها فى كل مكان .	لمامات يسوع حدثت مصائب جمة متنــوعــة ، وانشــق حجـــاب الهيكل من فوق إلى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفُتِحَت القبورُ وقام كثيرون من القديسيين وخرجوا من قبورهم .
وثُقِبَ جَنْبُ كرشنا بحربه .	وثُقِبَ جَنْبُ يسوع بحربة .
وقال كرشنا للصياد الذى رماه بالنبلة وهو مصلوب « اذهب أيها الصياد محفوفاً برحمتى إلى السماء مسكن الآلهة » .	وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه « الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » .
ومات كرشنا ثم قام من الأموات .	ومات يسوع ثم قام من بين الأموات .
ونزل كرشنا إلى الجحيم .	ونزل يسوع إلى الجحيم .
وصعد كرشنا بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا .	وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعدا .

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنا	أقوال النصارى المسيحيين فى يسوع المسيح
وهو « أى كرشنا » يدين الأموات فى اليوم الأخير .	ويدين يسوع الأموات فى اليوم الأخير .
كرشنا الألف والياء ، وهو الأول والوسط وآخر كل شىء .	يسوع الألف والياء والوسط وآخر كل شىء .
وفى حضور أرجونا بُدِّلَتْ هيئة كرشنا وأضاء وجهه كالشمس ومجد العَلِىّ ، اجتمع فى إله الآلهة فأحنى أرجون رأسه تذللا ومهابة وتكتف تواضعاً وقال بإحترام : الآن رأيت حقيقتك كما أنت ، وإنى أرجو رحمتك يارب الأرباب ، فعُدْ واظهر علىّ فى ناسوتك ثانية ، أنت المحيط بالملكوت .	وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم ، وأضاء وجهه كالشمس ، وصارت ثيابه بيضاء كالثلج ... وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيِّرةٌ ظللتهم وصوت من السحابة قائل : هذا هو ابنى الحبيب الذى سررت له ، اسمعوا . ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً .
وغَسَلَ أرْجُلَ البرهميين وهو الكاهن العظيم (براهما) وهو العزيز القادر ظهر لنا بالناسوت .	وغسل أرجل التلاميذ[1] وهو الكاهن العظيم القادر ظهر لنا بالناسوت .

(١) يقول يوحنا (١٣ : ١٤) عن المسيح أنه (قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة واتزر بها ، ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان مُتَّزِراً بها) فانظر إلى قوله إن المسيح تجرد عن ثيابه كلها واتزر بمنشفة ليغسل أرجل التلاميذ ، فهل يستدعى غسله أرجلهم التجرد من الثياب كلها ؟! . =

كرشنا هو (برهمة) العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سِرٌّ من أسراره العجيبة الإلهية .	يسوع هو (يهوه) العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سِرٌّ من أسراره العظيمة الإلهية .

★ □ ★ □ ★

عقيدة البوذيين

البوذيون ويتكون منهم أكثر سكان الصين واليابان ، يدعون كذلك أن بوذا إله ذو ثلاثة أقانيم ، ويسمونه (فو) ويرمزون له كالهنود باللفظ (أوم) أى الألف والواو والميم ، ويقولون أنه وُلِدَ من العذراء (مايا) وأنه ظهر فى الأرض بالناسوت ، لينقذ العالم من خطاياه[1].

فهل يعتقد المسيحيون بعد ذلك أن المسيح أخفى عقيدة التثليث لأن الناس وقته ما كانوا ليستطيعوا حملها وقبولها ، وأنه ترك أمر إفشاء هذا السر للروح القدس الذى أعلم به أتباعه وحوارييه ؟! .

إن فكرة التثليث وعقيدته لم يخترعها غير مشركى الهند الوثنيين قبل المسيح بآلاف السنين[2]، وكانت هذه العقيدة مقبولة عند المشركين الوثنيين ، يتوصل بها كهنتهم إلى التسلط على الشعب ، بإدخالهم فى روع العامة أنهم بعيدون عن فهم هذه الأمور التى لا يعرفها سواهم « أى الكهنة وأن هذه أسرار لا يعرف سرها سوى الرؤساء الدينيين » .

= وتأمل قوله أنه كان ينشف أرجلهم بالمنشفة التى كان مُتَّزِراً بها ، ويقف أمامهم متجرداً عن الثياب !. وتصور نفسك وسط جماعة وأفرض أنك تريد غسل أرجلهم فهل تتجرد من ثيابك وتقف عرياناً لكى تفعل ذلك ، ثم بعد ذلك تنشف أرجلهم بما تستر به عورتك ؟!.

(١) موريس (آثار الهند القديمة) ، وفابر (أصل الوثنية) دوان (خرافات التوراة والإنجيل) .

(٢) راجع آخر القسم الثانى من هذا المبحث .

وإنى لأعجب من البولسيين[*] كيف يتركون تعاليم المسيح ووصايا التوراة وأوامر أنبياء الله ، ويتخذون تعليم الوثنيين مبدأ لهم ودنيا لأنفسهم !

ولكى أوضح لك ذلك أذكر ملخصاً بسيطاً للمقارنة بين ما يدعيه المسيحيون لابن مريم عليهما السلام ، وبين ما يقوله البوذيون الوثنيون – مما اخترعوه قبل المسيح وموسى بآلاف السنين – فى بوذا الذى اتخذوه إلٰهاً لهم[1]:

بعض أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا	بعض أقوال النصارى المسيحيين فى المسيح
ولد بوذا من العذراء (مايا) بغير مضاجعة رَجُلٍ .	ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رَجُلٍ .
كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس فى العذراء (مايا) .	كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم .
لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل فى جسد مايا العذراء صار حَمْلُها كالبلور الشفاف النقى وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة .	لما نزل المسيح من مقعده السماوى ودخل إلى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .

---

* البولسيون نِسْبَةً إلى بولس الذى كان يهودياً اسمه شاول ، وكان يضطهد المسيحيين أيّما اضطهاد ، ثم تحوَّل ليصبح من أكبر دعاة المسيحية ، جاعلاً المسيح إلهاً ، ليصبح هو رسول الإله الذى اخترعه حيث إنه لا يُعْقل أن يكون رسولاً لرسول من رُسُلِ الله . (المراجع) .

(1) عن كتاب ديانة الهنود الوثنيين لوليمس ص ٨٢ و ١٠٨ ودان ص ٢٨٩ وكتاب بنصون المدعو الملاك المسيح ص ١٠ ، ٢٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ كتاب الملاك المسيح ص ٤٥ تأليف بنصن وكتاب تاريخ البوذية تأليف بل ص ١٧٧ ، ٤٩ وكتب العهد الجديد (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) محمد طاهر التنير الفصل ١٧ .

بعض أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا	بعض أقوال النصارى المسيحيين فى المسيح
لما عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتنسك وظهر عليه (مارا) – أى الشيطان – كى يجربه .	لما شرع يسوع فى التبشير ظهر له الشيطان كى يجربه .
وقال (مارا) – أى الشيطان لبوذا : لا تسرف حياتك فى الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا .	وقال (أى إبليس) له (أى ليسوع) : أعطيك هذه (أى الدنيا) جميعها إن خررت وسجدت لى .
فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان بل قال له : اذهب عنى .	فأجابه يسوع وقال : اذهب يا شيطان .
ولما ترك مارا (الشيطان) تجربة بوذا أمطرت السماء زهراً وطيباً وملأ الهواء طيب عرقه .	ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد صارت تخدمه .
وصام بوذا وقتاً طويلاً .	وصام يسوع وقتاً طويلاً .
ولما كان بوذا على الأرض فى أواخر أيامه بدلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل (بندافا) أى الأصفر المبيض فى (سيلان) ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه فى شكل إكليل ويقولون أن	ولما كان يسوع على الأرض بدلت هيئته : « وبعد ستة أيام أخذ يسوعُ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور .

بعض أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا	بعض أقوال النصارى المسيحيين فى المسيح
جسده أضاء منه نور عظيم وصار كتمثال من ذهب براق مضىء كالشمس أو كالقمر وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة وحينما رأى الحاضرون هذا التبديل فى هيئته قالوا . ما هذا بشراً إن هو إلا إله عظيم .	
لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (أى بقوة إلهية) .	لما مات يسوع ودُفِنَ انحلتْ الأكفان وفُتِحَ القبر بقوة غير اعتيادية أى بقوة إلهية .
وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض .	وصعد يسوع بجسده إلى السماء مِنْ بَعْدِ صَلْبه لما كمل عمله على الأرض .
وقال بوذا : فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا علىّ ليخلص العالم من الخطيئة .	يسوع هو مخلص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عوضاً عن الذين اقترفوها ويخلص العالم .

★ □ ★ □ ★

سائر العقائد الوثنية

وأما سائر العقائد الوثنية فى الأمم المختلفة ، فمشتقة كلها من ديانة الأمة الهندية الوثنية القديمة التى بيناها آنفاً ، وإنك إذا نظرت فى هذه الديانات ، وجدت أن التثليث هو المدار الذى تدور عليه ، وسأذكر هنا أمماً مختلفة ، محور عبادتها الوثنية والتثليث .

(أ) المصريون (الوثنيون القدماء) :

أخذوا ديانتهم عن الهنود[1] منذ ٧٠٠ سنة قبل المسيح ، وكانوا يعبدون الإله (آمون) ذو الثلاثة أقانيم وهى :

آمون : الآب .

كونس : الابن .

موث : الأم .

وتجد كذلك فى معابدهم وآثارهم ، رسوماً خاصة يعبرون بها عن عقيدتهم فى التثليث الذى يفسرونه بالمادة والقوة والروح[2]، ويرمزون له فى صورهم بهيئة شيخ هَرِم ، وشاب يحمل صليباً ، وجناحَىْ صَقْرٍ ، وفى أحيان أخرى يرمزون له بوكر وأفعى وجناح طير .

(ب) اليونان (قبل المسيح) :

ويعتقدون كذلك أن كل الأشياء عملها الإله الواحد مثلث الأقانيم ، ولاشك أن اليونانيين الوثنيين اقتبسوا عقيدتهم كذلك من الهنود القدماء، وقد ذكر (أورفيوس) ثالوث اليونان ، وأورفيوس هذا هو أحد شعرائهم وكتابهم الذين عاشوا قبل المسيح بعدة قرون .

(جـ) الرومان :

وكانت الديانة الرومانية القديمة تقوم كذلك على التثليث ، ويفسر عندهم

---

(١) أدخل هذه العبادة فى مصر أحد براهمة الهند يسمى (مانس) .

(٢) عند المسيحيين الآب يمثل المادة ، والابن يمثل القوة ، والروح القدس يمثل الروح والحياة .

كسائر الشعوب الوثنية بالله والروح[1].

(د) الفـرس :

وكانوا يرمزون للثالوث بالآتى :

أورمزد : وهو الخالق .

مترات : وهو ابن الله والمخلص والوسيط .

أهرمان : وهو المهْلِك .

(هـ) الإسكندنافيون :

ويعبرون عن الثالوث بما يأتى :

أودين : الآب .

تورا : الابن البكر .

فرى : مانح البركة والنسل والسلام .

ويرمزون للآب بمثال بيده حسام ، ويصورون الابن لابساً تاجاً وبيده صولجان ، ويصورون فرى واقفاً عن شمال تورا ، ويثبتون فى تمثاله علامتى التذكير والتأنيث .

(و) السيبيريون :

وثالوثهم هو :

الأقنوم الأول : وهو خالق كل شىء .

الأقنوم الثانى : وهو إله الجنود .

الأقنوم الثالث : وهو روح المحبة السماوية .

(ز) المكسيكيون :

ويؤمنون كذلك بإله مثلث الأقانيم ، يسمونه (تزكتليبوكا) ويسمون الأقنومين الآخرين (أهوتزليبوشتكى) و (تلاكوكا)[2].

---

(١) كتاب الخرافات ومتبعوها لفسك .

* نِسبةً إلى أهل سيبريا بأقصى شمال أوروبا . (المراجع) .

(٢) آثار المكسيك القديمة (كنسبورو) .

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (1)

★ □ ★ □ ★

(1) التوبة : ٣٠ .

المبحث الرابع

عقيدتا الفداء والصَّلب

فى هذا المبحث سنتكلم عن عقيدتى الفداء والصلب ، وسنبين هل بعث المسيح حقيقة ليفدى العالم من الذنب الذى اقترفه آدم عليه السلام ، وهل صلب ابن مريم حقيقة لينجى الناس من عذاب السعير ، ولبيان هاتين العقيدتين أقسم الكلام فيهما إلى قسمين :

القسم الأول من المبحث الرابع

عقيدة الفداء

وستعرف فى هذا القسم هذه العقيدة ، وسنثبت أنها من وضع متأخرى رجال الدين المسيحيين ، وسنحصر الكلام عن هذه الدعوى فى النقاط الآتية :

دعوى الفداء

تقول الكنيسة إن الجنس البشرى قد وُصِمَ بوصمة المعْصَيِة ، وأن هذه الوصمة قد نالته من جراء أكل آدم من الشجرة المحرمة[1] بإيعاز من الحية ، فأصبح على ذلك مستحقاً للعنة الله[*]، محكوماً عليه بالهلاك الأبدى فى الجحيم .

ويقولون بجانب ذلك أن رحمة الله شاءت تخليص هذا العالم ، والتجاوز عن ذلك الذنب الفطرى المورث له Peccatum Original ،

(١) لم يذكر المسيحيون أن آدم عليه السلام استغفر ربه مرة واحدة ، والمسلمون يقولون أنه استغفر ربه فتاب عليه ، قال تعالى ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم** ﴾ البقرة ٣٦ .

* العجيب حقاً هو أن المسيح لم يقل أبداً إن آدم قد أصبح مستحقاً للعنة الله ومحكوماً عليه بالهلاك الأبدى فى الجحيم . أتباع المسيح هم الذين يقولون ذلك بعد قرون من نهاية شأن المسيح عليه السلام مع قومه . لم يكن هؤلاء المسيحيون « شهود عيان » لما جرى بين الله وآدم عليه السلام . (المراجع) .

فَوَجَبَ تقديمُ الترضية اللازمة لله . ويقولون أنه لما كان هلاك الناس هو شيء يقتضيه النظام الإلهي ، ولما كان المحكوم عليه بالموت يجب تنفيذ الحكم عليه ، أو تقديم غيره ، أو تطوع سواه بدلاً عنه ، فقد سمح الله بتضحية ابنه على الصليب كفارة عن الناس ، وبالرغم من ذلك فإنهم يدعون أنه لا ينجو إلّا من آمن بهذه الدعوى ، واتخذها له عقيدة .

الأدلة على بطلان دعوى الفداء

إن دعوى الفداء تدل بَدَاهَةُ العَقْلِ على بُطْلانها ، ولكن بما أن جمهور المسيحيين يؤمن بها ، أراني مضطراً إلى إثبات الأدلة التي تنفي إمكان نزول الله تعالى وتجسده لتعذيب نفسه كَفَّارةً عن العالم ، من أجل خطأ ارتكبه آدم عليه السلام ، وألخص هذه الأدلة فيما يلي :

أولاً : لا تؤخذ الأبناء بجرائم الآباء :

كُتُبُهُمْ تُثبِتُ كَوْن الأبناء لا يؤخذون بجرائم الآباء ، فمن ذلك قولها « النفس التي تخطيء هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » (حزقيال ١٨ : ٢) ومِثْلُهُ ما جاء في (تثنية ٢٤ : ١٦) « لا يُقْتلُ الآباء عن الأولاد ولا يُقتَلُ الأولادُ عن الآباء كُلُّ إنسانٍ بخطيئته يُقْتَلُ » . ومِثْلُهُ « سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رومية ٢ : ٦)[1].

وكل ذلك يثبت أن خطيئه آدم لا تتعدى نفسه ، ولا يقع إثمه على غيره ، ولا يتحمل خطأه سواه .

---

(١) قال تعالى ﴿ **من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ الإسراء ١٥ .

ويثبت قولنا كذلك ما جاء في كتابهم من أن الله أبى أن يأخذ موسى بجريرة بني إسرائيل . ونَصُّ ذلك كما يأتي : (وكان في الغد أن موسى قال للشعب أنتم قد أخطأتم خطية عظيمة فاصْعَد الآن إلى الرب لعلي أُكَفِّر خطيئتكم . فرجع موسى إلى الرب . وقال : آه قد أخطأ هذا الشعب خطية عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب والآن إن غفرت خطيتهم وإلا فامحني من كتابك الذى كتبت فقال الرب لموسى : من اخطأ أمْحوُهُ من كتابي) خروج ٣٢ : ٣٠ - ٣٢ .

وتجد مثل ذلك كذلك قول يوسف لإخوته عن شقيقه (الرجل الذى وجد الطاس في يده هو يكون لي عَبْداً وأما أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم) تك ٤٤ : ١٧ .

ثانياً : إذا كانت معصية آدم أوجبت تضحية الله ، فما بالك بالفواحش والمنكرات التى نسبوها للأنبياء والمرسلين ؟ :

يقول المسيحيون أن فى خطيئة آدم من القبح والفحش ، ما أوجب اللعنة الإلهية عليه وعلى سائر نسله من بعده ، ومن جملتهم الأنبياء والمرسلون ، فإذا كانت خطيئة آدم ، وهى أَكْلُه من الشجرة المحَرَّمَةِ أدَّتْ إلى تجسُّد الله ، وتَحَمُّلِه العذابَ دون البشر ، فما بالك بالمنكرات والفواحش التى ارتكبها – على زعمهم – الأنبياء والرسل . ألا تدعو هذه المعاصى – ولا تعد معصية آدم بجانبها شيئاً – أن يضحى الله بأقنوم آخر كفارة عنها ؟

وأرى هنا أن أذكر أمثلة مما نسبوه للأنبياء والرسل ، ليقيس القارئ عليها ما اقترفه آدم من نسيان ، وأكله من الشجرة المحرمة ، فأقول :

(أ) نوح يسكر ويكشف عورته ويلعن كنعان ظلماً :

يدعى المسيحيون أن نوحاً شرب الخمر وَسِكرَ ، وتَعَرَّى ، فرآه حام ولده الأصغر ، فأخبر أخويه بذلك ، فذهبا وسترا عورة أبيهما ، فلما انتبه نوح من الخمر ، دعا على كنعان بن حام فقال : ملعون كنعان ، وطلب من الله أن يكون عبداً لعبيد إخوته ، وترى نص هذه الحكاية فى الهامش .[1]

(ب) إبراهيم يقبل أن يهتك فرعون عرض زوجته طمعاً فى المال :

يدعى المسيحيون أن إبراهيم عليه السلام دخل مصر بدون أمر الله ، وهو يعلم أن بها مَلِكاً يهتك عرض النساء ، وأنه رضى أن ينال فرعون من زوجته ما يشتهى ، وأنه ارتاح لذلك ، وأنه أخذ أجر ذلك غنماً وبقراً وحميراً وعبيداً ، وترى نص ذلك فى الهامش .[2]

---

(١) فى سفر التكوين ٩ : ٢٠ – ٢٧ (وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته .. إلخ) .

(٢) تكوين ١٢ : ١٠ – ٢٠ (وحدث قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوننى ويستبقونك . قولى : إنك أختى ليكون لى خير بسببك وتحيى نفسى من أجلك . فحدث لما =

(جـ) إسحاق يفعل ما فعل إبراهيم أبوه :

ويقولون أن إسحاق أقام فى جراء « وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هى أختى لأنه خاف أن يقول امرأتى لعل أهل المكان يقتلوننى من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر » (تكوين ٢٦ : ٧) .

(د) لوط يسكر ويزنى بابنتيه :

أتجد فاحشة فى الوجود أشنع من أن يزنى الوالد بابنتيه ، الكبيرة فى الليلة الأولى والصغيرة فى الليلة التى تليها . إنك تجد بيان ذلك مفصلاً فيما يلى : « وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل ، وابنتاه معه ، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا خمراً ونضطجع معه ، فنحيى من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمراً أيضاً فادخلى اضطجعى معه ، فنحيى من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً فى تلك الليلة أيضاً ، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مواب ، وهو أبو الموابيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم »

(تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٧)[1]..

= دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأُخِذتْ المرأةُ إلى بيت فرعون فصنع إلى أبرام خيراً بسببها . وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتنٌ وجمالٌ . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة أبرام فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذى صنعت بى فلماذا لم تخبرنى أنها امرأتك لماذا قلت هى أختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى .. إلخ) .

(١) الدين الإسلامى يبرئ الأنبياء والرسل من كل هذه الاتهامات الباطلة ولا ينسب إليهم إلا العصمة . وبيان ذلك فى القرآن الكريم .

إن اتهام لوط بالزنا يعنى أن داود والمسيح أتيا من أقبح طريق للزنا وذلك لأن راعوث من بنات مواب وهى أم عوبيد جد داود كما ذكر متى وداود جد المسيح كما بينا من قبل .

(هـ) موسى وهرون يخونان الله ولا يقدسانه ولا يصدقانه :

لقد روى المسيحيون فى كتبهم أن الله تعالى عاقب موسى بالموت ، وكذلك هرون من قبل ، لأنهما خاناه ولم يقدساه ولم يصدقاه .

ويروون كذلك أن موسى طلب من الله أن يعفيه من الرسالة ، وأنه رفضها ، وأن هرون صنع عجلاً لبنى إسرائيل ليعبدوه دون الخالق القهار ، وترى نصوصهم فى ذلك فى الهامش[1].

(و) داود يزنى ويقتل بريئاً :

يتهم المسيحيون داود بالزنا ، فقد رووا أنه زنى بامرأة أعجبه حسنها ، فحملت منه سفاحاً ، وأنه أرسل زوجها إلى الحرب وأمر بقتله هناك ، وأنه أحب ابنه من الزنا حباً شديداً فأراد الله أن يعاقبه ، فأوعده بأن يسلط ابناً لابنه يزنى بجميع نسائه على مرأى من جميع بنى إسرائيل ، وقد نفذ الله توعده وزنى أبشالوم بجميع نساء داود على مرأى من جميع الناس ، وترى هذه القصة الغريبة مفصلة فى (صمويل الثانى ١١ : ١ – ٢٧) وفى (صمويل الثانى ١٢ : ١١و ١٢) وفى (صمويل الثانى ١٦ : ٢٢)[2] .

---

(١) ففى سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ – ٥٢ (وكلم الرب موسى فى ذلك اليوم قائلاً : اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبوا الذى فى أرض مواب الذى قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل ملكاً ومت فى الجبل الذى تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك فى جبل هور وضم إلى قومه لأنكما خنتمانى فى وسط بنى إسرائيل عند ماء مريبة قادش فى برية حين إذ لم تقدسانى فى وسط بنى إسرائيل .. إلخ ومثله فى عدد ٢٠ : ٢٤ ، ورفض موسى الرسالة فى خروج ٤ ، ومسألة هرون فى خروج ٣٢ : ١ – ٦ (ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الذى أصعدناه من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه فقال لهم هرون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هرون بنى مذبحاً أمامه ونادى هرون وقال غداً عيد الرب فاسكروا فى الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب) .

(٢) وبمناسبة ذلك أذكر مصيبة أخرى نسبوها لأمون ابن داود إذ عشق أخته وزنى بها ، ثم طردها ولم يعاقبه داود على ذلك ولكنهم يذكرون أن أخاه أبشالوم قتله بعد سنتين من ارتكابه جريمته الشنعاء غدراً (صمويل الثانى ١٣ : ١ – ٢٨) . =

(ز) سليمان يَكفُرُ ويَعْبُدُ الأَوْثانَ :

يتهم المسيحيون سليمان بن داود عليهما السلام « بالفُحْشِ ، والفِسْق ، والفجور ، والكُفْر ، والزندقة ، وعدم الاهتمام بأوامر الله تعالى ، وأنه عَبَدَأوثاناً وأصناماً وآلهة أخرى ، كل ذلك بالرغم من كون الله تعالى - بحسب زعمهم - ظهر له - مرتين وأوصاه فى هذا الأمر ألّا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصاه به الرب ... الخ » ونص ذلك فى الهامش[1].

فبربك هل هنالك نسبة بين معصية آدم وهذه المعاصى الجسيمة التى ارتكبتها الأنبياء والمرسلون - فيما يزعمون ؟! - وإذا كان أَكْلُ آدَمَ مِنَ الشجرة المحرمة أوجب نزول الله وتقديمه نفسه كفارة عن البشر ، فما بالك بما فعلته الأنبياء والمرسلون من المعاصى والآثام ؟!.

هل توجب هذه المعاصى نزول أحد الأقانيم ليكفر عنها ؟! . أو هل يوجب ذلك نزول الثلاث أقانيم ؟!! .

ثالثاً : قَتْلُ الناسِ إلٰهَهُمْ وإهانَتُه أكبر من معصية آدم :

ثم أنه لو جاز أن الله تعالى يطالب بنى آدم بذنب أبيهم ، فليس فى صَلْبِ المسيح ما يمحو ذلك الذنب ، بل إن فى ذلك ما يضيف خطيئة أخرى ،

= وبالرغم من هذا الزنا العلنى فلم يقم الأنبياء حد الزنا وهو ما جاء فى تثنية ٢٢ : ٢٢ (إذا وجد رجل مضطجع مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة) .

(١) (وأَحَبَّ الملكُ سليمان نساءً غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ، فالتصق سليمان بهؤلاء المحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى فأمالت نساؤه قلبه ، وكان فى زمانه شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشَّرَّ فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموسن رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب فقال الرب لسليمان من أجل أنَّ ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك ... إلخ) الملوك الأول ١١ : ١ - ١٣ .

فسيطالَبُ الجنس البشرى بجريمة آبائه وإخوانه اليهود الذين قتلوا إلٰههم أو الأقنوم الثانى منه ظلماً وعدواناً[1].

إن المعقول أن معصية آدم لا تساوى شيئاً مطلقاً إذا قيست بمعصية الناس حين صَلَبوا رَبَّهُمْ ، حين أتى إليهم ، وقَبِلَ الهوان واللعْنَ والعذابَ من أجْلِ خلاصهم .

رابعاً : المسيح يضن على امرأة بالمساعدة فهل يبذل حياته عن الناس ؟ :

روى متى (١٥ : ٢٧ - ٢٨) عن المسيح فقال « ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحى صور وصيداء وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم إليه قائلة ارحمنى يا سيد يا ابن داود ابنتى مجنونة جداً فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح . فأجاب وقال : لم أرسل إلَّا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة فأتت وسجدت قائلة يا سيد أعنى فأجاب وقال : ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب فقالت نعم يا سيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها[2] حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك ما تريدين » ..

فهل يقدم المسيح نفسه عن الناس ، ويقبل القتل والصلب والإهانة من البشر ، كل ذلك عن طيبة خاطر ، مع أنه ثبت من الإنجيل أنه ضَنَّ على المرأة بالمساعدة ، وأنه قابلها بالتحقير والسباب ، ولم يقبل مساعدتها إلَّا بعد هذه الشدة ، ووساطة تلاميذه الذين طلبوا منه مساعدتها لا للخير ، وإنما لأنهم أرادوا التخلص منها ومن صياحها ؟

خامساً : تسليم المسيحيين بكَوْنِ دعوى الكفارة لم تتحقق :

ويقولون أن الله تعالى قال لآدم ، إن أكلت من هذه الشجرة موتاً تموت ، ويفسرون (موتاً تموت) بأن الله يعنى أن يدخل آدم وذريته الجحيم ، ولكن

---

(١) إن لم يك عدواناً ما فعلته اليهود من قتلهم الله وإهانته ، فلهم الفضل إذن فى إنقاذ العالم من الخطيئة بقتلهم المسيح .

(٢) انظر كيف أفحمت المرأة المسيح الذى يدعون أنه هو الله (فيما يروون عنه) .

تفسيرهم هذا يؤخذ منه أن الله تعالى لم تنفذ إرادته لأن الأقنوم الثانى – بزعمهم – نجاهم . بل إن الله تعالى لم تنفذ إرادته بعد ذلك كذلك ، لأن معظم الناس لا يزالون لا يؤمنون بالفداء ، وذلك – بحسب عقيدتهم – بسبب دخولهم الجحيم ، فما معنى أن المسيح نجى العالم من الخطيئة حتى استحقوا دخول الجنان ؟!

يقولون عن المسيح « وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط ، بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يوحنا ٢ : ٢) ، فكيف يكون المسيح كفارة لكل العالم ، مع أن فى العالم الملايين من عبدة الأوثان واللا دينيين ، ويوجد كذلك فى العالم الملايين من المسلمين الذين لا يؤمنون إلَّا بالتوحيد الحقيقى ، وينزهون الله تعالى عما لا يليق به من الصفات التى ينسبها إليه المسيحيون ، بل لِمَ يُتَوَعَّدُ المسىء والمخطئ والعاصى بالعذاب ويهدد بدخول النار ؟؟ .

إن الذى يرتكب أكبر الخطايا ، لا يمكن أن يعذب مادام المسيح – كما يقولون – لم يرسل لا ليجعل الناس آمنين شر العقاب . فما معنى العبادة والطاعة ؟؟! .

إن الذى يعتقد أن الله تعالى ترك كبرياءه ، وملكوته ، وعزته من أجله ، وأنه قَبِلَ النزول عن مكانته وعليائه ، وأنه رضخ لخلقه واستسلم لهم ، وتحمل الإهانة والتحقير للتكفير عن ذنبه ونجاته ، إن الذى يعتقد ذلك لا يهمه أن يأتى أكبر الفواحش ، ويرتكب أفظع المنكرات[1]، ولا يخاف الله الذى اتصف بالضعف والجنون فى حب البشر ، ولمن يفعل ذلك أسوة سيئة فيمن ذكرت من الرسل والأنبياء .

---

(١) يقول لوثر إمام البروتستانت (إن السيد المسيح كى يعتق الإنسان من حفظ الشريعة الإلهية قد تممها هو بنفسه باسمه ولا يبقى على الإنسان بعد ذلك إلا أن يتخذ لنفسه وينسب إلى ذاته تتميم هذه الشريعة بواسطة الإيمان ونتيجة هذا التعليم هو أن لا لزوم لحفظ الشريعة ولا للأعمال الصالحة) وقال أيضاً (إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا بل بعكس ذلك إنه يرفض أعمالنا) [مؤلفات لوثر طبعة ولش مجلد ٣ ص ٤] .

ثم قال فى مكان آخر (إنه لكى تظهر فينا قوة التدبير يلزم أن نُعْظِم آثامنا جداً وأن نكثر عددها) راجع ص ٦٧ من هذا الكتاب .

وإذا كانوا يقولون أنهم وحدهم الناجون ، فَلَمْ يتحقق قول يوحنا إن المسيح كفارة عن العالم ، وإذ قالوا بصدق قول يوحنا كذبوا حيث ادعوا هلاك غير المسيحى ، وكَفر كل فريق منهم الآخر ، وحيث تعارض الدليلان ، فلا اعتبار لهما . فلا كفارة على ذلك ولا فِدَاء .

سادساً : عقيدة الفداء لا يقبلها العقل :

(أ) التفكير فى الشر دون وقوعه لا يوجب العقاب :

إن عقيدة الفداء لا يمكن أن يقبلها العقل مطلقاً ، إذ كيف يُعَاقَبُ الإنسان ويُحْكَمُ عليه بالموت الأبدىّ لأن فيه ميلاً إلى الشر ، ولأنه نزاع بطبيعته إلى اقتراف الآثام ، إن مجرد الميل إلى الشر بدون الوقوع فيه لا يوجب حكماً بالمعصية ، إنما المعصية هى الوقوع الفعلى فيها ، فلا يمكن أن يخسف العدْلُ الإلهىُّ الناسَ لأنهم أو لأن فيهم من ينزِعُ إلى مخالفة الله .

لقد جاء المسيح والعالم لا تزال فيه هذه الغريزة ، ومضى المسيح والجنس البشرى أشد شراً مما كان .

(ب) لا يعذب الله ذاته :

إن الله لا يخلق لذاته العذاب الذى أعد للعاصين من عباده ، فلقد خلق الله المحسن والمسيىء ، وأوجد الصالح والطالح ، وأعد لأحدهما الثواب وللآخر العقاب ، أم كان يجهل اللهُ طبيعةَ خَلْقِه ، وأنه ما كان يقصد أنه يخلق فيهم الشر ، وأنه فوجىء بالمعصية « فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائمه ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم » (تكوين ٦ : ٥ و ٦) .

(جـ) لا ينقسم الله على ذاته :

قال المسيح للفريسيين حين زعموا أنه يخرج الشياطين بوساطة (بعلزبول) رئيسهم « إن كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته » (متى ١٢ : ٢٦) ، وأنا أقول « إن كان اللهُ يَصْلُبُ ويهين الله فقد انقسم على ذاته » .

(د) هل يخطئ الإنسان فيتعذب خالقه ؟:

وإذا فرضنا أن الإنسان قد أخطأ لأنه ورث عن آدم المعصية ، فما ذنب الله تعالى ليتعذب ، ويهان ، ويشتم ، ويتفل عليه ، ويتهكم به الناس ، ويُضرَب ، ويُصلَب ، ويُقْتَل قتلة الأشرار المجرمين ؟!

(هـ) هل فدى الله آدم ببعض آدم ؟ :

وإذا قيل أن الله لم يتعذب ، بل الذى تعذب هو ناسوت المسيح ، قلنا إما أن يكون ناسوت المسيح جزءاً من الله[1] فيكون العذاب قد وقع على الله كما قدمنا ، وهو غير جائز عقلاً ، أو يكون ناسوت المسيح جزءاً من آدم كسائر البشر الذى توالد منه ، فيكون آدم قد فُدِىَ ببعضه ، وأن يفدى الناس بأحد منهم يبطل عقيدة الفداء ، ولا يكون هناك معنى لنزول الله أو لتجسده أو لقيامه بالكفارة ، إذ أن عقيدة المسيحيين كما بينا لا تنص على كون الله انتقم من الناس فى شخص أحدهم ، أو قبل فداء واحد منهم عن الآخرين .

وإما أن يكون العذاب قد وقع على ناسوت المسيح ولاهوته ، ولا يخرج حكم ذلك عما قدمنا ، فيثبت بذلك بطلان جواز دعوى الفداء .

(و) يذبح الله فما دخل البشر ؟! :

يقول المسيحيون (رؤيا ١٣ : ٨)[2] أنه كان فى الأزل ، قبل وجود الكائنات ، ثلاث وجودات أزلية ، وهى : كاهن ، وخروف مذبوح ، وروح القدس « أى الله والمسيح المصلوب والروح القدس » فمن ذبح الخروف غير أحد الكائنين الآخرين ! . فأية علاقة بين البشر وما تفعله الآلهة فيما بينهم ؟!!!

سابعاً : المسيح لم يدع أنه جاء ليخلص الناس من خطيئة آدم :

إن المسيح عليه السلام وجميع الأنبياء والرسل قبله لم يذكروا لنا شيئاً مطلقاً عن هذا الذنب المغروس ، وإلّا فها هى التوراة التى بين أيديهم ، وهاهى

---

(١) إذا اعتبرنا ناسوت المسيح جزءاً من الله فيكون الله بذلك أربعة أقانيم وهى الآب وروح القدس وناسوت الابن ولاهوت الابن .

(٢) ومثله فى أبواب مختلفة من إنجيل رؤيا يوحنا اللاهوتى .

الأناجيل التى يؤمنون بها ، هاهى أمامهم ولم يذكر فى أحدها أن بنى آدم وصموا بذنب لم يقترفه أحدهم[1].

يقول المسيحيون إن المسيح هو الله وأنه ما نزل فى هذا العالم ، وما انحط إلى مستوى البشر إلّا ليخلص الناس من ذاك الذنب المزعوم ، فإذا كان هذا هو السبب الوحيد الذى أرسل من أجله المسيح ، فلِمَ لَمْ يقل عنه شيئاً !! ولِمَ لَمْ يبينه !! .

لقد كان المسيح معلم الشعب ، فإذا كان نزل للفداء فكان عليه أن يشرح ما جاء من أجله خاصة ، وما كان هنالك أدنى داع للتعليم والتهذيب والإرشاد إلى الطريق الذى يدخل الجنة ، مادام محض مجيئه يكفى لخلاصهم وخلاص العالم معهم .

أصل عقيدة الخطيئة والفداء

وتحت هذا العنوان سأذكر بعض ما رواه صاحب (العقائد الوثنية)[2] عن مشاهير المؤرخين :

قال العلامة هوك[3]: « ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة » .

وقال العلامة مورنيور ويمس[4]: « ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة

(١) خطيئة ادم كما يعتقدها المسيحيون مذكورة فى سفر التكوين ٢ ، ٣ ، وهى لاشك من تأليف أحد الناس ولأضرب لك مثلاً مما جاء فى هذين الأصحاحين :
(أ) وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها (أى ليكون بستانياً) .
(ب) وسمعا (آدم وحواء) صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة (أى أن آدم كان من الجهل بحيث يحسب أن الله لا يراه) فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت (أى أن الله لم ير أين يختبآن) .
(ج) فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك (فهل الله حقاً هو الذى قال للحية ذلك وحكم عليها أن تأكل تراباً كل أيام حياتها) ؟! . وهل تعيش الحية على التراب ؟! .).
واعل الحية كانت لها أرجل قبل أن يحكم عليها الرب أن تزحف على بطنها طول الحياة .
(د) وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر !! ... إلخ .
(٢) لحضرة البحاثة محمد طاهر التنير .
(٣) كتابه (رحلة هوك) مجلد ١ ص ٣٢٦ .
(٤) كتابه (الهنود) ص ٣٦ .

الأصلية ، ومما يدل على ذلك ما جاء فى تضرعاتهم التى يتوسلون بها بعد الكياترى وهى : إنى مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتى شريرة وحملتنى أمى بالإثم فخلصنى ياذا العين الحندقوقية يا مخلص الخاطئين يا مزيل الآثام والذنوب » .

وقال القس جورج كوكس : « ويصفون – أى الهنود – كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم شخصه ذبيحة ويقولون أن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه » .

وقال المسيو كوينيو[1]: « ويذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمر بها بضربة حرة » .

وقال مكس مولر[2]: البوذيون يزعمون أن بوذا قال : « دَعُوا كُلَّ الآثام التى ارتكبت فى هذا العالم تقع علىَّ كى يَخْلُصَ العالم » .

وقال العلامة ويلس[3]: « الهنود تقول : ومن رحمته – أى بوذا – تركه للفردوس ، ومجيئه إلى الدنيا من أجل خطايا بنى الإنسان وشقائهم ، لكى يبررهم من ذنوبهم ويزيل عنهم القصاص الذى يستحقونه » .

وقال مورى[4]: « يحترم المصريون أوسيريس ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة » .

وقالت مسس هجصون[5]: « كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحْبلٍ على خشبة وتحت رجليه صورة حملٍ ، والسوريون يقولون أن تموز الإله المولود البكر من عذراء ، تألَّمَ مِنْ أجْلِ الناس ويدعونه المخلِّص والفادى المصلوب ، وكانوا يحتفلون فى يوم مخصوص فى السنة تذكاراً لموته ، فيصنعون صنماً على أنه هو ، يضعونه على فراش ويندبونه ، والكهنة ترتل قائلة : ثقوا بربكم فإن الآلام التى قاساها قد جَلَبَتْ لنا الخلاص » .

وقال نيت[6]: « كان الوثنيون يدعون أبولو الراعى الصالح وكذلك

---

(١) كتابه (الديانات القديمة) . (٢) كتابه (تاريخ الآداب السنسكريتية) ص ٨٠ .
(٣) كتابه (ديانة الهنود) ص ٢١٤ .
(٤) كتابه (الخرافات) ص ٣٨٤ . (٥) كتابها (تاريخ سيدنا من الآثار) .
(٦) كتابه (الخرافات كما هى مبينة فى الصنائع والآثار القديمة) .

دعوا عطارد الراعى الصالح ، وكرشنا مخلص الهنود دَعَوْهُ الراعى الملوكانى الصالح » .

وقال العلامة دوان : « كان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلِّصٍ إلهىٍّ قديم العهد جداً عند الصينيين ، وإن أحد كتبهم المقدسة المدعو يبكيتك يقول عن تيان أنه القدوس الواحد ، ذو الفضائل السماوية والأرضية ، وأنه سيعيد الكون إلى البر ، وأنه يعمل ويتألم كثيراً ، ولا بد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه ، وأنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به » « وكان الوثنيون يدعون بروميثيوس مخلِّصاً ، كما يدعونه أيضاً الإله الحى صديق البشر المقدم نفسه ذبيحة لخلاص الناس » .

« ورواية صلب القراسيوس الهائلة التى كتبها أسيوس فى أثينا قبل المسيح عليه السلام بخمسمائة عام ، هى أقدم شعر باق إلى هذا الحين بخصوص الصَّلْبِ . أما الحيَلُ والخداع المذكورة فيها فمأخوذة عن روايات قديمة العهد جداً ، وليس لها مثيل لإحداث التأثر على إحساس الناظرين ، ولا يوجد من سَبَقَهُ إلى بيان وَوَصْفِ ما قد قاساه ذاك الإله من الآلام ، ولا يتمالك الناظر إلى تمثيل روايته من الانفعال العظيم ، وكيف كان تأثير أولئك الذين كانوا يعتقدون بأولوهية بطل هذه الرواية الذى هو خليلُهم وخالقُهم ونافعُهم ومخلِّصُهم ، وقد جلب عليهم خصامُهم الآثام الآلامَ التى احتملها ، والأحزان التى قاساها كُلَّها . مِن أجْلِ خلاصِهم ، وبسبب ذنوبهم جُرِحَ ، وبداعى طغيانهم سُحِقَ وتحمل القصاص لنجاته . وبضربه وجَلْدِه شُفوا . ولقد اضطُهِدَ وتألَّمَ وامْتُهِنَ ولم يتململ . وصبْرُهُ العظيم ظَهَرَ حينما كانت كهنة إله الشر تسمِّرُ يديه ورجليه بجبل قوقاسوس ، وليس له شبيه أو مثيل إلَّا الكمال الذى أجراه وهو معلق ويداه ممدودتان بشكل الصليب خدمة للناس وحُبًّا بهم ، وهذه الخدمة جلبت عليه هذا الصلب المخيف ، وحينما كان يقاسى عذاب وعناء تلك المكيدة اعترف صديقه أوسينوس الصياد أنه لم يقدر على إقناعه لمصالحة المشترى وتَرْكِ خلاصِ الناس ، ثم تركه أوسينوس الصياد وَفَرَّ هارباً ، ولم يبق معه أحد يعاين سكرات موته إلا جماعة من المرتلِيْن الأحباب ، المخلصين الذين ناحوا عليه ، واستطاعوا أن يزيلوا من قلبه حُبَّ البَشَرِ » .

القسم الثانى من المبحث الرابع
الصَّلْبُ

قال تعالى :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١)

وسنستعين على إثبات عدم صَلْبِ المسيح ، بذكر التناقض الكبير بين روايات الأناجيل الموجودة اليوم بين أيديهم(*)، فى كتابهم (العهد الجديد) وسنبين الاختلافات الغريبة بين حوادث هذه الروايات ، الشىء الذى يشعر بعدم سلامة الحكاية عن الصلب ، ويظهر اضطرابها واعوجاجها وتفكُّكَ أجزائها ، ويوجب البحْثَ فى علة التحريف وأسباب الخلط والتشويه ، وسنبين بعد ذلك أسباب هذا كله .

ولو أننا سلمنا أن هنالك من صلب حقيقة فى ذاك الزمن ، ولو فرضنا جدلاً أن رواية أصحاب الأناجيل وكاتبيها وناسخيها يؤخذ منها الاتفاق على حادثة من حوادث الصلب ، فلسنا نسلم فى كون المصلوب كان ابن مريم ، بل سنثبت على ضوء ما أشرنا إليه كون المصلوب هو غير المسيح يقيناً ، وسنورد الأدلة القاطعة من الأناجيل عينها على كون المسيح لا يمكن أن يكون قد مسته أيدى اليهود ، أو أنه هو الذى سمروا على الخشبة يديه ، وفعلوا به ما أوردوه فى أناجيلهم من الإهانة والعبث .

---

(١) النساء : ١٥٧ - ١٥٨ .

* مسألة نهاية شأن المسيح عليه السلام مع قومه مسألة ترجع إلى ما قبل الإسلام بأكثر من خمسمائة عام . وهى لذلك مما يعتبر فى عالم الغيْب . ولا يصحُّ الاعتماد على ما يرويه اليهود والنصارى فى كتبهم إلا بقصد بيان ما فيها من تناقض . إن مرجعنا الأساسى بشأنها هو القرآن الكريم . والقرآن الكريم يقرر أن عيسى عليه السلام كان بشراً رسولاً من رسل الله بلَّغ رسالته وأدى أمانته مصححاً ما أفسده اليهود من ديانة موسى فثاروا عليه وهموا بقتله صَلْباً ونَجَّاهُ الله من كيدهم . (المراجع) .

تناقض الأناجيل واختلافها فى
حكاية حادثة الصلب

وسنذكر هنا بعض التناقض الغريب فى حكاية الصلب الذى يؤمنون به ، وسنذكر الروايات الغريبة التى ينسبونها لله عز وجل وسنبين كيف نستطيع أن نبرئ ساحة المسيح من حكاية مضطربة كهذه ، بل من قصة فيها كل هذا الاختلاف :

(أ) رواية حادثة القبض على ابن مريم :

قال متى : إن اليهود استأجروا أحد الحواريين ليرشدهم عن المسيح فأعطاهم علامة أن يقبضوا على الذى يقبله ، فلما أقبل ومن معه « فللوقت تقدم إلى يسوع ، وقال : السلام يا سيدى وَقَبَّلَه فقال له يسوع : يا صاحب لماذا جئت . حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه » (متى ٢٦ : ٤٧ - ٥٠) .

وقد روى يوحنا فى إنجيله نفس هذه الحادثة بشكل آخر يناقض ويخالف كل المخالفة مارواه متى ، فقد قال « فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والقديسين إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم : من تطلبون فأجابوه يسوع الناصرى فقال لهم يسوع أنا هو وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم فلما قال لهم : إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض فسألهم أيضاً من تطلبون فقالوا : يسوع الناصرى أجاب يسوع قد قلت لكم : إنى أنا هو فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون »[*] (يوحنا ١٨ : ٣ - ٨) .

---

* معنى ذلك أن إنجيل يوحنا لا يذكر أنَّ يهوذا قد قبَّل المسيح ليحدد للجند شخصيته كما يصر على ذلك إنجيل متى . (المراجع) .

(ب) من كان يحمل الصليب ؟ :

يقول (لوقا ٢٣ : ٢٦) « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع »[1] ويقول (يوحنا ١٩ : ١٧) « فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجشة حيث صلبوه » .

(جـ) ماذا كان عنوان علة المصلوب ؟ :

يقول متى إنه كان (يسوع ملك اليهود) . ويقول مرقص (ملك اليهود) . ويقول لوقا (هذا ملك اليهود) ويقول يوحنا (يسوع الناصرى ملك اليهود) . فليت شعرى ما هو العنوان الحقيقى الذى كان مكتوباً على الصليب أو فوقه ؟

(د) متى كان المصلوب على الصليب ؟:

يقول كل من متَّى ومرقص ولوقا أن المسيح كان على الصليب نحو الساعة السادسة ، ويعارضهم يوحنا فى ذلك ويقول إن المسيح لم يكن وقتئذ على الصليب ، بل كان فى حضرة « بيلاطس » (يوحنا ١٩ : ١٤) .

(هـ) ماذا قُدِّمَ للمصلوب ؟ :

يقول مرقص (١٥ : ٢٣) أن جند بيلاطس « أعطوا المسيح خمراً ممزوجة بمرٍّ ليشرب فلم يَقْبَلْ » ويقول (متى ٢٧ : ٣٤) « أعطوه خَلا ممزوجاً بمرارة ليشرب فلما ذاق لم يرد أن يشرب » ويقول يوحنا (١٩ : ٢٨ : ٣٠) أن يسوع قال « أنا عطشان وكان إناءً موضوعاً مملوءاً خلا فملئوا أسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه أخذ يسوع الخل قال قد أكمل » .

---

(١) لقد كان من عادة بنى إسرائيل أن يحملوا الصليب من حكم عليه بالصلب وهكذا الحال فى كل الأمم قديماً .

* كانوا يكتبون جناية الشخص المصلوب فوق رأسه على الصليب . (المراجع) .

فالأول يقول إن الذى قُدِّمَ إليه خَمْرٌ ومُرٌّ ولم يقبلها ، ويقول الثانى إن الذى قدم إليه خل ومُرٌّ لما ذاقها رَدَّهُما ، والثالث يقول إن المقدم إله هو الخل ، طَلَبَهُ يسوع وشربه .

(و) ماذا قال المصلوب ؟ :

قال (متى ٢٧ : ٤٦) « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلى إيلى لما شبقتنى ، أى : إلٰهى إلٰهى لماذا تركتنى » ويقول (مرقص ١٥ : ٣٤) أنه صرخ قائلاً : « إلوى إلوى لم شبقتنى الذى تفسيره إلٰهى إلٰهى لماذا تركتنى » ويقول (لوقا ١٣ : ٤٦) « ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى » .

(ز) حال الرجُلَيْنِ المصلوبَيْن مع المصلوب :

يقول متى (٢٧ : ٤٤) أن المسيح صُلِبَ مع لِصَّيْن ، وكان اللصان يعيرانه ، وقال (لوقا ٢٣ : ٣٩) « وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلاً : إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا فأجاب الآخر وانتهره قائلاً : أولاً أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله ، ثم قال ليسوع : اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك فقال له يسوع : الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » ويقول مرقص (١٥ : ٣٧) إن المسيح صُلِبَ مع لصين ولم يذكر أنهما كانا يعيرانه ، أو أن أحدهما كان يعيره والآخر يمدحه ويقول يوحنا أنهم صلبوه مع اثنين ولم يبين حالهما .

(ح) من ذهب إلى القبر وماذا حدث وقتئذ ومتى كان ذلك ؟ :

يقول متى (٢٨ : ١) « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه » .

ويقول مرقص (١٦ : ١) « وبعد ما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه وباكر جداً فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس وكن يقلن فيما بينهن من يدحرج لنا الحجر

عن باب القبر فتطلعن ورأين أن الحجر قد دحرج لأنه كان عظيماً جداً ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندهشن » .

ويقول لوقا (٢٤ : ١) « ثم فى أول الأسبوع أول الفجر ، أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس ، فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع ، وفيما هن محتارات فى ذلك إذ رجلان وقفا بهن بثياب براقة » .

فتأمل الاختلاف والتناقض الغريب فى الحالة الواحدة ، حيث يقول الأول : إن من ذهب إلى القبر هما مريم المجدلية ومريم الأخرى ، ويقول الثانى : إنهن ثلاثة لا اثنتان والثالثة هى سالومة ، ويقول لوقا : أنهن نساء عديدات ولم يعينهن (٢٣ : ٥٥) وذكر أن معهن أناس .

ثم يقول الأول : إنهما حين أتيتا إلى القبر حدثت زلزلة عظيمة ، والآخران يظهر من كلامهما واضحاً ، أنه لم تحصل ثمت زلزلة .

ثم يقول الأول : إنهما حين جاءتا إلى القبر ،نزل ملاك الرب أمامهما ودحرج الحجر وجلس عليه ، **ويقول الثانى** : إنهن وجدن الحجر موضوعاً على القبر فقلن لأنفسهن من يدحرج الحجر فرأين الحجر قد دُحْرِجَ .

ويقول الثالث : إنهن أقبلن على القبر فوجدن الحجر مدحرجاً من قبل .

ثم يقول الأول : إن ملاك الرب جلسْ على الحجر ، **ويقول الثانى** : إنه كان جالساً فى القبر على اليمين **ويقول الثالث** : إنهن لقين رجلين فى القبر بثياب براقة .

ثم يقول مرقص : إن مريم ومريم وسالومة ذهبن إلى القبر إذ طلعت الشمس ، ويقول يوحنا : إنه لم تكن إلَّا امرأة واحدة هى مريم المجدلية وقد أتت « إلى القبر باكراً والظلام باق » (يو ٢٠ : ١) .

ولأذكر بعد ذلك **ما قال يوحنا** ، لترى كيف يخالفهم هو الآخر مخالفة فائقة إذ يقول : « وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق ، فنظرت مرفوعاً عن القبر ، فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه ، وقالت أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه » « أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى وفيما

هى تبكى انحنت إلى القبر فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً فقالا لها : يا امرأة لماذا تبكين » (يو ٢٠) .

يزعم المسيحيون : أن الله هو الذى روى هذا التناقض .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

(ط) الخلاف فى رؤية المسيح بعد ذلك :

يقول (متى ٢٨) : إن ملكاً لاق المرأتين وأخبرهما أن المسيح قام من الأموات « فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبر التلاميذ ، وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال : سلام لكما ، فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له فقال لهما يسوع : لا تخافا اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجبل وهناك يروننى » .

ويقول لوقا : إن ملكين قابلا النساء ، وذكراهن بقول المسيح أنه سيقوم فرجعن من القبر وأخبرن التلاميذ فلم يصدقوهن ، وحسب هذه الرواية لم يقابلن المسيح مطلقاً .

ويختلف يوحنا فى الرواية كذلك ، فيقول : إن المرأة قابلت المسيح أثناء وجودها مع الملكين عند القبر ، وأنه قال لهما : « قولى لهم أنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلٰهى وإلٰهكم » .

هذه بعض أمثلة أضربها للتناقض الشائن بين الأناجيل ، ويضيق بى المقام إذا حاولت ذكرها جميعها ، فأترك للقارئ الرجوع بنفسه إلى تلك الكتب المشار إليها .

---

(١) البقرة : ٧٩ .

إثبات أن المصلوب غير المسيح قطعاً

تمهيد :

وقبل أن نسير فى إثبات كون المصلوب غير المسيح ، يجب أولاً أن ننتهى إلى أحد أمرين ، فإما أن نقول إن الله تعالى هو الذى روى هذه القصة فننسب إليه الخطأ[1] والاختلاف والتناقض وهو محال ، أو نسلم بكون هذه القصة

(١)ومن أمثلة الغلط ما جاء فى متى ٢٧ : ٥٢ (وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسيين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين) قال العلامة رحمه الله الهندى ما نصه : ويدل على كذب هذا وجوه (الأول) أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس فى اليوم الثانى من الصلب قائلين يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال فى حياته إنى أقوم بعد ثلاثة أيام فمر الحارسين أن يضبطوا القبر إلى اليوم الثالث وقد صرح متى فى هذا الباب أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضيين بقتله فلو ظهرت هذه الأمور ما كان يمكن لهم أن يذهبوا إليه والحال أن حجاب الهيكل منشق والصخور متشققة والقبور مفتوحة والأموات حية إلى هذا الحين وأن يقولوا إنه كان مضلاً لأنه لما كان غير راض من أول الوهلة ورأى هذه الأمور أيضاً لصار عدواً لهم وكذبهم وكذا كان ألوف من الناس يكذبونهم .

(الثانى) إن هذه الأمور آيات عظيمة ولو ظهرت لآمنَ كثيرٌمن الروم واليهود على ما جرت به العادة ، ألا ترى أنه لما نزل روح القدس على الحواريين ، وتكلموا بألسنة مختلفة فعجب الناس وآمن نحو ثلاثة آلاف رجل كما هو مصرح فى الباب الثانى من كتاب الأعمال ؟ وهذه الأمور أعظم من حصول القدرة على التكلم بألسنة مختلفة .

(الثالث) إن هذه الأمور العظيمة لما كانت ظاهرة ومشهورة يستبعد ألا يكتبها أحد من مؤرخى هذ الوقت غير متى ، وكذا لا يكتب أحد من مؤرخى الزمان المذكور وإن امتنع المخالف عن تحريرها لأجل سوء الديانة والعناد فلابد أن يكتب الموافقون سيما وأن لوقا الذى هو أحرص الناس فى تحرير العجائب وكان متتبعاً بجميع الأمور التى فعلها عيسى عليه السلام كما يُعْلَمُ من الباب الأول من إنجيله والباب الأول من كتاب الأعمال وكيف يتصور أن يكتب الإنجيليون كلهم أو أكثرهم الحالات التى ليست بعجائب ولا يكتب سائر الإنجيليين ولا أكثرهم هذه الأمور العجيبة كلها ، ويكتب مرقص ولوقا انشقاق الحجاب ، ويتركان الأمور الباقية .

(الرابع) إن الحجاب كان كتانياً فى غاية اللين ، فما معنى انشقاقه من هذه الصدمة من فوق إلى أسفل ؟ ولو انشق مع كونه كما ذكرنا فكيف يبقى بناء الهيكل و لم يتهدم ؟ وهذا الوجه مشترك الورود فى الأناجيل الثلاثة .

(الخامس) إن قيام كثير من أجساد القديسيين مناقض لكلام بولس ، فإنه صَرّح بأن =

ما رواها إلَّا أناس عاديون ، لم يروا شيئاً ، بل كثيراً ما سمعوا من عامة اليهود ، الذين كانوا وحدهم حاضرين واقعة الصلب ، وأنهم دَوَّنوا ما وصل إليهم من المتناقضات بأمانة بدون فحص أو تدقيق ، وهو الأقرب إلى المعقول ، والذى لا يمكن أن يكون سواه .

إنه لا جدال هنالك مطلقاً فى كون المسيح لم يكتب حادثة الصلب وأنه لا يمكن أن يكون فى إنجيله الذى سلمه ، أو علم به أثناء إقامته ، فيه شىء مما حدث بعد صلبه ، إن سلمنا به جدلاً ، فكيف تتأتى نسبة هذه الحكاية لله تعالى ، وادعاء أن هذه الرواية من بعض إنجيل المسيح ؟

إن ما سقناه من الأخطاء والمتناقضات وسائر الاختلافات ، لم نُرِدْ به إلَّا إثبات وجود الشك فى رواية الصلب ، وإننا إذا أضفنا إلى ذلك عدم وصول نبأ الصلب إلينا بالتواتر(*)، وضح لنا وجوب بحث هذه الحكاية ، واستخلاص الحقيقة منها .

إن شرط التواتر هو استواء الطرفين فيه والواسطة ، وذلك أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير عن الذين شاهدوا المشهود به وهو هنا المصلوب ، وعلموا به ضرورة ، حتى إذا اختل شىء من ذلك فلا تواتر مطلقاً .

إن عندنا من الأسباب ، بل وفى الأناجيل الأربعة من البيانات ما يظهر لنا الكهنة وقد عملوا على القبض على أحد العامة ، لامتناع المسيح عليهم ، وفراره منهم ، وصلبوه وهم يعتقدون أنه غير المسيح ، وأنهم تواطئوا على الكذب ليدعوا الظفر ، وليوهموا الناس أنهم قدروا على عدوهم وظفروا

= عيسى أول القائمين وباكورة الراقدين :

وقال نورتين أن حكاية متى كاذبة وقال (لعل أحداً كتب فى حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى وأدخلها الكُتَّابُ فى المتْن وهذا المتن وقع فى يد المترجم فترجمها على حسبه) .

* التواتر موجود ، ولكنه متناقض ، والشك لا يُعوَّل عليه لمن يريد بلوغ اليقين . إن ما يمكن أن نستخلصه دون ريب هو أن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب . وهذا بحد ذاته كاف ليصح قول القرآن الكريم : ﴿ **ما قتلوه وما صلبوه** ﴾ وهو بالطبع صحيح إذ أن القرآن هو « القصص الحق » . وفى هذه الحالة يعنى قوله تعالى ﴿ **ولكن شُبِّه لهم** ﴾ أن الأمر ، أمر « موته » أو بقائه حياً قد اختلط عليهم . ويلزم التنويه أن هذا التفسير جديد تماماً .

بخصمهم ، مع اتخاذهم الخطة الحازمة ، واستعدادهم الاستعداد الكافى وإنك لتستطيع تقدير ذلك مما يلى :

أولاً – تروى الأناجيل إن المسيح حين ذهب الناس للقبض عليه كان فى عدد قليل من تلاميذه ، حتى إذا ما هاجمه الذين أرسلوا للقبض عليه « تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (متى ٢٦ : ٥٦) .

وعلى ذلك لا يعلم المسيحيون من هو الذى قبض عليه ، ومن هو الذى فى أيدى الجند ، ولا تعبر شهادتهم لغيابهم كما قدمنا .

ثانياً – تروى الأناجيل أن اليهود لم يستطيعوا القبض على المسيح نهاراً خوفاً من أتباعه ، فأخذوه ليلاً عند افتراق الناس عند الفصح .

ثالثاً – لم يصلب المقبوض عليه فى المكان المعد للصلب ، بل صلب فى مكان معزول غير مطروق ، وهو بستان فخارى اشتروه خاصة لذلك (متى ٢٧ : ٧) .

رابعاً – وأنهم لم يتركوا المصلوب غير ست ساعات من النهار ، وقد اهتموا بإخفائه بهذه السرعة ، وادعوا أن أتباعه هم الذين سرقوه .

فنرى أننا نستطيع أن نستخلص من ذلك أن اليهود ما قبضوا على ابن مريم أو صلبوه ، بل المصلوب سواه ، وذلك مع علم رؤسائهم بذلك ، وتيقنهم أن المسيح امتنع عليهم ، وأن الله تعالى قد عماهم عنه .

ولو أن بعض الأفراد من رؤساء اليهود كانوا يعلمون الحقيقة ، إلا أنهم كما قلنا أخفوها عن عامتهم ، حتى لا يظهروا بمظهر العاجز الضعيف ، فتنقض سلطتهم ، وتقل ثقة الناس بهم .

ومادام الأمر خفى على عامة اليهود وأكثر خاصتهم ، فلا شك أن المسيحيين

﴿ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ (١)

---

(١) سورة النساء : ١٥٧ .

وأنهم ما آمنوا إلَّا بما أذاعته اليهود ، وصدقوا كل ما قالوه لهم .

ولا أرى هنالك ثمت شك فى كون الله تعالى ألقى شبه المسيح على سواه ، وظهر ابن مريم بصورة مخالفة حتى بدا غريباً على أصحابه المقربين فسُلِّمَ وقتل اليهود الشَّبَهَ ، وأثبت الدليل القطعى على ذلك فيما يلى :

أولاً – ثبوت تغير شكل المسيح وهيئته :

لقد ثبت فى كتبهم أن المسيح تغير شكله ، وتبدلت هيئته حتى خفى عن أتباعه ، وتعذرت معرفته على أصحابه ، فمن ذلك ماروى يوحنا من أن مريم المجدلية « التفتت إلى الوراء ، فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع ، قال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين ، فظنت تلك أنه البستانى فقالت له : يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه »[1]

(يوحنا ٢٠ : ١٤ و ١٥) .

فانظر كيف لم تعرف مريم المسيح ، وقد كانت من أحب النساء إليه ، (يوحنا ١١ : ١ و ٥)[2] وهى التى دهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها (يو ١٢ : ٣) وهى نفسها الزانية التى أحضرها رؤساء اليهود متلبسة بجريمتها ، فلم يُقِمْ عليها الحد وأحبها كما ذكرت .

وكان كذلك من تغير شكل المسيح ، ما جعله يخفى على أخص أصحابه وتلاميذه ، فقد جاء فى يوحنا (٢١ : ١ و ٧) أن المسيح أظهر نفسه للتلاميذ فلم يعرفوه « ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطىء ، ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع ، فقال لهم يسوع أيا غلمان ألعل عندكم إداماً ؟ أجابوا : لا ، فقال لهم ألقوا الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن فتجدوا ، فألقوا

---

(١) انظر كيف حسبته مريم بستانياً وذلك لهيئته الظاهرة طبعاً ، مما يظهر به البستانى عادة من كونه حافى القدمين رث الثياب ... إلخ .

(٢) (وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر) يو ١١ : ٥ وكان المسيح يحب كذلك أحد تلاميذه ، يقول يوحنا ٢٣ : ٢٣ (وكان متكئاً فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه) وقوله (فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له يا سيد من هو) إن المسيح بداهة يحب الأنقى فهل هؤلاء أنقى من بطرس ؟

ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك ، فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس هو الرب – أى أنه لم يعرفه بشكله بل بالمعجزة – فلما سمع سمعان بطرس إنه الرب ائتزر بثوبه لأنه كان عرياناً وألقى نفسه فى البحر » .

وقد روى لوقا كذلك كيف تغيرت هيئة المسيح قبل حادثة الصلب فقال يحكي عن المسيح : « وفيما هو يصلى صارت هيئة وجهه متغيرة ولباسه مبيضاً لامعاً وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا .. إلخ » (لوقا ٩ : ٢٩) .

وقال (متى ١٧ : ١ و ٢) « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه ، وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم » .

ويثبت كذلك تغير شكل المسيح قول مرقص عنه « وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية ، وذهب هذا وأخبر الباقين فلم يصدقوا ولا هذين » (مر ١٦ : ١٢) .

ثانياً – ثبوت عدم القبض على المسيح :

جاء فى يوحنا فى الأصحاح الثامن عشر ، ما يمكن أن نأخذ منه امتناع المسيح على من أرادوا القبض عليه ، وذلك قوله « فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم : من تطلبون أجابوه : يسوع الناصرى ، فقال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مسلمه واقفاً أيضاً معهم ، فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء ، وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضاً : من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصرى أجاب يسوع : قد قلت لكم أنا هو فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون » .

فانظر كيف كانت المعجزة فى سقوطهم على الأرض حين قال لهم إنه هو المسيح ، وإذا رأينا يوحنا يذكر بعدها أنهم قبضوا عليه فذلك طبعاً حسب زَعْمِه ، وقد ذكرنا من قبل أن إنجيل يوحنا دُوِّنَ بَعْدَ زمن المسيح بسنين عديدة ، ونضيف إلى ذلك أن رواية الصلب لا يمكن أن تكون من الإنجيل ،

لأن الإنجيل هو ما قاله المسيح فى حياته ، وابن مريم لم يَرْوِ طبعاً حادثة صلب نفسه .

ويثبت لدينا امتناعَ المسيح على أعدائه ، قَوْلُ يوحنا نفسه عن المسيح « وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ، ولكن لم يُلْقِ أحدٌ عليه الأيادى » (يو ٧ : ٤٤) أى أنهم لم يقبضوا عليه .

وقد شهد المسيح بنفسه أن اليهود لم يستطيعوا أن يقبضوا عليه ويأسروه ، بل لقد أعلن قائلاً أنه غلبهم جميعاً فقد جاء فى (يوحنا ١٦ : ٣٣) « ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » فهل يمكن لعاقل أن يفسر قوله أنه غلب العالم ، أى أن اليهود قبضوا عليه وصفعه خادم على خده (يو ١٨ : ٢٢) ووضعوا على رأسه إكليلاً من الشوك ، وكانوا يستهزءون به قائلين « يا ملك اليهود وكانوا يلطمونه » (يو ١٩ : ٣) وأنه طعن فى جنبه (يو ١٩ : ٣٤) وكانوا يسخرون به (لو ٢٣ : ٢٥) وأنه صُلِبَ مع مُجْرِمَيْن كانا يَسبَّانه ويلعنانه ويُجَدِّفان عليه (مر ١٥ : ٢٧) وأنهم عذبوه وسقوه خلاً (مر ١٥ : ٣٦) وبصقوا عليه وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه (متى ٢٧ : ٣٠) .. إلخ إلخ .

ثالثاً – ثبوت براءة يهوذا من خيانة المسيح :

يقول المسيحيون أن يهوذا أحد حوارى المسيح ، خان ابن مريم ، واستأجرته اليهود ليدلهم عليه ، وأنْقَدْتْهُ على ذلك ثلاثين فضة[1] كما سيأتى بعد ، ولكن الذى يطلع على كتبهم ، يتبين له منها أن هذا العمل محال أن يصدر عن يهوذا نحو المسيح ، وإلّا نسبنا للمسيح الجهل واتهمناه بالكذب .

وإن فى تناقض الرواية عن يهوذا واختلافهم فى الحكاية عنه ، ما يساعد على الاهتداء إلى كون مسألة التسليم لم يحكى أحد كاتبى الأناجيل عن يقين ، وأنها محض حَدْسٍ وتخمين .

---

(١) يستهزىء الأقباط بيهوذا ويعيرونه ، لما هو شائع بين المسيحيين من تسليم يهوذا للمسيح ، وذلك بقولهم (يوادس يوداس يا مطاطى الرأس باع سيده بثلاثين فضة نحاس) وذلك فى خميس العهد .

ولأضرب لك مثلاً مما اختلفت فيه كتبهم بشأن يهوذا ، فقد ذكر أن يهوذا بعد أن ندم على تسليم المسيح « مضى وخنق نفسه » (متى ٢٧ : ٥) ويذكر كتابهم « أعمال الرسل » أن يهوذا لم يخنق نفسه ، بل « سقط على وجهه فانشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها » (أعمال ١ : ١٨) ، وخالف « أعمال الرسل » كذلك متى فلم يذكر أن يهوذا ندم على تسليم المسيح .

بل وهنالك تناقض غريب كذلك فى الروايتين ، فقد ذكر الثانى أن يهوذا أخذ نقوداً من اليهود أجْرَ تسليم المسيح ، وأنه اشترى به حقلاً . « وصار معلوماً عند جميع سكان أورشليم ، حتى دُعِىَ ذلك الحقلُ فى لغتهم حقل دماً أى حقل دم » (أعمال ١ : ١٨ و ١٩) .

ويناقض هذا القول متى فيشهد أن يهوذا « ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً : قد أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً . فقالوا : ماذا علينا أنت أبْصرُ . فطَرَحَ الفضَّةَ فى الهيكل وانصرف » . « فأخذ رؤساء الكهنة الفضة . وقالوا : لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لأنها ثمن دم فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخارى مقبرةً للغرباء » (متى ٢٧ : ٣ – ٧) .

أما كَوْنُ يهوذا لا يمكن أن يُسلم المسيح أو يخونه ، فإنى أبرهن عليه من شهادة كتبهم ، ومن شهادة ابن مريم نفسه فيها ، ولا يمكن إنكارُ أحدِ المسيحيين قَوْلَ المسيح ، أو تكذيب كلامه الصريح الذى لا يتسع لتأويل . وسنرى أن الأقرب للعقل والصواب ، أن يهوذا خدع اليهود ، وأوهمهم أن المصلوب هو المسيح .

لقد كان يهوذا أحد حوارى المسيح وأحبائه ، بل لقد كان يهوذا أحد الاثنى عشر تلميذاً الذين مدحهم المسيح أعظم مدح ، ووعدهم بالجلوس على كراسى العظمة والمجد ، فقد ذكر متى (١٩ : ٢٨) قول يسوع « الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر » .

ويهوذا كذلك هو أَحَدُ الاثنى عشر الذين دعاهم المسيح « وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف »
(متى ١٠ : ١) .

ويقول متى بعد أن ذكر الاثنى عشر تلميذاً بأسمائهم ، ومنهم يهوذا « هؤلاء الاثنى عشر أَرْسَلَهُمْ يسوع وأوصاهم قائلاً إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات . اشفوا مرضاً طهروا برصا أقيموا موتى أخرجوا شياطين ... الخ »
(متى ١٠ :٥) .

إن يهوذا هذا الذى أعطاه المسيح كل هذا السلطان ، يدعون أنه مات مرتداً كافراً منافقاً ، وأنه خان المسيح وسَلَّمَهُ ، وذلك بالرغم من شهادة المسيح له ، أنه سيكون معه هو والحواريون فى الجنة فى الآخرة ..

إن الذى روى حكاية تسليم يهوذا للمسيح ، حَسِبَ أن يهوذا أسلمه حقيقة فرواها حسب ظنه ، ولم يدر أن يهوذا غسل المسيحُ رِجْلَه ، مع باق التلاميذ وقال : « الذى اغتسل ليس له حاجة إلَّا إلى غسل رجليه بل هو طاهر كله » (يو ١٣ : ١٠) فشهد بذلك أن يهوذا طاهر كله[1].

رابعاً – المسيح لم يقم من الأموات :

يدَّعى المسيحيون أن المسيح عليه السلام قُتِلَ وصُلِبَ ودُفِنَ ، ثم قام بعد ذلك من القبر ، ولكن فى كتبهم الدليل القطعى على فساد هذا الزعم ، فقد جاء فى سفر (أيوب ٧ : ٩) « السحاب يضمحل ويزول ، هكذا الذى ينزل إلى الهاوية لا يصعد » أى أن القانون السماوى ، هو أن الذى يموت لا يقوم ثانياً . بل إن ثبوت وجود المسيح بعد واقعة الصلب لمِمَّا يثبت أن المصلوب سواه .

ولقد ثبت كذلك فى كتبهم أن المسيح أخبرهم أنه إذا ذهب فسوف

---

(١) إن كان هنالك استثناء بعد ذلك فظاهر أنه تحريف بالزيادة وقد أثبتنا ذلك فى أوائل هذا الكتاب .

لا يَرَوْنَه ، وذلك قوله لهم « لأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضاً »
(يوحنا ١٦ : ١) .

فقولهم أن المسيح قام ، يخالف قوله بداهة ، وإلَّا فانظر إلى شهادته وتأكيده فى قوله « الحق الحق أقول لكم أنكم لا تروننى حتى يأتى وقت تقولون فيه مبارك الآتى باسم الرب » (لوقا ١٣ : ٥) .

خامساً : تنبؤ المسيح أنه سيشبه لهم وأنه سيرفع :

لقد علم المسيح أنهم سيشكون فى كون المصلوب غيره ، وقد أخبره تعالى أنه سيرفعه إليه ، وأنه لن يمكن منه أحداً من أعدائه ، ولذلك قال المسيح لأتباعه قبل حادثة الصلب « إن كلكم تشكون فى هذه الليلة » (مرقص ١٤ : ٢٧) . وهذا ما حدث فعلاً ، فقد شك فيه المسيحيون ، وحسبوا أنه هو الذى صُلِبَ(*).

وانظر بعد ذلك فى وعد المسيح بفوز من يعرف الحق ، ولا يعثر فيه ، أليس ذلك معنى قوله « طوبى لمن لا يعثر فىّ » (متى ١١ : ٦) .

ويدل على رَفْعِ المسيح قَوْلُه « أما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى ، وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى » (يو ١٦ : ٥) ، ويدل عليه كذلك قوله « خرجت من عند الآب وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب »
(يو ١٦ : ٢٨) .

وإنك لترى هذا القول لا يدل مطلقاً على كونه سيُطْلَبُ ويُقْهَرُ ، بل الظاهر فيه أنه يتنبأ برفْعِه ، وترى أظهر من ذلك قوله لليهود الذين أتوا ليمسكوه « أنا معكم زماناً يسيراً ثم أمضى إلى الذى أرسلنى ، ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » (يو ٧ : ٣٣) .

وبجانب ذلك فإنه قوله « ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » فظاهر معناه أنه لم يذهب ليُصْلَبَ أو أنه دُفِنَ فإن

---

* لنا فى مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه رأى أقرب إلى الحقيقة وإلى البساطة وإلى الوضوح . الصلب يعنى القتل صلبا ، كما أن الشنق يعنى القتل شنقا ، والإغراق يعنى القتل بالإبقاء تحت سطح الماء . ولو وضع أناس شخصاً تحت سطح الماء ولم يمت يمكن القول بأنهم « ما قتلوه وما أغرقوه » . (المراجع) .

مصير كل حي ذلك ، ولو عنى بذلك قوله أن سيموت ويدفن ، لاعتبرنا ذلك القول جذافاً ، حسب ما قلنا ، ثم انظر إلى قول المسيح صراحة ، وتَنَبؤُهُ أن اليهود سيطلبونه ولا يجدونه ، وذلك لعلمه أن سيُرْفَعُ ويذهب إلى حيث يعلم ربه[1].

وانظر كذلك إلى قول المسيح لبطرس « حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعني ولكن ستتبعني أخيراً » (يو ١٣ : ٣٦) ، وحقيقته أن أحداً لا يستطيع أن يرفع إذ أن المسيح هو الذى اختُصَّ بالرفع .

سادساً – ثبوت كَوْنِ المصلوب غير المسيح قطعاً :

وسأذكر هنا الأدلة القاطعة التى تثبت كَوْن المصلوب لا يمكن أن يكون هو المسيح :

(أ) المصلوب ملعون والمسيح لا تليق به اللعنة :

شهدت التوراة أن المصلوب ملعون من الله ، وذلك قولها « لأن المعلق ملعون من الله » (تثنية ٢١ : ٢٣) والمسيحيون يدعون أن المسيح طَلَبَ الصَّلْبَ وقَبِلَ اللعنةَ من أجلهم .[2]

ومن الغريب أنهم يدعون أن المسيح هو الله ، فهل يلعن الله نفسه !! واللعن كما هو معروف هو الطرد من رحمة الله .
وحيث أنه غير جائز قطعا أن يكون المسيح ملعوناً ، فالمعلق لاشك سواه .

---

(١) يلاحظ أن المسيح لو كان صلب حقيقة لتنبأ لهم بذلك .

(٢) الحقيقة أنه لا علاقة بين القول الذى ذكرناه من سفر التثنية ودعوى المسيحيين بأن المسيح قبل اللعنة من أجلهم أو أن ذلك تنبؤ بحادثة الصلب .

بل الحقيقة أن شريعة موسى تقضى بأن المصلوب لابد أن يدفن فى يومه ، لأنه ملعون ، ولا علاقة للمسيح بذلك ، وهذا هو نص التوراة (وإذا كان على إنسان خطية حقها الموت فقُتِلَ وعلَّقته على خشبة ، فلا تُبِتْ جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم . لأن المعلق ملعون من الله ، فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً) تثنية ٢١ .

(ب) بطرس يحلف أنه لا يعرف المصلوب :

يروون أن بطرس رئيس الحواريين ، كان يحلف أنه لا يعرف المصلوب فقد سألته امرأة عن المقبوض عليه « فأنكر أيضاً بقسم إنى لست أعرف الرجل ، وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم ، فإن لغتك تظهرك فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنى لا أعرف الرجل »
(متى ٢٦ : ٧٢) .

ولا يستطيع أن ينكر مسيحى أن بطرس رئيس الحواريين كان صادقاً حين أقسم أنه لا يعرف المصلوب ، وإننا نتهم بطرس باطلاً بعدم الإيمان إذا قلنا إن سيده يسوع ، يهان على الصليب وهو يتهرب ، ويخاف من الناس ويحلف كذباً ، مع ماله من السلطة العظيمة التى أعطاها إياه المسيح ، من استطاعته نقل الجبال من أماكنها ، وعمل المستحيلات ، كما بينا فى معجزات التلاميذ فى المبحث الأول من هذا الكتاب ، حتى بلغ مقدار قدرته أنه كان يقول لأى امرىء مت فيموت (راجع أعمال الأصحاح الخامس)[1] ... إلخ .

(١) تروى الأناجيل عن بطرس أنه سئل هل كان مع يسوع ، فأنكر . وتتناقض أناجيلهم الأربعة فى سرد هذه الرواية تناقضاً غريباً ، أبينه فيما يلى :

(أولاً) تناقض فى شأن من ادعى على بطرس أنه مع يسوع فيقول متى (٢٦) أنهم جاريتان والرجال القيام ، ويقول مرقص (١٤) أنهم جارية والرجال القيام ، ويقول لوقا (٢٢) أنهم جارية ورجلان .

(ثانياً) تتناقض فى تعيين المكان الذى كان فيه بطرس حين حصل هذا الاتهام فيقول متى أن بطرس كان جالساً خارج الدار ، ويقول مرقص بل فى أسفل الدار ، ويقول لوقا بل فى وسط الدار ، ويقول يوحنا بل عند الباب خارجاً .

(ثالثاً) يذكر ... أن بطرس أنكر ثلاث مرات قبل صياح الديك مرة واحدة . ويذكر مرقص أنه أنكر مرة قبل صياح الديك مرة ، ثم أنكر مرتين قبل صياح الديك مرة أخرى .

(رابعاً) يروى متى أن المسيح قال لبطرس قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات ويروى متى قوله قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات .

(خامساً) يروى متى أن جواب بطرس للسؤال الأول كان (لست أدرى ما تقولين) ويقول مرقص (لست أدرى ولا أفهم ما تقولين) ويقول لوقا (لست أعرف يا امرأة) .

(سادساً) يختلفون كذلك فى نوع ما سئل به بطرس .

(سابعاً) يختلف كل من متى ومرقص ولوقا ويوحنا فى جواب بطرس على السؤال الثانى .

(ثامناً) يختلفون على المكان الذى كان فيه القيام .

ومن يقرأ هذه الحكاية فى يوحنا ١٨ : ١٥ ، ٢٧ يجدها مخالفة مخالفة غريبة لرواية الآخرين .

وبما أن بطرس لا يجوز مطلقاً أن يحلف كذباً لأنه يعتبر أعظم مسيحى أنجبته المسيحية ، فهو إذن صادق ، و يكون المصلوب لا يعرفه بطرس ، ولزم أن يكون غير المسيح .

(جـ) المصلوب أنكر أنه المسيح :

لقد جاء فى كتبهم أن رئيس الكهنة سأل المصلوب قبل تنفيذ الحكم « وقال له استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله . قال له يسوع أنت قلت » (متى ٢٦ : ٦٣) .

إن قول المصلوب (أنت قلت) إنكار لاشك فيه ، ولو كان كما يزعمون هو المسيح ، لما وسعه إلَّا الجواب الصريح ، سيما ورئيس الكهنة يستحلف بالله ، فهل لا يأبه المسيح بالله العظيم ؟! .

إن إنكار المصلوب كونه المسيح بعد القسم عليه ، لدليل لاشك فيه فى كونه غيره .[1]

(د) هل يتهم نبِىٌّ نبياً – بله ربه – بالتخريف ويحكم عليه بالصلب :

يقولون إن (قيافا) رئيس الكهنة كان نبياً (يوحنا ١١ : ٤٩ – ٥١)[2].. فكيف يهين النبى ابنَ مريم ، ويتهمه بالتخريف ، ويدع الناس ليبصقوا فى وجهه ، ويلكموه ، ويلطموه ويستهزئون به « قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ » (متى ٢٦ : ٦٥ – ٦٨)[3].

---

(١) كانت إجابة المصلوب للوالى بيلاطس هى نفس إجابته لحنانيا رئيس الكهنة بل لقد ألح عليه الوالى قائلاً (أما تسمع كم يشهدون عليك فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جداً) متى ٢٧ : ١٣ .

(٢) (فقال لهم واحد منهم وهو قيافا كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة أنتم لستم تعرفون شيئاً ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها و لم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة) .

(٣) حين أنكر المصلوب أنه المسيح (مزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جدف ما حاجتنا بعد إلى شهود ، هاقد سمعتم تجديفه ماذا ترون ، فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه وآخرون لطموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك) .

(هـ) الأشرار يكونون كفارة لخطايا الأبرار :

جاء فى أمثال (٢١ : ١٨) « الأشرار يكونون كفارة لخطايا الأبرار » فلا يمكن بذلك أن يكون المسيح كفارة لخطايا الأبرار من الأنبياء والمرسلين فيصبح شريراً .

سابعاً – ثبوت أن المدفون هو غير المسيح :

لقد ذهب كاتبو الأناجيل إلى سرد قصة الصلب بهذا التفكك والانحلال ، وذلك رواية كما قلنا عن العامة من اليهود ، أو عن الذين حضروا الصلب ، واستمرت الإشاعة حتى قُدِّسَتْ واعتبرها المتأخرون من أصول الإيمان .

وتجدهم يستدلون على دفن المسيح ، مما نسبوه إليه من قوله للكتبة والفريسيين عندما سألوه أن يأتى لهم بمعجزة « جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلَّا آية يونان النبى لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » (متى ١٢ : ٣٩ و ٤٠) .

ويقولون أنه يعنى بذلك دفنه ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وخروجه بعدها معجزة لهم كمعجزة يونان (يونس) إذ لبث فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ويفسره ما جاء فى (متى ٢٧ : ٦٣) « أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم »[1].

ولكننا نقول إن الإشارة إلى معجزة يونان النبى لم تكن كروايتهم أو على الأقل لا يقصد المسيح أن يشير بها إلى دفنه مطلقاً ، إذ أننا لو راجعنا الأناجيل لا نجد فى روايتهم أن المصلوب دفن ثلاثة أيام وثلاث ليال ، بل يؤخذ من كتبهم أنه ما مكث فى قبرى سوى يوم واحد وليلتين .

فقد جاء فى يوحنا (١٩) أنه صلب قريباً من نصف نهار يوم الجمعة

---

(١) والحديث كله هو (وفى الغد الذى بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين : يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم ، فمُرْ بضبطِ القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى ، فقال لهم بيلاطس : عندكم حراس اذهبوا واضبطوه كما تعلمون . فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر) متى ٢٧ : ٦٢ – ٦٦ .

وذكر مرقص (١٥ : ٣٤) أنه مات الساعة التاسعة ، وأنه فى مساء اليوم نفسه طلب يوسف من بيلاطس أن يسمح له بدفنه (مرقص ١٥ : ٤٢ - ٤٦) فدفن صباح السبت ، ويقول يوحنا (٢٠ : ١) أن المصلوب غاب عن القبر قبل طلوع شمس يوم الأحد . وبذلك مكث المدفون فى قبره يوماً وليلتين ، لا ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ويكون الاستدلال بآية يونان بدفن المسيح باطلاً .

ثامناً - الخلاصة وثبوت رفع المسيح :

وهكذا ترى التناقض الغريب فى حكاية الصلب(*). وإن الاختلاف الشديد فى رواية كل من متى ومرقص ولوقا ويوحنا فى رواية هذه الحادثة ، يجعل ناشد الحقيقة يشك فى أقوالهم جملة ، ويَوَدُّ لو يُبَرِّئ ابن مريم مما ينسبونه للمصلوب من الضعف ، والعجز ، واليأس ، وخور العزيمة ، بل لا يكاد أحد يتصور أن المسيح الذى كان يصوم ويتحمل الصبر عن المأكل والمشرب ، ويقضى الأسابيع لا ينال فتات العيش ، يملكه الظمأ وهو على خشبة الصليب ، ويطلب من أعدائه أن يسقوه (يو ١٩ : ٢٨) وهو الذى طالما كان يقول « أن لى خبزاً لستم تعرفونه » وأن الله يطعمه ويسقيه .

ولقد أتينا بالأدلة القاطعة التى تثبت أن المصلوب هو غير المسيح ، وإن وقوع الشبه على غير ابن مريم ، لهو أقرب إلى العقل من وقوع شبه الله - الذى ليس كمثله شىء - على أحد من عباده . وكيف يدعون أن المسيح سلم نفسه لأعدائه ليُهان تلك الإهانة التى بَيَّنَّاها ، مع كَوْن كُتُبهم تُثْبِتُ أن المصلوب كان مُرْغماً ، لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، حتى كان يصيح على الصليب قائلاً «إلهى إلهى لماذا تركتنى » . وإنْ أصَرَّ مُتَعَنِّتٌ على كون المصلوب هو المسيح ، بعد إيراد كل هذه الأدلة القاطعة ، وادعى أن شرط دخول الجنة هو الإيمان بصلب المسيح ، فإنى أتحدى مدعى ذلك بقولى له إن شرط الإيمان هو قول إنجيل مرقص « وهذه الآيات تتبع المؤمنين يخرجون الشياطين باسمى ويتكلمون بألسنة جديدة يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ،

* حسب رواية الأناجيل بحالتها الراهنة . (المراجع) .

ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون[1] (مرقص ١٦ : ١٧ و ١٨) .

فمن من الذين يؤمنون بالصلب ، يتاح له فعل ذلك ، إن الذى يدعى أنه مؤمن ، وأن المصلوب هو المسيح ، لزمه عمل المعجزات ، وإلّا فإيمانه إنما هو إيمان باطل ، والمصلوب هو غير ابن مريم عليهما السلام ، بل لقد ثبت فى الأناجيل أن المسيح رآه تلاميذه بعد حادثة الصلب ، وكان ذلك بهيئة أخرى غير هيئته الأولى ، كما قدمنا ولقد ثبت كذلك رفعه[*] إلى السماء يقول (لوقا ٢٤ : ٥٠ و ٥١) . « وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم واصعد إلى السماء »[2].

وهو كقوله تعالى عنه عليه السلام :

﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[3]

★ □ ★ □ ★

---

(١) بل هنالك فى الأناجيل ذكر آيات أخر أكثر من هذه ، راجع ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) مثله ما جاء فى مرقص ١٦ : ١٩ (ثم إن الرب – أى السيد المسيح – ارتفع إلى السماء) .

(٣) النساء : ١٥٨ .

★ الصحيح أن الرفع رَفْعُ منزلة ومكانة والله أعلم . (المرجع) .

المبحث الخامس

المسيح في القرآن الكريم

قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[1]

---

(١) النساء : ١٧١ – ١٧٤ .

وقيل لعيسى (كلمة الله) و (كلمة منه) لأنه وجد بكلمته وأمره لا غير ، من غير واسطة أب ولا نطفة ، وقيل له (روح الله) و (روح منه) لذلك لأنه ذو روح وُجِدَ من غير جزء من ذى روح ، كالنطفة المنفصلة من الأب الحى ، وإنما اخترع اختراعاً من عند الله وقدرته خالصة ، ومعنى (ألقاها إلى مريم) أوصلها إليها وحَصَّلَها فيها[1] وقال البيضاوى (وروحٌ مِنْهُ) وذو روح صدر منه ، لا بتوسط ما يجرى مجرى الأصل والمادة . وقال أبو السعود (وكَلمتُهُ) أى مكون بكلمته وأمره الذى هو (كُنْ) من غير واسطة أب ولا نطفة .

وهكذا بَيَّنَ اللهُ تعالى حقيقةَ المسيح ، وأظهر أنه ما وُجِدَ إلا بكلمته التى هى (كن) وقال تعالى مبيناً ذلك :

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2]

بل إن عيسى عليه السلام كآدم من حيث كونه (روح الله) أى ذا روح صَدَرَ مِنَ الله سبحانه وتعالى ، ويُبَيِّنُ ذلك قوله تعالى فى حق آدم عليه السلام :

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾[3]

(١) للزمخشرى فى تفسيره الكشاف .   (٢) آل عمران : ٥٩ .
(٣) السجدة : ٩ .

وقوله :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴾ [1]

وبذلك سَمَّى اللهُ تعالى النَفْسَ الناطقة التى كانت لآدم (روحه) ، أى روحاً خلقه ، وسواء قولك المسيحُ روحُ اللهِ أو عَبْدُه ، فذلك كقولك هذا قلمى وهذا كتابى ، والحاصل أن القلم أو الكتاب مِلْكُكَ لا ذاتُكَ ، وقد جاء فى سفر حزقيال أن الله تعالى قال للموتى العديدين الذين أحياهم حزقيال بمعجزة « واجعل روحى فيكم فتحيون » (حز ٣٧ : ١٤) .

فإذا كانت الآلاف اللاتى أحياها حزقيال بأمر الله فيها (روح الله) فكذلك المسيح ابن مريم (روح منه) كأى شىء آخر خلقه سبحانه وتعالى ، ويبين ذلك قوله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [2]

وليست هذه بداهة جزءاً منه ، بل من خَلْقِه ، ووجودُها كان بكلمته التى هو (كُنْ) .

﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [3]

(١) الحجر : ٢٩ .   (٢) الجاثية : ١٣ .   (٣) آل عمران : ٤٧ .

وقد شاء الله أن يخلق ابن مريم من غير نطفة أب ، بغير سبب كآدم كما بينا ، وليجعله مثلاً لبنى إسرائيل ، وهو قوله تعالى :

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (١)

وإن خَلْقَ ابن مريم بغير نطفة رجل لمساوٍ فى الغرابة والإعجاز بث الحياة والنشاط فى شيخ وَهَنَ عَظْمُه وشاخ حتى اشتعل رأسه شيباً ، وتمكينه من مباشرة امرأة ضمرت أعضاؤها التناسلية ، وكانت عاقراً ، أى غير صالحة للانتاج فسيولوجياً أو جراحياً ، أو كلاهما جميعاً ، وتعقيبهما نسلاً كاملاً صحيحاً ، كأنه نتاج الفتوة والشباب .

إن تلك المعجزة الخارقة ، أظهرها الله تعالى فى زكريا إذ دعا ربه :

﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢)

وانظر كذلك إلى امرأة إبراهيم حين بشرتها رسل الله :

(١) الزخرف : ٥٩ .

(٢) آل عمران : ٣٨ - ٤٠ .

﴿ بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ (١)

ألست ترى تلك المعجزة مساوية لمعجزة خلق ابن مريم من غير نطفة ذكر ؟ انظر كيف يحيا الجهاز التناسلي لإبراهيم ليلقح زوجته ثم تأمل كيف يُرَدُّ إلى شبابه جهازُ امرأته حتى تضع إسحق عليه السلام .

بل إن مريم نفسها وُجِدَتْ بطريق المعجزة كذلك إذا حملت بها أمها بعد أن حبست عن الولد والمحيض(٢) قال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٣)

---

(١) هود : ٧١ - ٧٣ .

(٢) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن حنة امرأة عمران كانت حبست عن الولد والمحيض ، فبينا هي ذات يوم في ظل شجرة ، إذ نظرت إلى طير يزق فرخاً له فتحركت نفسها للولد ، فدعت الله تعالى أن يهب لها ذكراً ، فحاضت من ساعتها ، فلما طهرت أتاها زوجها ، فلما أيقنت بالولد قالت لئن نجاني الله تعالى ووضعت ما في بطني لأجعلنها محرراً ولم يكن يحرر في ذاك الزمان إلا الغلمان ، فقال لها زوجها أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى والأنثى عورة فكيف تصنعين فاغتمت لذلك ، فقالت عند ذاك (رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني) .

(٣) المؤمنون : ٥٠ .

وسنذكر فيما يلى مختصراً لما يختص بعيسى ابن مريم عليهما السلام فى القرآن الكريم لنختتم به هذا الكتاب :

امرأة عمران وحملها بمريم وولادتها وكفالة زكريا لها

قال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١)

زكريا وإنجابه يحيى

قال تعالى :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ

(١) آل عمران : ٣٥ - ٣٧ .

مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ
ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا
﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ
شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾
يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (١)

---

(١) مريم : ٢ - ١٥ .

مـريـم

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1]

حَمْلُ مَرْيَمَ بالمسيح ووِلادَتُه وكلامُه في المهْدِ

قال تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً

(١) آل عمران : ٤٢ – ٤٣ .

مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1]

(١) مريم: ١٦ - ٣٥.

معجزات المسيح

قال تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ

فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ (١)

تلاميذه

وعقب على ذلك تعالى بقوله :

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (٢)

صفات تلاميذه

قال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (٣)

---

(١) آل عمران : ٤٥ – ٥١ . (٢) آل عمران : ٥٢ – ٥٣ . (٣) الحديد : ٢٧ .

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1]

مدعو النصرانية

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2]

زيغانـــهم

قال تعالى :

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ

(١) آل عمران : ١٩٩ .

(٢) المائدة : ١٤ .

وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1]

التثليث

قال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]

تبرؤ المسيح

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ

(١) التوبة : ٣١ - ٣٢ .   (٢) المائدة : ٧٣ .

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1]

الإنجيل الحقيقي

قال تعالى لرسوله الكريم ﷺ :

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴾[2]

أغراض الإنجيل ورسالة المسيح

(أ) الاعتراف بالتوراة الحقيقية :

قال تعالى :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3]

---

(١) المائدة : ١١٦ - ١١٧ . (٢) فاطر : ٢٥ . (٣) المائدة : ٤٦ .

(ب) الدعوة إلى التوحيد الحقيقى ونبذ الإشراك :

قال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (١)

(جـ) نسْخُ بَعْضِ أحكام التوراة :

قال تعالى :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ ﴾ (٢)

(١) المائدة : ٧٢ .

(٢) آل عمران : ٤٨ – ٥٠

(د) إقامة أحكام الله وبيان ما اختلف فيه اليهود :

قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[1]

(هـ) التبشير بمحمد رسول الله ﷺ والقرآن الكريم :

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2]

تحريف التوراة والإنجيل

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[3]

---

(١) الزخرف : ٦٣ - ٦٤ . (٢) الصف : ٦ . (٣) آل عمران : ١٨٧ .

وقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾(١)

وقال تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(٢)

أهم ما فى التوراة والإنجيل الحقيقيين موجود فى القرآن

وكانت نتائج التحريف ما بَيَّنا فى هذا الكتاب من التناقض والاختلاف وتشويه معالم الدين الصحيح الذى أنزله الله تعالى والدعوة إلى التثليث إلى ما يتبع ذلك مما مَرَّ عليك آنِفاً .

ولقد جاء القرآن الكريم ، فحفظ كُلا من التوراة والإنجيل من الضياع ، وبَيَّنَ أهم ما فيها ، وأظهر ما أوْرَدُوهُ فيهما من الخلْطِ والتحريف .

وقد قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٣)

---

(١) النساء : ٤٤ . (٢) البقرة : ٧٩ . (٣) يوسف : ١١١ .

وقال :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

وقد بينت أغراض الإنجيل الحقيقى فى نمرة (١٣) فى هذا المبحث وأرى أن أضرب هنا مثلاً لخطأ نشأ من تحريف الإنجيل ، وهو عقيدة الأفخارستيا التى تكلمنا عنها فى القسم الثانى من المبحث الثالث ، وقد أورد القرآن حقيقتها فيما يلى :

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ

(١) النمل : ٧٦ - ٧٧ .

خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]

نفْىُ الصلْبِ ورَفْعُ المسيح وفَوْزُ متبعيه وهُمُ المسلمون

وأما نَفْىُ الصلْبِ ، ورَفْعُ المسيحِ ، فَقدْ وَضَّحْنَاهُ فى القسم الثانى من المبحث السابق ، وقد ذكَرْنا قوْلَه تعالى :

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴾[2]

وفى ذلك قال تعالى كذلك(*):

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) المائدة : ١١١ – ١١٥ ، ومما صححه القرآن الكريم سير الأنبياء والرسل عليهم السلام وتبرئتهم من الفواحش التى ينسبونها إليهم وتصحيح حكاية آدم وذكر ما حذف ونسى بمرور الزمن قال تعالى **﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به ﴾** .. إلخ إلخ مما تراه فى القرآن الكريم .

(٢) النساء : ١٥٧ .

* قوله تعالى : ﴿ **ومطهرك من الذين كفروا** ﴾ يجعل الرفع رفع منزلة ومكانة . (المراجع) .

كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[1]

وفي رأيي أن معنى (متوفيك) هنا (منيمك)[*].
قال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]

وقال :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾[3]

ولا يخفى طبعاً أن المسلمين هُمْ وحْدَهُم متبعو المسيح عليه السلام ، وهم موحدو الله ، والمصدقون ببشارة ابن مريم بمحمد رسول الله ﷺ وقد قال تعالى :

---

(١) آل عمران : ٥٥ – ٥٨ . (٢) الزمر : ٤٢ . (٣) الأنعام : ٦٠ .

* هذا هو رأى المؤلف الفاضل . وتجدر الإشارة إلى أن الوفاة غير النوم .. بينهما أوجه شبه وبينهما أوجه إختلاف وقد بينت الآية الكريمة أحد أوجه الاختلاف بما لا يدع مجالاً لشك : النائم يسترد حواسه عند اليقظة بمشيئة الله . (المراجع) .

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (١)

الدعوة إلى الحق

قال تعالى :

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (٢)

تم بحمد الله ، وتمت المراجعة بعونه تعالى .

علي الجوهري

★ □ ★ □ ★

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) آل عمران : ٦٤ .

فهرس الكتاب

★ □ ★ □ ★

من منشورات دار الفضيلة

